





المجلد التاسع والعشرون — الجزءان الأ

مايو ، ديسمبر ١٩٦٧

مطبعة جامعة القاهرة
١٩٧٢





المجلد التاسع والعشرون ــ الجزءان الأول والثاني

مايو ، ديسمبر ١٩٦٧

مطبعة جامعة القاهرة
١٩٧٢

رقم الايداع ١٥٢ سنة ١٩٧١

تصدر هذه المجلة مرتين كل سنة ، فى مايو وديسمبر ، وتطلب من مكتبة جامعة القاهرة بالجيزة ، وتوجه المكاتبات الخاصة بالناحية العلمية الى المشرف على تحريرها الأستاذ الدكتور عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة .

فهرس القسم العربي

صفحة

مفهوم الحقيقة فى الثقافة الاسلامية

للدكتور يحيى هويدى

الحق هو أحد أسماء الله الحسنى . فقد سمى الله نفسه فى القرآن الكريم بالحق . وذلك فى مثل قوله تعالى : « ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق » ومثل : « فذلكم الله ربكم الحق » .

ولكن الله بالاضافة إلى أنه الحق فهو مصدر ما نراه فى هذه الدنيا من حق أو حقيقة لأنه هو الذى خلق بالحق . وهو الذى يقضى بالحق ويهدى به . يقول الله تعالى : « ما خلق الله ذلك إلا بالحق » ويقول : « وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق » . ويقول : « والله يقضى بالحق . والذين يدعون من دونه لا يقضون بشىء ، إن الله هو السميع البصير » . ويقول : « وقل الله يهدى للحق . أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع » .

ولا يمكن أن تكون الهداية إلى الحق — وهى من عند الله — مجرد هداية إلى الحقيقة النظرية أو إلى الفكرة الصائبة وحدها . بل لابد أن تتعدى ذلك فتصبح هداية إلى السلوك القويم . إذ لا فصل بين النظر والعمل فى الثقافة الإسلامية . ولا خير فى علم عندها إلا إذا كان تحته عمل . وبعبارة أخرى فان البحث عن الحقيقة أو عن الحق فى الثقافة الإسلامية لايمكن أن يكون مجرد بحث معرفى مجرد بل لابد أن يمازجه التفتيش عن قواعد السلوك من الناحية الأخلاقية .

تلك هى أول سمة من السمات البارزة التى نستطيع أن نذكرها فى بحث الثقافة الإسلامية عن الحقيقة : عدم الفصل بين النظر والعمل أو بين النظرية والتطبيق . وليس من سبيل الصدفة أن تضع هذه الثقافة كلمة الباطل فى مقابل كلمة الحق . وذلك لأن الحق فى نظرها لايعنى مجرد « الصحة » أو « السلامة » فى التفكير المنطقى النظرى بل يشير فى معناه إلى دائرة أكثر شمولا واتساعا تتداخل بطريقة أو أخرى

مع دائرة الخير . كما أن كلمة الباطل لا تعنى فقط الفساد فى التفكير بل تشير فى معناها إلى دائرة أكثر شمولا واتساعا تتداخل على نحو أو آخر مع دائرة أخرى هى دائرة الشر .

والإسلام نفسه ليس ديناً عقائدياً بالمعنى المجرد الفلسفى بل هو نظام اجتماعى كامل يقوم على أساس دينى ، ولا نستطيع أن نفصل فيه بين نظر وتطبيق ، أو عقيدة وتشريع .

ولا أدل أيضاً على المزج بين النظر والتطبيق فى الثقافة الإسلامية من تلك المكانة الفريدة التى أفردتها هذه الثقافة للعمل . فالإيمان لا يكاد يذكر فى القرآن إلا وهو مقرون بالعمل . والآيات القرآنية التى تشيد بالعمل فى القرآن الكريم كثيرة . وكثرتها راجعة إلى أن الله تعالى قد خلق الإنسان وهو يعلم أن آفته الكبرى هى الجدل والنقاش اللفظى : « وكان الإنسان أكثر شىء جدلا » « خلق الإنسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين . « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » .

فى هذا المنظور نستطيع أن نضع بعض القضايا التى شغلت بها هذه الثقافة الاسلامية . مثال ذلك قضية تحريم علم الكلام باعتبار أنه العلم الذى يبحث فى أمور العقيدة من الناحية النظرية الصرفة ولا يتناول الأحكام العملية ، وباعتبار أن المتكلمين قوم شغلهم مجرد القول لا العمل . فقد حرم الرسول عليه الصلاة والسلام الجدل فى العقائد. فى قوله مثلا : « ما اضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل». وفى حديث آخر له قال : « هلك المتنطعون » وكررها ثلاث مرات . والمتنطعون هم المتعمقون فى البحث والاستقصاء . وقد حرم البحث فى العقائد مما يتناوله علم الكلام الأئمة الشافعى ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أهل الحديث من السلف. فرأى الشافعى يوم ناظر أحد متكلمى المعتزلة أنه «لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ماخلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بشىء من علم الكلام » . وقال أحمد بن حنبل : « لا يفلح صاحب الكلام أبدا ، ولا تكاد ترى أحدا نظر فى الكلام إلا وفى قلبه دغل (أى فساد) . وذهب مالك إلى أنه لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء . وفى رأى بعض الصحابة أنه أراد بأهل الأهواء أهل الكلام على أى

مذهب كانوا . وقد وقف الإمام الغزالى من علم الكلام موقفا وسطا بين التحليل والتحريم فقال فى كتاب قواعد العقائد من احياء علوم الدين : « إن فيه منفعة وفيه مضرة : أما مضرته فاثارة الشبهات وتحريك العقائد وإزالتها عن الجزم والتصميم . وأما منفعته فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هى عليه ولكن هيهات . فليس فى الكلام وفاء بهذا الطلب الشريف . ولعل التخطيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف . . . بل منفعته شيء واحد . وهو حراسة العقيدة التى ترجمناها على العوام وحفظها عن تشويشات المبتدعة بأنواع الجدل » .

لكن من الحق القول إن تحريم علم الكلام بما ينطوى عليه من بحث نظرى فى الحقيقة الدينية أو العقائدية لم يحقق أغراضه كما أريد له فى الثقافة الإسلامية . فقد خاض علماء الكلام والفلاسفة الإسلاميون فى أمور نظرية عديدة ، تناول أكثرها أمور العقيدة والإيمان . وكانوا فى هذا إما متأثرين بالثقافات الأجنبية من يونانية وفارسية وهندية وإما مشاركين ببحوثهم النظرية فى الواقع السياسى الذى اضطربت فيه الأمة الإسلامية حول مسألة الخلافة . ومن الطريف أن نشير هنا إلى أن الغزالى نفسه الذى حرم الاشتغال بعلم الكلام والفلسفة قد اتهم بأنه كان مروجا لهما وللبحث النظرى فى الحقيقة الدينية نظراً لكثرة ما اشتملت عليه كتبه من براهين عقلية .

وفى هذا المجال الخاص بعدم الفصل بين النظر والعمل فى البحث عن الحقيقة من وجهة نظر الثقافة الإسلامية نستطيع أن نثير قضية أخرى هى قضية التوفيق بين الحكمة والشريعة . وهى القضية التى وضعتها هذه الثقافة كهدف أسمى لها . فقد اتفق فلاسفة الاسلام من أمثال الفارابى والغزالى وابن سينا على أن غاية الشريعة وغاية الحكمة أو الفلسفة واحدة تتمثل فى تحقيق السعادة للانسان عن طريق الاعتقاد الحق وعمل الخير . يقول الشهرستانى فى الملل والنحلل : « قالت الفلاسفة : ولما كانت السعادة هى المطلوب لذاتها ، وإنما يكدح الإنسان لنيلها والوصول إليها وهى لا تنال إلا بالحكمة . فالحكمة تطلب إما ليعمل بها وإما تعلم فقط . فانقسمت الحكمة قسمين : علمى وعملى . فالقسم العملى هو عمل الخير . والقسم العلمى هو عمل الحق » . ولما كان عمل الحق أو الاشتغال به يؤدى حتما إلى عمل الخير فقد انتهى

ابن رشد فى « فصل المقال » إلى أن الحكمة والشريعة أختان رضيعتان وذهب إلى أنه لم يؤلف هذا الكتاب إلا ليثبت لهؤلاء الذين ظنوا بالحكمة سوءاً من ناحية مخالفتها للشرع أنها أى الحكمة أكثر اتفاقا مما ظنوا مع أصول الشرع عندما يقفون على كنهها ، وليثبت أيضا للذين ظنوا بالشرع سوءاً من ناحية عدم اتفاقه مع الحكمة أنه أى الشرع أكثر اتفاقا مع الحكمة إذا روعى فى تأويله التأويل المشروع وعدم خرق الإجماع » . وجدير بالذكر أن ابن رشد فى توفيقه بين الحكمة والشريعة قد اقتفى فى هذا أثر محمد بن تومرت مهدى الموحدين الذى أورد فى كتابه « أعز ما يطلب » مقابلات كثيرة ومفيدة بين القياس الشرعى والقياس العقلى .

لكن من الحق أن نقول أيضاً إن تاريخ الفكر الإسلامى قد زودنا بمظاهر كثيرة للعداء بين أهل النظر العقلى أو الفلاسفة وبين أهل الشريعة من الفقهاء . فبلغ الأمر بالفقهاء إلى أن حرموا الاشتغال بحكمة الفلاسفة واتهموا الفلاسفة فى دينهم . وفتوى الفقيه ابن الصلاح مشهورة قال فيها : « الفلسفة أس السفه والانحلال ومادة الحيرة والضلال ومثار الزيغ والزندقة ، ومن تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المطهرة » (فتاوى ابن الصلاح فى التفسير والحديث والأصول والعقائد) . وفى هذه الفتوى حرم ابن الصلاح الاشتغال بعلم المنطق أيضاً لأنه « مدخل الفلسفة ومدخل الشرشر » . وفى الطرف المقابل نجد الفلاسفة يتوجسون من الفقهاء ، ويخشون مغبة إذاعة الحكمة بين الجمهور وذلك لاعتقاد كثير منهم أن الشريعة هى علم الظاهر الذى يختلف عن علوم البرهان من حيث أنها تقوم على التأويل والاستدلال . فى هذا الصدد نستطيع مثلا أن نشير إلى ما ذهب إليه الفارابى من أن الفلسفة أو الحكمة ينبغى أن لا تبذل لجميع الناس بل لمن يستحقها فقط . وقد فصل فصلا تاماً بين ما يقدم إلى أهل النظر العقلى وما يقدر على فهمه أصحاب النظر الشرعى . وذلك لأن هؤلاء لا يؤاخذون بما لا يطيقون تصوره . . . فلذلك ما قد خوطبوا إلا بما قدروا على تصوره وإدراكه وتفهمه » (الجمع بين رأيى الحكيمين أفلاطون وأرسطو .) وإلى مثل هذا الرأى ذهب ابن سينا فى كتاب « النجاة » . فبعد أن أثبت حاجة الناس إلى وجود نبى نجده ينصح بأن لا يزود العامة بشىء من الفلسفة لأنه لو فعل « فقد عظم عليهم الشغل وشوش فيما بين أيديهم الدين وأوقعهم فيما لا يخلص عنه » . ثم إن

ابن سينا صاحب حكمة مشرقية خاصة لا يريد أن يظهرها إلا للعارفين—فهو يقول فى مقدمة كتاب الشفاء : « ومن أراد الحق الذى لا جمجمة فيه فعليه بطلب ذلك الكتاب : الحكمة المشرقية . ومن أراد الحق على طريق فيه ترض إلى الشركاء ، وتبسط كثير ، وتلويح بما لو فطن له استغنى عن الكتاب الآخر . فعليه بهذا الكتاب « الشفاء » . وموقف الغزالى معروف وهو « إلجام العوام عن علم الكلام » (عنوان لأحد كتبه) . وهو يقول فى الإحياء : « أما البحث فى الأسرار الالهية فيجب كف الناس عن البحث عنها وردهم إلى ما نطق به الشرع . ففى ذلك مقنع للموفق . فكم من شخص خاض فى العلوم واستضر بها . ولو لم يخض فيها لكان حاله أحسن فى الدين مما صار إليه . ولا ينكر كون العلم ضارا لبعض الناس كما يضر لحم الطير وأنواع الحلوى اللطيفة بالصبى الرضيع » .

وهكذا نرى أن شعار التوفيق بين الحكمة والشريعة الذى نادى به الفلاسفة الاسلاميون لم يحظ بتطبيق عملى لأنه اقترن عند أكثرهم بحظر الحكمة على الجمهور وبتضييق دائرة طلاب الحقيقة وعشاقها . فى الوقت الذى كان ينبغى أن يؤدى على العكس من ذلك إلى إذاعة الحكمة بين أكبر عدد من الناس من القائمين على تنفيذ تعاليم الشريعة .

والقول بتضييق دائرة طلاب الحقيقة يسوقنا إلى إثارة اتجاه آخر فى البحث عن الحقيقة أراد أصحابه أن يحصروا الحقيقة هم أيضا فى نطاق ضيق جداً . وذلك لأن الحقيقة عندهم كانت تعنى شيئا آخر يختلف عن تلك الحقيقة العلمية التى يصل إليها الفلاسفة وتختلف كذلك عن الحقيقة عند رجال الشريعة . من حيث أن هؤلاء وأولئك يصلون إلى الحقيقة بعقولهم ، أما اصحاب هذا الاتجاه . وهم المتصوفة ، فانهم ذهبوا إلى أن الحقيقة ليست حقيقة العالم وليست أيضا حقيقة الانسان العابد بل هى حقيقة الانسان العارف : أى العارف بالله ، الذى يتعدى حدود الظاهر وقيوده بمعرفته ، تلك المعرفة التى تقوم عند الصوفية على الذوق . وتستند إلى ملكة القلب أو السر . وهى بهذا تختلف عن تلك المعرفة العقلية التى تقدم إلى الانسان معقولات وأساليب جافة ينظر إليها رجال التصوف على أنها حجب كثيفة تحجب الحقيقة عن الانسان . وعن طريق الإرادة يتم التحول الذى ينشده

الصوفية : تحول الانسان من مألوف حياته ، وتحول النفس من مألوف عاداتها وتجردها من جميع الشهوات والرغبات البدنية ، أو إماتتها لهذه الرغبات والشهوات وذلك ليتم الميلاد الجديد للانسان ، ميلاده الروحي الذى تمثل التوبه أولى لحظاته . ثم يأخذ الانسان بعد ذلك فى الترقى درجة درجة فى معراج الحياة الروحية ، يجذبه فيه شوق ملح نحو الله ، وشعور غامر يستولى على قلبه ويدعوه إلى شهود الله والفناء فيه . وهذا المعراج الروحي وليد تطهير النفس وتزكيتها وتصفيتها . وذلك عن طريق المجاهدة والرياضة الروحية التى تمثل عند الصوفية طريقا شاقا طويلا ، أطلقوا عليه إسم الطريقة أو السفر أو السلوك . وقد قسموا هذه الطريقة إلى مراحل أومنازل سموها بالمقامات ، كما سموا الاحداث النفسية والمغامرات الروحية التى تعرض للسالكين فيها باسم الأحوال .

والمتصوفة كلهم يعتقدون أن الحقيقة تتصل بأحكام الباطن وأعمال القلوب ولهذا يضعون علم الحقيقة فى مقابل أحكام الشريعة وهى تمتل عندهم — كما يقول القشيرى فى رسالته — أمرا بالتزام العبودية من حيث أنها مناط تكليف الخلق ، فى حين أن الحقيقة مشاهدة للربوبية . لكن هذه المشاهدة لاتشرق على أصحابها إلا بعد ضروب من المجاهدات الروحية . وفى هذا مزج بين النظر والعمل .

***

هذا عن السمة الأولى للبحث عن الحقيقة فى الثقافة الإسلامية ، وأعنى بها عدم الفصل بين النظر والعمل . وقد جرنا الحديث عن هذه السمة إلى إثارة بعض القضايا مثل قضية نقد علم الكلام أو نقد الجدول النظرى فى أمور الحقيقة الدينية ، وقضية التوفيق بين الحكمة والشريعة ، وقضية المعرفة الصوفية وصلتها بالمجاهدات الروحية .

وكل بحث فى الحقيقة لا بد أن يحدد الباحث فيه مركز الانسان من العالم ويعين مركز الثقل — ولا أقول نقطة البدء . فيوضح لنا فيما إذا كان مركز الثقل هذا قائماً فى الإنسان أم فى العالم .

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تشعر الإنسان بأنه يمكن أن يكون مركزاً للعالم كله ومسيطراً عليه ، فهو خليفة الله فى أرضه وهو الذى حمل الأمانة بعد

أن أبين أن يحملنها السموات والأرض والجبال وهو الذى سخر له الله ما فى السموات وما فى الأرض ولقد نص الله فى كتابه العزيز أنه كرم بنى آدم وأن « الأرض وضعها للانام » . . الخ . .

لكن ليس هذا إلا وجه واحد من الصورة أو من العملة . وإذا أردت أن تقف على الوجه الآخر فاقرأ مثل هذه الآيات : « أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها » و« لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون » و « أم خلقوا من غير شى ؟ أم هم الخالقون ؟ أم خلقوا السموات والأرض ؟ بل لا يوقنون ، أم عندهم خزائن ربك . أم هم المسيطرون ؟ »

ومعنى هذا أن القرآن الكريم بعد أن رفع من شأن الإنسان أراد أن يوقفه على حدوده . ويظهره على أن الكون أكبر منه وعلى أن مركز الثقل فى بحثه عن الحقيقة لا يوجد فى عقله هو بل الأحرى أن نقول إنه موجود فى الطبيعة . وهذه سمة أخرى هامة من سمات مفهوم الحقيقة فى الثقافة الإسلامية .

ولم يكتف القرآن الكريم بذلك بل نراه يحرص على أن يذكر الإنسان بأصله الترابى وبأن تسوية الله له كانت من المادة : تارة من « ماء مهين » وتارة « من طين » وأخرى « من صلصال من حمأ مسنون » ورابعة من تراب : « ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون » .

ولم يفعل أبو العلاء المعرى شيئاً إلا أنه أكد هـــذا المعنى القرآنى الأصيل حين قال :

***

والذى حارت البرية فيه . . . حيوان مستحدث من تراب

كل هذا من شأنه أن يوقفنا على الصورة الحقيقية للانسان كما أراد القرآن الكريم أن يقدمها لنا . فقد حرص الله تعالى فى كتابه العزيز ليس فقط على أن يقول للانسان إنه مرتبط بالعالم الذى لا يمثل فيه إلا جزء منه فقط بل على أن يقدم لنا إلى جانب صورة الانسان الذى نفخ فيه من روحه وسواه تسوية ربانية صورة الانسان المرتبط بمحيطه وتاريخه المادى الأمر الذى يدعونا حتما إلى إعادة النظر فى ذلك « الكوجيتو » الإسلامى الروحى الذى اقتطع تعسفاً من محيطه المادى

وصور دائماً على أنه يمثل حقيقة الإنية الإسلامية وجوهر الثقافة الشرقية أو العربية بوجه عام .

***

هذا الانسان الذى وضع فى موضعه من العالم وارتبط بتاريخه المادى هو الذى عهد إليه الله إذن بالبحث عن الحقيقة وهو الذى حمله تعالى تلك الأمانه الشريفة .

لكن ما موضوع الحقيقة ؟ أعنى أين توجد الحقيقة ؟ وأين يتجه الانسان فى بحثه عنها ؟

إذا أراد الانسان أن يبحث عن الحقيقة ، فعليه بالواقع الطبيعى الديالتيكى المتحرك . وتلك سمة أخرى من سمات مفهوم الحقيقة فى الثقافة الاسلامية القرآنية .

فالقرآن كله دعوة موجهة إلى الانسان ليتأمل آيات الله فى الكون أو الطبيعة . وذلك لأن الطبيعة فى القرآن مصدر للثقة واليقين ، وليست ظلالا أو أشباحا أو مصدرا للمعرفة الظنية كما نظرت إليها الثقافة اليونانية . الطبيعة فى حركة مستمرة . الأرض الميتة يحييها الله ويخرج منها حبا . والليل لا يظل ليلا . بل يسلخ منه النهار والشمس تجرى . والقمر قدره العلى القدير منازل . والأرض تراها خاشعة . « فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت » .. الخ .. وهذه الصور الكثيرة التى يدعونا الله إلى تأملها يقدمها لنا على أنها آيات » . ولهذا فليس من المعقول أن تكون وسيلتنا إلى إدراكها مجرد الحواس . لأن الحواس تؤدى بصاحبها إلى إشباع حسه ولا تؤدى إلى تجاوز المدركات الحسية أيضاً محصورة فى الواقع الجزئى الكونى الثابت ، لأنها تعجز بطبيعتها عن أن تقدم حركة الكون وحركة الأشياء . أما العقل فهو الذى يقدر على هذا كله . ولهذا نستطيع أن نقول فى اطمئنان إن الدعوة إلى تأمل الطبيعة فى القرآن الكريم دعوة عقلية وليست حسية لأنها ليست مقصودة لذاتها ، بل هى فى صميمها دعوة إلى قراءة آيات الله فى الكون ، ودعوة إلى تأمل حركة الظواهر الكونية وصيروتها .

وهذا يدعونا إلى استخلاص سمة أخرى من سمات الثقافة الإسلامية بوجه عام وهى أنها عقلية ديالكتيكية ، تدعونا لمإلى تأمل الواقع الكونى بالعقل ، ومصاحبة هذا الواقع للوقوف على أبعاده الحقيقية التى تهدينا إلى سر الكون وروحه . ولهذا

كانت السور التى تحكى لنا هذا الديالكتيك الكونى موجهة كلها لأولى الأبصار ، أو لأولى الألباب ، أو لقوم يعقلون ، أو لقوم يتفكرون

***

غير أن كلمة العقل كلمة مضللة . فقد يفهم العقل على أنه العقل المجرد البعيد عن الواقع . وهذا النوع من العقل هو الذى لجأت إليه الثقافة اليونانية بصفة خاصة . واستحقت بسبب نقد علماء الكلام وعلماء الأصول الإسلاميون .

ومن هذه الزاوية استطاعت الثقافة الإسلامية أن تقدم نقداً عاماً شاملا للثقافة اليونانية تناول عديداً من الأفكار المنطقية والفلسفية .

وقبل أن نعرض لأهم هذه الأفكار يحسن أن نشير إلى معنى الصدق فى الثقافة العربية الإسلامية . إذ يتوقف على تحديد هذا المعنى فهم الاتجاه التجريبى الواقعى الذى يميز منهج هذه الثقافة فى بحثها عن الحقيقة .

يقال فى اللغة : صدق فلان فى الحديث . أى أخبر بالواقع . ويروى أن أبا بكر لما سئل عن مدى صحة كلام الرسول فى حادث الإسراء قال : والله إن كان قال كذلك لقد صدق . ولذلك سمى بالصديق . ويقال فى اللغة أيضاً : صدق فى القتال ونحوه . أى أقبل عليه فى قوة . وصدق فلاناً الوعد . أى أوفى به . إذ يقول الله تعالى : « ولقد صدقكم الله وعده » .

وثمة كلمتان هامتان مشتقتان من مادة : صدق ، ويكثر استعمالها فى علم المنطق بالذات . وكلاهما كبير الدلالة على ارتباط الصدق بالواقع فى الثقافة الإسلامية . وهاتان الكلمتان هما : كلمة التصديقات وكلمة الماصدقات .

ولنبدأ بالكلمة الأولى . فالتصديقات جمع تصديق . « والتصديق هو حكم الذهن بين معنيين متصورين بأن أحدهما الآخر أو ليس الآخر ، واعتقاده صدق ذلك الحكم ، أى مطابقة هذا المتصور فى الذهن للوجود الخارجى عن الذهن » (البصائر النصرية فى علم المنطق للشيخ الساوى) . وقد قسم المناطقة العرب مباحث المنطق إلى بابين كبيرين : باب التصورات وباب التصديقات ، والتصديقات هى القضايا . وقد أطلقوا على القضايا اسم التصديقات لأن القضايا عندهم لا يمكن إلا أن تكون متضمنة لأحكام تحتمل الصدق والكذب : القضية فى الثقافة الإسلامية

هى الجملة اللفظية التى يقضى فيها بأمر أو بحكم . القضية ليس لها « كون لفظى » مستقل عما يجرى من الواقع ، كما يصورها لنا فلاسفة التحليل المعاصرون وأصحاب الفلسفة الوضعية المنطقية . القضية عندهم تعبير عن الواقع . إنها تعبير عن وجود تلازم فى النسبة بين طرفين هما طر فى الحكم . وليس من الضرورى بعد هذا أن يكون هناك تطابق بين مدلول القضية وما يجرى فى الواقع الآن ، لأن هذا لا يتحقق إلا عندما يكون الحكم الذى تتضمنه القضية خبرا ، أى عندما يكون الحكم مخبراً لحدث يجرى فى الواقع الآن . لكن حسبنا أن تكون القضية تعبيراً عن التلازم فى الوقوع بين طرفى الحكم .

والكلمة الثانية التى أشرنا إليها على أنها من مشتقات الصدق فى الثقافة الإسلامية هى كلمة الماصدقات . والماصدقات هم الأفراد الحقيقيون الذين يشير الحد إليهم وينطبق عليهم فى الواقع . الماصدقات تمثل الغطاء الذهبى الذى يخلع على الألفاظ أو العملات الورقية قيمتها ، وذلك لأنه غطاء له كيان فى الواقع أو الإمكان الذهنى . ولهذا ارتبط الماصدق بالمفهوم فى الثقافة الإسلامية . وبوسعنا أن نقول بوجه عام إن هذه الثقافة ثقافة ماصدقات ذوات مفاهيم أو ثقافة مفاهيم ذوات ماصدقات .

وبتحليلنا لهاتين الكلمتين يتضح لنا أن الثقافة الإسلامية تقف على النقيض من بعض التيارات الصورية الإسمية فى الفلسفة والمنطق ، وأخص بالذكر هنا تيار الفلسفة الوضعية المنطقية وفلسفة التحليل . إذ لا يمكن أن توافق هذه النزعات مثلا على تسمية القضايا بالـ « تصديقات » . أما الماصدقات عند أصحاب هذه النزعات فهم يصرحون لنا دائماً أنها ماصدقات بدون مفهومات أو مفاهيم ، أو أنها رموز بلا مرموزات ،

نعود الآن إلى تناول بعض الأفكار المنطقية التى تعكس الاتجاه التجريبى الحسى فى منهج الثقافة الإسلامية ، ذلك الاتجاه الذى استطاعت به هذه الثقافة أن تعارض الثقافة اليونانية وتؤكد من خلال هذه المعارضة شخصيتها واستقلالها .

فنحن نعلم أن الثقافة اليونانية كانت تقوم فى أساسها على عقيدة راسخة وهى عقيدة قيام الماهيات أو وجودها فى الخارج : إما على شكل ماهيات مجردة توجد

فى عالم مفارق ، وإما على صورة ماهيات نوعية ثابتة فى الطبيعة منذ الأزل ، وراسخة فى الكون تمثل أنواعاً ، ويحتل كل نوع منها خانة معينة ، ويتعذر على أى فرد من أفراد النوع الواحد أن ينتقل إلى خانة النوع الآخر . والرأى الأول يمثله أفلاطون ، بينما يمثل الثانى أرسطو .

وقد رأى الإسلاميون بالنسبة إلى الماهية بوجه عام أنها مادامت تعبر عن الكلى ، فانه لا وجود لها إلا فى الأذهان لأن الكلى لا يكون إلا فى الأذهان لا فى الأعيان أو الواقع . فليس فى الخارج الا وجود عينى . وفى هذه النظرة الحسية نقد لموقف أفلاطون فى قوله بوجود المثل باعتبارها ماهيات مجردة — وهو قول يوحى بالقول بتعدد القدماء — ، وفيه أيضاً نقد لأرسطو فى قوله بتحقيق الماهيات النوعية فى الخارج وبثباتها . وعدم اعتراف علماء أصول الفقه وأصول الدين بقيام الماهيات فى الخارج يعود إلى أنهم تصوروا أننا لو قلنا بهذا القول لانتهى بنا الأمر إلى القول بوجود واجب الوجود « أو الله باعتباره مجرد ماهية أو مجرد فكرة ذهنية . فالماهيات عند الإسلاميين ليست إلا أموراً تقديرية اعتباريه فى الذهن ولا وجود لها فى الخارج .

وقولهم عن الماهيات إنها مجرد أمور تقديرية قد ساقهم إلى نقد الحد الأرسطى باعتبار أنه يمثل قمة العلم عند أرسطو ، وباعتبار أنه المعرف لماهية الشىء أو ذاته أو كنهه . ويعترض الأصوليون على هذا بأن التوصل إلى كنه الشىء أو ماهيته أمر متعذر أو عسير . أما الحد عندهم فغايته أن يكون تمييزاً بين المحدود وغيره . وهذا التمييز لا يكون إلا عن طريق الوصف أو الشرح ، أى بالقول المفسر لإسم الحد وصفاته عند مستعمله . ويلاحظ ابن تيمية مثلا أن العلوم كلها فيها تصورات وصل إليها العلماء لكنهم لم يستندوا فيها على الجنس والفصل (وهما الدعامتين اللتين يقوم عليهما الحد الأرسطى) بل استندوا فيها إلى وصف المحدود وتمييزه عن غيره . هذا فضلا عن أن افتراض الوصول إلى الحد التام يعنى قيام حدود أبدية ثابتة مستمرة فى أى علم من العلوم ، وهذا باطل ، لأن العلم فى تغير وتحول .

ثم انتقل المسلمون من نقدهم للحدود والماهيات الكلية إلى نقد القضايا

الكلية ، وبالتالى إلى نقد القياس الأرسطى الذى يعتمد على مقدمة كلية مصدرها الذهن . هنا ويقدم المسلمون أولا مصادر أخرى لليقين فى المقدمة الكبرى للقياس ، فيقولون بالمجربات والمتواترات التى استبعدها المناطقة الأرسططاليون باعتبار أنها غير مؤدية إلى اليقين .

أما المجربات فهى الأساس فى التجربة أو التجريب الذى يعول عليه فى العلوم الاستقرائية . وبالنسبة إلى المتواترات فهى مصدر كبير لليقين فى بعض العلوم التى يقف على رأسها علوم الحديث كمصدر رئيسى للتشريع الإسلامى .

أما نقدهم للقضية الكلية فيكفى فيه أن نشير إلى نقد ابن يتمية للقضية الكلية وقوله عنها إنها قضية لافائدة منها ، لأن العلم بها يتطلب العلم بأفرادها ، وهو أمر نستمده من الخبرة أو التجربة . ويرى ابن تيمية (أنظر كتبه : كتاب الرد على المنطقتين — موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول — نقض المنطق — مجموع الرسائل الكبرى) ان الإنسان يتوصل إلى القضية الجزئية قبل التوصل إلى القضية الكلية . ويذهب إلى أن القضية الكلية ليست إلا تعديداً لأفراد جزئية مندرجة تحتها . والبرهان الذى يشتمل على قضية كلية لا يعطى شيئاً جديداً ، بل هو مصادرة على المطلوب . ولم يعترف ابن تيمية بفائدة للقضية الكلية إلا فى الرياضيات والأمور الدينية .

وقد أدى هذا النقد الذى أورده ابن تيمية للقضية الكلية إلى نقد الجانب الصورى فى القياس الأرسطى وإلى أن يهتم بالجانب المـادى فيه ، وهو ذلك الجانب الذى يفيد العلم .

تلك إشارة عابرة عن أخذ المسلمين بالمنهج التجريبى فى تفكيرهم العام وفى الدراسات المنطقية . أما عن اتباعهم المنهج التجريبى فى ميدان العلوم فأمر معروف . ويكفى أن نذكر فى هذا المجال أسماء علماء كبار مثل جابر بن حيان وأبو بكر الرازى والبيرونى وابن الهيثم والمجريطى وابن سينا وغيرهم وغيرهم ممن كان لهم أكبر الأثر فى نهضة العلم فى الحضارة الأوربية .

لكن هذا المنهج التجريبى العلمى الذى أخذ المسلمون أنفسهم به نتيجة لانفتاحهم وبدافع الوقوف فى وجه العقل اليونانى المجرد لا ينبغى أن يؤدى بنا إلى أن نصف الثقافة الإسلامية بأنها ثقافة حسية إذ أنها كانت وستظل دائماً ثقافة عقلية نظراً لاهتمامها بالواقع الطبيعى الكونى وبحركة وتطوره الديالكتيكى .

***

وقد تجلت مقاومة الثقافة الإسلامية للتجريد ليس فقط فى أخذها بالمنهج التجريبى ، بل فى اعترافها بقيمة التاريخ ، أو بقيمة الحقيقة التاريخية . ونحن نعلم أن التاريخ نوعان : تاريخ الكون والمادة وتاريخ البشر والأمم والشعوب وقد عرضنا فيما سبق للنوع الأول عندما ربطنا الإنسان بتاريخه المادى وبجذوره الترابية وأيضاً عندما تحدثنا عن تأمل الإنسان لتطور الكون وصيرورته . أما النوع الثانى من التاريخ فقد اهتم به القرآن الكريم اهتماما خاصا . إنه يحكى لنا قصة الأنبياء مع شعوبهم وقصة ضلال هذه الشعوب وإيمانها . اقرأ قصة نوح مع قومه وقصة موسى مع فرعون ومع بنى إسرائيل وقصة اليهود ومحاجتهم وقصة يحى ومريم والمسيح ... الخ . تجد عرضاً رائعاً لأخبار الأمم ، وتشعر أن الحقيقة التى أراد أن يقدمها الله لنبيه الكريم وللناس أجمعين ليست حقيقة مجردة ، بل هى مصاحبة لحركة التاريخ وتطوره وكل ما يدعونا إليه القرآن فى أواخر تلك القصص التاريخية من تفكير ونظر واعتبار ليس من قبيل التحذير العام المجرد لأنه تحذير يستند إلى وقائع التاريخ ونبض الحياة .

***

وبعد ، ففى ضوء وقوفنا على تلك السمات المتعددة لمفهوم الحقيقة فى الثقافة الإسلامية نستطيع الآن أن نوضح بعض المفاهيم المرتبطة بالحق والصدق فى نظر رجال هذه الثقافة .

فالبحث عن الحقيقة فى الثقافة العربية الإسلامية يرتبط شد الإرتباط وفى المحل الأول بالدين الإسلامى كعقيدة Dogme وكشريعة Law أيضاً (مع ملاحظة أن الشريعة تضم مجموعة الأوامر Prescriptions والنواهى التى فرضها الشارع) . فلم يكن البحث فى الحكمة Wisdom فى هذه الثقافة بحثا لمجرد لذة البحث النظرى وحده ، بل كان يتابع لبخدم العقيدة أولا . وبالذات والأمثلة

على هذا كثيرة . فقد وجد علماء الكلام الإسلاميون عند الفلاسفة الذريين اليونان مثل أبيقور وليوقبس نظرية الذرات أو الجواهر الفردة مثلا ، فاقتبسوها لتخدم القول بالحدوث أو الخلق من العدم . وذلك لأنها تقوم على استحالة تقسيم الأشياء إلى مالا نهاية ، وتفرض وجوب الوقوف عند حدود معينة هى نهايات التقسيم أو الوحدات المتناهية فى الصغر التى يؤدىالقول بها إلى القول بوجود محدث أو خالق للعالم . ووجدوا أن اليونان يقولون بانفصال المـاهية عن الوجود فارتابوا فى هذا القول لأنه يؤدى إلى أن يكون الله مجرد فكرة ذهنية ، وهم أرادوا أن يكون الله وجودا متحققاً ؛ ومن ثم وحدوا بين المـاهية والوجود أو قالوا بأن المـاهية لا توجد إلا فى الذهن ولا توجد فى الخارج أبداً . ورفضوا فكرة المحرك الأول عند أرسطو لأنها تتضمن إنكار العناية الإلهية . ورفض الغزالى القول بالسببية لأنه رأى فيها ما يوحى باستقلال الكون عن خالقه . وعندما رد عليه ابن رشد وقرر أن الإيمان بالحتمية فى الكون وبارتباط الأسباب بالمسببات لا يمنع من الاعتقاد بوجود الله وتأثيره فى الكون (وقد تأثر بهذا الرأى الإمام محمد عبده بعدهذا) كان فى رده هذا إنما يقول ما يعتقد أنه يخدم العقيدة . وقد دافع ابن خلدون بطريقة خاصة عن السببية أو رابطة العلية وفسر عن طريقها حركة التاريخ وتطور العلاقات البشرية ، وكان لا يجد فى هذا تعارضا مع العقيدة الخ .

لكن الحديث عن العقيدة فى الإسلام وارتباط البحث عن الحقيقة بها أمر ينبغى أن تلقى عليه أضواء كافية . إذ قد يفهم القارىء الغربى من كلمة العقيدة الأمور التى لا تقبل مناقشة من جانب العقل ، وأنها بهذا تقال فى مقابل العقل والأمور العقلية . فما تفرضه العقيدة لا يصلح أن يناقشه العقل . لكن العقيدة فى الدين الإسلامى مؤسسة على العقل أصلا . وهناك آيات كثيرة فى القرآن الكريم تحض على تحكيم العقل والنظر فى ملكوت السموات والأرض . وقد ذهب بعض المتكلمين والفقهاء إلى أن النظر العقلى فرض كفاية على كل مسلم . ومن هنا نستطيع أن نقول بوجه عام إن الجمع بين الحقيقة والعقيدة أو بين العقل والنقل فى الثقافة الإسلامية لم يكن من قبيل الجمع بين الأضداد . بل كان جمعاً مشروعاً حض عليه الدين الإسلامى نفسه .

أما ارتباط البحث عن الحقيقة بالشريعة الإسلامية فقد رأينا مصداقا له فيما سبق . إذ أن الثقافة الإسلامية قد نفرت أشد النفور من كل علم لا يفضى إلى عمل ، ومن كل جدل نظرى غير مثمر . ومن هنا كان سعيها الدائم للتوفيق بين الحكمة والشريعة على نحو ما رأينا .

هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى نستطيع أن نتحدث عن إرتباط مفهوم الحقيقة فى الثقافة العربية الإسلامية بمجموعة أخرى من المفاهيم مثل الصدق فى الصدق فى القول والعمل العمل يعنى الإخلاص فيه fidelity ، والإقبال عليه بروح الجد . كما يقال : صدق فى القتال ، أى أقبل عليه فى قوة ، وكما يقال : صدق فلانا الوعد أى أوفى به . بل إن التقابل فى اللغة العربية بين الحق والباطل يدل على أن إهدار الحق أو الحقيقة يكون أول ما يكون فى إرتكاب الباطل ، ويدل أيضاً على أن الذى يسعى إلى الحقيقة لا بد أن يكون فى الوقت نفسه ذا سلوك قويم . فالبحث عن الحقيقة فى الثقافة الإسلامية مرتبط إذن بعمل الخير right behaviour والبعد عن الشر . وذلك لأن العلم فى الإسلام أمانة . ومن يضطلع بهذه الأمانة لا يمكن أن يتناقض مع نفسه ، فيكون أمينا من الناحية النظرية غير أمين من الناحية العملية . يقول الله تعالى : «من يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً».

وارتباط الحق بالصدق الواقعى فى الثقافة الإسلامية يتيح لنا أن نتحدث عن مجموعة أخرى من المفاهيم المرتبطة به . فالحق من هذه الناحية لا يمكن أن يكون مطلقاً absolute أو ثابتاً . بل لا بد أن يكون نسبياً relative ، يتطور بتطور الواقع ، وهو فى تطوره مقيد به فى نموه development . الحق لا يكون مطلقاً إلا عند الحديث عن الله واجب الوجود ومصدر الحقيقة . أما فى عالمنا فهو حق نسبى . ولا مجال هنا للحديث عن ضرورة مطلقة أو يقين Certainty مطلق . لقد رفض علماء الأصول العرب اليقين فى المقدمات الكلية لأنها توحى بثبات الحقيقة وثبات العلم ، وهما متغيران . وفضلوا على هذه المقدمات الشرطية والأقيسة الشرطية أو كما كانوا يسمونها « أقيسة التلازم » ، متأثرين فى هذا بالرواقيين . وذلك لأن اليقين الذى تنطوى عليه المقدمة الشرطية يقين مشروط ، قائم فقط فى العلاقة بين فعل الشرط وجوابه ، أو فى العلاقة بين المقدم والتالى أو بين اللازم والملزوم ؛ لكنه ليس قائماً فى أيهما . ليس هناك حقائق ضرورية اللهم

إلا فى ميـــدان العقيدة . لكن هناك علاقات ضرورية ، تستمد ضرورتها فقط من النسبة بين طرفين . وتلازم هـــذه النسبة مرهون فقط بوجود الطرفين . وذلك لأنها نسبة متغيرة وليست ثابتة . وإذا كان المنطق الأرسطى قد أثر فى كثير من مظاهر الثقافة الإسلامية كالفقه والتفسير والبلاغة والنحو ، فقد أثر فيها باعتباره « أورجانون » أى باعتباره أداة فكرية . لكن هذه الثقافة نفسها من خلال اهتمامها بالواقع الحسى وبالتجربة المتغيرة المتطورة هى التى استطاعت أن تكشف مظاهر القصور فى هذا المنطق السكونى الثابت ، وتكشف عدم قدرته على تفسير الواقع المتغير .

وهذه المجموعة الأخيرة من المفاهيم تقدم لنا صورة ديناميكية للحقيقة كما كانت تؤمن بها الثقافة الإسلامية التى عبرت أصدق تعبير عن تفتح الحضارة العربية المزدهرة أو انفتاحها . فبالرغم من تأثر هذه الثقافة بالثقافة اليونانية إلا أنها فطنت إلى أن هذه الأخيرة ثقافة راكدة قامت على عقيدة معينة هى عقيدة ثبات الأنواع فى الطبيعة وقيامها قياماً موضوعياً فى الكون . الأمر الذى يؤدى حتما إلى أن يصاب العلم بالركود ، ويعجز عن الوصول إلى اكتشافات جديدة ما دام كل شىء قد وضع فى الطبيعة منذ الأزل . يقول ابن خلدون فى نقده لمنطق أرسطو : « إن الأقيسة المنطقية أحكام ذهنية . والموجودات الخارجية متشخصة ، فالتطابق بينهما غير يقينى ، لأن المـــادة قد تحول دونه ، اللهم إلا ما يشهد له الحس من ذلك . فدليله شهوده لا تلك البراهين المنطقية » . ومن المفيد هنا أن نشير إلى أن حديث هذه الثقافة الإسلامية عن قوانين الفكر الضرورية ، ومن بينها قانون الهوية identity الذى يوحى بثبات الشىء وعدم تطوره . لا يمكن أن ينفصل عن اهتمامها بالموجهات أو بالحديث عن الجهة modality . والجهة عبارة عن الزاوية التى ينظر منها إلى الشىء . ولهذا فان القول بالجهة يتضمن رفض الضرورة المطلقة لليقين .

وبوسعنا أن نقول أيضاً إن هذا الانفتاح الذى طبع الثقافة الإسلامية بطابعه الخاص هو الذى جعلها تقيم وزنا للواقع ، ليس فقط للواقع مفهوماً على أنه التجربة بل مفهوماً أيضاً على أنه الممارسة العملية . وذلك لأن الإيمان بالتغير والتطور والدينامية لابد أن ينطوى فى الوقت نفسه على إيمان بالوسائل التى تعيننا

على تفهمها ومسايرتها . وهذه الوسائل تنحصر فى التجربة العلمية والممارسة العملية . أما عن التجربة العلمية فقد قدمت الحضارة الإســـلامية أسماء علماء كبار كان لهم أكبر الأثر فى نهضة العلم فى الحضارة الأوربية . أما عن الممارسة العملية فانها تمثل أساساً هاماً من أسس الاجتهاد فى الشريعة الإسلامية . وقد عبر الفقهاء عن هذه الممارسة بمبدأ « مراعاة المصالح المرسلة » . وهو مبدأ لا ينبغى أن تفهمه فقط بمعنى برجماتى ينحصر فى معرفة التأقلم مع الواقع ، بل علينا أن نفهم من هذه المراعاة للمصالح أنها أداة لتغيير الواقع نفسه ، وذلك عن طريق الفعل ، والفعل الجماعى الجماهيرى بصفة خاصة . وهذا هو المقصود بالبراكسيس Praxis . والإسلام كله من هـــذه الناحية ثورة موحى بها أول الأمر ، ولكنها أصبحت بعد هذا ثورة جماهيرية لتغيير الواقع من خلال الفعل .

ومن هذه الناحية يبدو أن هناك علاقة وثيقة بين العقل والثورة . فقد وصفنا فيما سابق الثقافة الإسلامية بأنها ثقافة عقلية وليست حسية . والشىء الذى نريد أن نضيفه إلى هذا أنها كانت عقلية ثورية . وذلك لأن الواقع الحسى بطبيعته واقع محصور ضيق . والذى يهتم به إنسان محافظ . يريد أن يحافظ على الأوضاع القائمة . أما الواقع المتغير المتحرك الفسيح سواء كان واقعا كونيا أم اجتماعيا ، فلا يصلح له إلا العقل الديالكتيكى أى العقل الثورى القادر وحده على تحريك الواقع وتغييره ، إنه وحده القادر على تجاوز الواقع الطبيعى والاجتماعى عن طريق الإحاطة بامكاناته ودلالاته الكلية واكتشاف علاقات جديدة له لا تظهر فى معطيات الحس التجريبى . وهو وحده القادر على رفض الواقع الحسى والاجتماعى الضيق الآمن والثورة على الأوضاع القائمة المحدودة . والحق أن الدين الإسلامى ما كان له أن يحقق ثورته الكبرى وما كان له أن ينجح فى رفض الأوضاع القائمة الكونيا منها والاجتماعية ، إلا لأنه دين عقلى ديالكتيكى ، ولأنه بهذه الصفة نفسه دين ثورى .

ومراعاة هذه الثقافة للواقع على هذه الصورة الرائعة جعلها تقيم وزنا كبيراً فى بحثها عن الحقيقة لأحد مصادر المعرفة اليقينية الهامة ، وهو التواتر أو شهادة الغير Witness . وهذا المصدر هو الأساس فى المعرفة التاريخية وفى رواية الحديث . وقد وضع المسلمون للتواتر أو للدليل النقلى ضوابط ومعايير . والمتواترات — كما

يقول ابن سينا في النجاة » — « هي الأمور المصدق بها من قبل تواتر الأخبار التي لا يصح في مثلها المواطأة على الكذب لغرض من الأغراض » . وتحدث الفلاسفة الإسلاميون عن أنواع المتواترات من مشهورات وذائعات ومقبولات ، وجميعها قد تكون مجرد مظنونات أي أنها قد تؤدي إلى المعرفة الظنية ، وقد تؤدي إلى معرفة يقينية توحي بالثقة Authenticity ، إذا ما راعينا فيها بعض الضوابط. كأن يكون مصدر الرأي المتواتر من المصادر الموثوق بها الذين عرفوا بالصدق في القول ، أو كأن يكون هذا المصدر كبير السن كثير التجارب ، أو أن يكون الرأي المتواتر قد صدق به أكبر عدد من الناس . لكن كل هذه المعايير غير حاسمة في الوصول إلى اليقين . وحسبنا هنا أن نلاحظ اهتمام الثقافة الإسلامية بهذا المصدر الهام من مصادر الحقيقة لأنها عولت عليه في علوم الحديث بصفة خاصة على نحو ما أشرنا إلى ذلك سابقاً .

وإذا كان المقصود بالديالكتيك هو حركة الواقع فان الثقافة الإسلامية بعد كل الذي رأيناه من حفاوتها بالواقع في كل جوانبه الكونية والتاريخية لابد أن تكون ثقافة ديالكتيكية . ولا بد أن تتصف الحقيقة فيها بأنها حقيقة ديالكتيكية . وإذا أردنا حقاً أن نقف على نموذج رائع للفكر الديالكتيكي في الثقافة الإسلامية . فأمامنا ابن خلدون الذي لم يدرس من هذه الزاوية حتى الآن كما يستحق أن يدرس . فالدراسة العلمية التي قام بها هذا المفكر للعمران البشري وحديثه عن البيئة وأثرها في لون البشر وأمزجتهم ، واعتماده في ملاحظاته على التجربة والاستقراء ، وبحثه لعوامل الإنتاج التي تهيمن على الثورة الاقتصادية في المجتمعات البشرية وعلى رأسها الطبيعة التي من صنع الله والعمل البشري المبذول في العمل ، وتناوله لصور المعاش في المجتمع من زراعة وتجارة وصناعة وآراؤه في الاحتكار وإنكاره له .. كل هذا من شأنه أن يضع هذا المفكر في مصاف أعظم المفكرين الديالكتيكيين .

واهتمام الثقافة الإسلامية بالواقع الديالكتيكي على هذا النحو يقطع لنا بابتعادها عن كل الاتجاهات الصورية الشكلية في البحث عن الحقيقة . وقد سبق أن أشرنا إلى أن القضية Proposition عند الفلاسفة الإسلاميين لا بد أن تتضمن حكماً . ومعنى هذا أنها ليست مجرد مجموعة من الألفاظ تكون «صورة» أو ترسم « لوحة »

« ما ، تترابط عناصرها ويتغير لونها عند تغييرنا فى ترتيب هذه العناصر . كلا . هذه الفكرة الصورية الشكلية عن القضية التى يقدمها لنا فلاسفة التحليل والوضعية المنطقية اليوم لم يعرفها الفلاسفة الإسلاميون . وقد سبق أن أشرنا أيضاً إلى معنى الصدق فى الثقافة الإسلامية ورأينا إلى أى حد كان ارتباطه بالواقع . ومعنى هذا أن هذا الصدق بعيد كل البعد عن معنى الصدق عند فلاسفة التحليل الذين يريدون أن يقطعوا كل صلة بين الصدق والواقع ، ويذهبون إلى أن القضية الصادقة هى القضية القادرة على توليد قضايا لفظية أخرى . فالقضية الصادقة عندهم هى القضية الولود ، والكاذبة هى القضية العقيم . أما الإسلاميون فلم يرتبط صدق القضية عندهم بولادة الألفاظ ، بل ارتبط بالتطابق adequation مع الواقع . أو — على الأقل — ارتبط بالتلازم فى الوقوع بين طرفى الحكم من ناحية الإمكان الذهنى . ولنفس هذا السبب . ولبعدهم عن كل اتجاه صورى نجدهم يرفضون مبدأ كمبدأ الإنسجام Coherence بين العناصر المختلفة فى بناء الحقيقة . وذلك لأن مثل هذا المبدأ كثيراً ما يؤدى إلى بحوث صورية شكلية عن الحقيقة . بل إنهم لم يعولوا على هذا المبدأ فى نظرتهم الجمالية الفنية . وآثروا عليه الإهتمام بتكرار العنصر الواحد (أو الوحدة) مرات متعددة .وذلك لأن هذا الأساس يقوم على الاهتمام بالجزئى الواقعى .

وأخيراً هل عرفت الثقافة الإسلامية فى بحثها عن الحقيقة المبادىء والمسلمات والمصادرات ؟ يقول ابن سينا فى كتاب البرهان من كتاب الشفاء : « المبادىء على وجهين : إما مبادىء خاصة بعلم علم مثل اعتقاد وجود الحركة للعلم الطبيعى واعتقاد إمكان انقسام كل مقدار إلى غير النهاية للعلم الرياضى . وإما مبادىء عامة مثل قولنا الأشياء المساوية لشىء واحد متساوية . فهذا مبدأ يشترك فيه علم الهندسة وعلم الحساب وعلم الهيئة وعلم اللحون وغير ذلك » .

ويتحدث ابن سينا (وغيره من الفلاسفة الإسلاميين) عن البديهيات والأصول الموضوعة والمصادرات ، ويفرق بينها على أساس أن الأولى بينة بذاتها تفرض نفسها على العقل ، والثانية يفرضها المعلم على المتعلم ويطالبه بالتسليم بها ، وقبول هذا الأخير لها يكون قبول ظن أى عدم تأكد من يقينها أو عدم يقينها . أما

المصادرات فيطالب المتعلم بالتسليم بها فيسلم بها « مساحماً وفى نفسه لها عناد » .
ولكن المهم أن نلاحظ أن معرفة الإسلاميين بالبديهيات والأصول الموضوعة والمصادرات لم ينته بهم أبداً إلى اتخاذ موقف صورى شكلى فى تصورهم للحقيقة ، فلم يقل واحد منهم مثلا — كما يذهب إلى هذا فلاسفة التحليل المعاصرون — أن لعالم المنطق الحرية المطلقة فى فرض ما يشاء من مصادرات ، وفى مطالبتنا بالتسليم بصدقها ما دمنا نرى أنها تودى إلى المطلوب منها . وذلك لأن هذه الحرية لا يمكن أن تمارس إلا بالنسبة إلى نوع معين من الحقيقة ، وهى الحقيقة الموضوعة اتفاقاً أو الحقيقة الى تواضع عليها فلاسفة الوضعية المنطقية . أما الحقيقة التى سعت إليها الثقافة الإسلامية فهى الحقيقة البناءة ، المرتبطة بالعلم والواقع والتى تهدف أساساً إلى اليقين المرتبط بالصدق فى معناه الذى حددناه ، والمرتبط كذلك بالمعتقد belief : لا معتقدى أنا وحدى ولا معتقد طائفة محدودة من الناس بل معتقد الآخرين ، كل الآخرين الذين أعيش معهم فى المجتمع .

القاهرة فى ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٧١ — يحيى هويدى

(٢)
النقوش السامية الجنوبية

للدكتورة زاكية محمد رشدى

النقوش العربية

تنقسم النقوش العربية إلى قسمين :

الأول : النقوش العربية الجنوبية وهى الأقدم وهى فرعان .

ويشتمل الفرع الأول على نقوش الكتابات القديمة وهى :

١ — المعينية . ٢ — السبئية . ٣ — الحضرمية . ٤ — القتبانية .

ويشتمل الفرع الثانى على نقوش اللهجات الحديثة وهى :

١ — المهرية . ٢ — الشحورية . ٣ — السقطرية .

والثانى : النقوش العربية الشمالية وتشتمل على أربع لهجات .

١ — اللحيانية . ٢ — الثمودية . ٣ — الصفوية . ٤ — العربية .

واللهجات الثلاث الأولى متقاربة وهى اللحيانية والثمودية والصفوية ولذلك نفرق بين قسمين من اللهجات العربية القديمة ، والخاصية المميزة للهجات الأولى أن أداة التعريف فيها هى الهاء ، بينما نجد أداة التعريف فى المجموعة الثانية هى « ال » .

وقد بقيت لنا بعض نقوش باللحيانية فى مدينة العلا فى شمالى الحجاز بالقرب من الحجر (— مدائن صالح) ، وقد سميت لغة هذه الكتابات باللحيانية لأنه ورد فيها ذكر ملوك لحيان ومنهم تلمى الذى ترجح أنه ترخيم Ptolemaeus حذفت منه الباء الساكنة التى فى أوله ومقطع (os) الذى فى آخره ، ولو صح ذلك لقلنا إن ملوك لحيان قد استعاروا أسماءهم من أسماء البطالمة ملوك مصر ،

وأن مملكة بنى لحيان قد قامت فى العلا فى القرنين الثالث والثانى قبل الميلاد أى قبل أن يستولى عليها ملوك النبط بقليل .

وقد عثر فى العلا على نقوش معينية ، واستنتج من ذلك أن أهل معين رحلوا من اليمن إلى العلا وأقاموا فيها لأن العلا كانت فى طريق القوافل بين اليمن والشام ، وكان أهل اليمن قديماً أو بمعنى آخر أهل معين وأهل سبأ يتجرون مع أهل الشمال سواء فى الحجاز أو فى الشام ، ولذلك احتلوا مدينة العلا وشيدوا فيها بيوتاً ومعابد كما فعلوا فى بلاد الحبشة عندما اتجروا مع الأحباش .

وقد اجتهد المستشرقون فى تفسير كتابات النقوش المعينية وتعذر عليهم ذلك لأن النقوش الباقية كلها مكسرة ، وفيها كلمات واصطلاحات مبهمة .

ولا ريب فى أن اللغة المستعملة فى النقوش اللحيانية لغة عربية فيها د ، ذ ، ت ، ث ، ع ، غ ، ح ، خ وفيها أيضاً صيغة أفعل للتفضيل وعلامة التثنية ، وكل هذا من خصائص العربية لا تشاركها فيها غيرها من اللغات السامية .

وقد وجدت نقوش أخرى فى جوار مدائن صالح ، وقد أطلق المستشرقون على النقوش التى تشتمل عليها اسم « الكتابات الثمردية » لأن أهل ثمود الذين ورد ذكرهم فى القرآن كانوا يسكنون فى منطقة مدائن صالح ، وصالح الذى أطلق اسمه على هـــذه المدائن هو صالح النبى « وإلى ثمود أخاهم صالحاً » . وقد وجدت كتابات من هذا النوع فى بلاد نجد ومدين ، والراجح أن أهل ثمود كانت تكتب ذلك الخط المسند ، وأن عشائر أخرى أخذت عنها ذلك الخط ؛ أو لعل الأمر على عكس ذلك أى أن أهل ثمود هم الذين استعاروا هذا الخط من قبائل كانت تسكن بلاد نجد ومدين . وعلى أى حال فيجب ألا يغيب عن بالنا أنه إسم صناعى أجمعت عليه آراء العلماء ، لعله صحيح ، ولعله خطأ .

وقد وجد بين الكتابات الثمودية نقش نبطى أضيفت إليه بعض كلمات ثمودية وهذا ترجمته :

« هذا القبر صنعه كعب بن حارثه للقيض بنت عبد مناة أمه التى ماتت فى الحجر سنة ١٦٢ فى شهر تموز . ولعن رب العالم من غير هذا القبر ومن فتحه حاشا أولادها ، ولعن من غير الذى كتب أعلاه » .

ولم يكن العرب يعرفون اللغة الآرامية فى آخر القرن الثالث الميلادى ولهذا نقش إلى جانبها الكتابة النبطية بحروف ثمودية . ونحن نعلم أن أهل الحجر كانت تكتب بحروف ثمودية ، ولكن الراجح أن الخط الثمودى لم يكن شائعاً منذ سنة ٢٦٧ م . إلا بين عدد قليل من الناس لأن المتن المهم كان يكتب بالنبطية .

وقد عثر على أكثر من ألف نقش ثمودى .

ومع أن النقوش الثمودية قصيرة ومبهمة الا أننا نعرف منها الخط الذى كانت تكتب به بعض قبائل العرب التى كانت تسكن الحجاز ونجد قبل الاسلام بأربعة قرون أو خمسة ، ونعرف منها أسماءهم وأسماء آلهتهم وبعض عاداتهم فى ذلك الزمان وهى النقوش التى عثر عليها فى العلا ومدائن صالح .

عندما نزل أهل معين فى شمال الحجاز : فى العلا ومدائن صالح أخذوا — فى أول الأمر — يكتبون كتاباتهم بلغتهم وبخطهم وكان هذا هو بداية العمران فى ذلك الاقليم ، وأغلب الظن أن أهل شمالى الجزيرة قد تعلموا الخط المسند منهم ، كما تعلم الأحباش الخط المسند من أهل حمير . ثم ملك على هذا الاقليم وعلى ما حوله من بلاد ملوك من أهله أى من بنى لحيان فكتبوا لغتهم بالمسند المسمى باللحيانى . وجاء النبط بعدهم واستعملوا الخط الآرامى واللغة الآرامية ، وظل الثمودى مستعملا عند العرب فى ذلك الوقت نفسه ، ولكن لا يعرف هل كان الخط الثمودى مستعملا أيام ملوك لحيان أيضا أم لا .

وثالث الخطوط المسندة عند عرب الشمال هو الخط الصفوى وقد سمى بذلك الاسم لأن النقوش المكتوبة به قد وجدت فى الحرّة الموجودة بين جبل الدروز وتلال الصفاة ، ولم يعثر عليها فى الصفاة نفسها ، ولكن المستشرقين اصطلحوا على تسميتها بذلك الاسم لأنهم لو أطلقوا عليها اسم الحَرِّية لما عرفنا أى حرة هى المقصودة . إذ المعروف أن بلاد الشام وجزيرة العرب تشتمل على حرات كثيرة ، ولذلك عرفت الحرة التى وجدت فيها النقوش الصفوية باسم تلال الصفاة ، وقد أطلق العرب عليها اسم جهنم الدنيا ، كما أطلقوا على دمشق اسم جنة الدنيا ، وهناك واحة إلى جانب الصفاة . والطرق فى الحرة وعرة لذلك كان العرب الذين يتنقلون فى قديم الزمان بين جبل الدروز والرحبة يسيرون غالبا بجوار الأودية النازلة من جبل الدروز ويضربون إلى جانبها . وفى هذه الأماكن عثر على النقوش وكان أكثرها ملقى على الأرض . فأما تواريخها فيظهر من بعضها أنها كتبت فى سنة حرب

النبط ، ولا ريب أن المقصود بها الحرب التى وقعت بين النبط والرومان سنة ١٠٦ م ، كما يظهر أن بعضها الآخر قد كتب سنة ١٨ من تاريخ البصرة وأن غيرهما قد نقش سنة ١٠٠ من نفس التاريخ أى من حساب الإيالة العربية أى أن أولاهما قد كتبت سنة ١٢٣ م ونقشت الثانية سنة ٢٠٥ م . ولهذا نقول أن أكثر النقوش الصفوية قد كتبت فى القرون الثلاثة الأولى بعد الميلاد . ويدل على ذلك أيضا اقتباس أهل الصفاة لاسم أذينة لأن هذا الاسم نادر عند العرب فى نجد وفى الحجاز ، ولكن أهل الصفاة أحبوا أن يطلقوا على أبنائهم اسم أذينة ويستعيرون الاسم من أذينة ملك تدمر ، ولهذا نجد كثيرا من النقوش الصفوية تشتمل على اسم أذينة وترجع إلى القرن الثالث .

وقد نسخ هذه الكتابات بعض الرحالة من أهل أوروبا وهم رحالة انجليزى اسمه Graham وآخر ألمانى ، وثلاثة من الفرنسيين . وحاول تفسيرها عالم يهودى فرنسى وآخر ألمانى ولكنهما لم يوفقا فى محاولتهما تمام التوفيق ، وجاء بعدهما المستشرق الألمانى ليتمان وعمل على حل رموز تلك الكتابة وكمل ما بدأه المتقدمان فوجد أن الأبجدية الصفوية تشتمل على ثمانية وعشرين حرفا ووجد أن اللغة التى استخدمها أهل صفاة فى نقوشهم هى إحدى اللهجات العربية .

والنقوش الصفوية تشتمل على أسماء أصنام كثيرة مثل اللات وبعل شمش ودشر وهى أصنام عربية أيضا ، وشيع القوم وهو إله يوصف بأنه لم يشرب خمرا.

وأداة التعريف فى هذه النقوش هى الهاء كما هى فى النقوش الثمودية .

تاريخ البحث عن النقوش العربية

من الأمور المؤسفة أن جمع النقوش العربية ونسخها سواء فى الجزيرة العربية موطن الخط العربى أو غيره من سائر البلاد العربية لم يلق أية عناية ردحا طويلا من الزمن . فانه على الرغم من وفرة النقوش الموروثة التى تبلغ الآلاف فى بعض الأماكن ، فان أكثر النقوش العربية لم تر النور إلى اليوم . ويرجع سبب ذلك إلى أنه لم يبذل فى سبيل النقوش العربية إلا مجهود بسيط وذلك لتعذر دخول الباحثين

الأوربيين للأماكن التى تقع فيها النقوش المهمة مثل خيبر ، والأماكن التى تحيط بالمدينة وبخاصة جبل سقيب الديب ، والصويدرة .

ولم تبدأ العناية بها إلا عند ما بدأ الباحثون المسلمون فى العناية بدراسة النقوش العربية : وأول رجل بذل شيئا من العناية بالآثار المنقوشة فى بلاد العرب ، كان الباحث الدمشقى عبد الغنى بن أحمد بن ابراهم النابلسى الذى خرج حاجا فى أوائل القرن الثانى عشر للهجرة سنة ١١٠٥ هـ (١٦٩٣ م) إلى المدينة ومكة من دمشق عن طريق سوريا ومصر الحجاز وقد حصل Alfred von krmer على النسخة الى تشتمل على وصف الرحلة التى جعل عنوانها « الحقيقة والمجاز فى رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز[1] » ونشر ترجمة ألمانية لأهم المعلومات التى اشتمل عليها سنة ١٨٥٠–٥١[2] . وقد أشار النابلسى فى القسم الثالث من هذا المؤلف إلى نقش عربى للسلطان الغورى الذى عثر عليه فى عقبة العرقوب ، كما أورد صورة لنقش عمارة مؤرخ سنة ٥٥٨ هـ للملك العادل نور الدين محمد بن زنكى.

وجاء بعده بفترة عدد من الباحثين المسلمين مثل عثمان رستم ، ومحمد طاهر الكردى ، ودكتور برامكى ، ومحمد حميد الله .

ثم تغير الحال فتمكن بعض الأوربيين من أن يجوسوا خلال الجزيرة العربية إما للبحث عن المعادن وإما للبحث عن الزيت ، وقد تمكن بعضهم من العثور على عدد كبير من النقوش بعضها مهم مثل نقش سد الطائف .

وقد تمكنت بعض الأفراد والبعثات العلمية من الحصول على تصريحات رسمية بالبحث عن النقوش . ومن أشهر الأفراد Harry St. Y.B. Philby وهو الذى اكتشف مجاهل الجزيرة العربية مع نبوغه فى النواحى الجغرافية والتاريخية والأثرية .

ومن البعثات : البعثة البلجيكية – وكانت مكونة من فيلبى وركمانز ، وليبنز – التى بذلت مجهوداً طيباً فى البحث عن النقوش العربية القديمة سنة

---

(١) مخطوط بخط النابلسى كتبه فى دمشق ، محفوظ بالمكتبة الأهلية النمساوية رقم ٧١٢

(٢) Des Scheizhs abd-d-Ghany en Nabolsi's Reisen in Syrien, Ist and II Part, Sb, Ak. Wien, V (1850), pp. 319-356, 823-841 ; III rd part ibid , VI (1851) pp. 101-139.

١٩٥١–٢ – وبلغ مجموع النقوش التى نسختها وصورتها نيفاً وثلاثمائة نقش ، وقد اشتملت أكثر هذه النقوش على عبارات دينية كطلب الغفران أو العفو أو السماح أو الإسترحام ، وأغلبها عبارة عن الشهادتين ، وهناك نقوش غير دينية : منها نقوش للتذكار ونقوش عمارة ، وشواهد .

ومن البعثات أيضاً البعثة الملكية الهولندية سنة ١٧٦٢–٣ التى كانت تحت إشراف C. Nipuhr (١) الذى نشر أربعة نقوش كوفية من بيت الفقيه وغلافقة وتؤباد بالقرب من تعز وكلها فى اليمن .

ومنها البعثة العلمية المصاحبة لحملة نابليون على مصر ، وقد استنسخت سنة ١٨٠٤ م أحد عشر نقشاً عربياً أثناء زيارتها لشبه جزيرة سينا (٢) وبعدها توالت أبحاث الأفراد والبعثات فقد استطاع المكتشف الألمانى Ubrick Josper von seetzen فى يوليو ١٨٠٩ م أن يقوم بعمل رسوم لثلاثة نقوش عربية أثناء زيارته لوادى المكتب فى جزيرة سينا(٣) .

كما أهدى دكتور Wilson إلى جمعيـــة Bombry branch of the Royal Asiatic Society فى ديسمبر سنة ١٨٤٢ م نقشين عربيين مؤرخين بسنتى ٣٢٦، ٤٧٢هـ (٤) .

وكذلك استنسخت البعثة البروسية إلى مصر التى كان يرأسها K. R. Lepsius أربعة نقوش عربية من شبه جزيرة سينا سنة ١٨٤٥ م نشرت فى الجزء السادس مجلد ٦ من الأطلس الكبير الخاص بهذه البعثة(٥) .

---

(١) Beschreibung von arabien aus eigenen Beolachtungen und im Lande selbest gesammelten Nachrichen (Kopen hagen 1772).

(٢) Description de l'Egypte ou recueil des observations et des recherches qui ont etè faites en Egypte pendant l'Expedition de l'armèe francaise, pabe par L.F. Panckouche antiquiteès, vol. V Plto. 22-25, 48-51, 56, 57, 73.

(٣) Fundgruben des Orients, II, Wien, 1811 p. 274. واللوحة المواجهة ص ٤٧١ رقم ١٤ ، ١٩ ، ٢٠

(٤) أرسلت إلى الجمعية فى أبريل ١٨٤٣ cf. Dr. Wilson, Fac similes of Two Arabic Inscriptions, in Cufi Characters from Tombstones in Southern Arabia, L BBRAS, I, 1844, pp. 239-243 with 2 facsimiles opposite p. 2.239.

(٥) Lepsius, Denkmaler aus Agypten und Äthiopien, vol VI abt. VI, Berlin, 1849, pp. 13, 30, Bl. 19 no 123.

وأول مجموعة كبيرة من النقوش العربية هى التى جلبها Charles Montagne Doughty (١) من شمال الحجاز وهى مكونة من ثمانية وأربعين نقشاً أكثرها من مدائن صالح وضواحيها : جبل إثلب وركب الحجر ، وبعضها من وادى الصافى وبغات الأخضر والأخضر وتيماء . وعند عودته إلى أوربا سنة ١٨٨٤م سلم نسخ هذه النقوش إلى Académie dәs Insicription et Bello-Lettres in Paris التى قامت بنشر صورها الشمسية فى نفس العام دون محاولة قراءتها (٢) .

وكذلك عثر Riçhard F. Burton (٣) الجيولوجى الإنجليزى سنتى ١٨٧٧–٨م على شاهد فى الطريق من عينونه إلى مغائر شعيب ولكن لسوء الحظ لا يعرف شىء عن مكانه الأصلى ، وكذلك اكتشف نقشاً عربياً آخر فى الحصن الذى يقع فى الأرض التى تجاور آلوّج وهو يشتمل على اسم أحمد بن طولون . كما عثر فى المكان الأخير على نقوش أخرى شديدة الغور فى الصخور الحمراء وتمتدلفترة تقرب من أربعة قرون .

وكذلك عثر Julius Eutinع (٤) سنة ١٨٨٣ م وما بعدها على بعض النقوش العربية منها خمسة فى شبه جزيرة سينا عثر عليها فى جبل ناقوس ووادى المكتب ، وبعضها من صخرة « غار الحمام » بالقرب من تيماء ونقش من تيماء وقد نشر J. Von. Karabacek (٥) ثلاثة من نقوش شبه جزيرة سيناء(٦) مع قراءتها .

---

(١) Travels in Arabia Deserta, Cambridge, 1888, I pp. 87, 121, 533 ; II p. 98.

(٢) Documents Epıgraphıques reueillis dans le Nord de l'Arabıc, Parıs 1884 .
لوحات ١ – ٨ ، ٢١ ، ٢٧ ، ص ١٠ ، ٢٩

(٣) The Land of Midian (revisited), London, 1879, I, P. 80 ; II pp. 152, 186, 189 fig 204.

(٤) Tagebuch einer Reise in Inner Arabien, I (Leiden, 1896), pp. 59 und fig; 152 II (Leiden 1914), pp. 200, 206, 236, 238.

(٥) W.Z. K.M., 5 (1891) pp. 314-317 (no. 333, 577, 581)

(٦) Sinaitische Inschriften (Berhin, 1891) pp. 2, 10, 74, 75 ; pl I no 2 d ; 4 no 58;18 933 (= Lepeius no 155) ; 32 no 577 (= Seetzen no 20 , Lepsıus no 123) ; 32 no 58 (= Description de l'Egypte no 73).

فى مطلع هذا القرن سنة ١٩٠٤ قام أنو ليتمان على رأس بعثة لجامعة برنستون إلى سوريا والبلاد المحيطة بها للبحث عن النقوش ، وقد عثر على عدد كبير من النقوش العربية قام بنشرها[1] وربما كانت الأحجار التى تحتوى على هذه النقوش قد اختفت منذ ذلك الحين أو نقلت من أماكنها إلى أماكن أخرى وقد نشرت هذه النقوش على النحو التالى :

١ — نقوش عمارة لمسجد ومبانى أخرى .

٢ — نقوش جنائزية .

٣ — مخربشات .

وترتب النقوش فى ترتيب زمنى وبعدها النقوش غير المؤرخة ، ولكن النقوش غير المؤرخة أقدم كثيراً من النقوش المؤرخة كما يظهر من خطها وتختلف مشتملات هذه النقوش بشكل واضح .

وأطول نقش معمارى يشتمل عادة على اسم الحاكم الذى شيدت فى عهده أو بأمره العمارة واسم الوالى أو الموظف الذى وكل إليه التنفيذ والتاريخ الذى انتهى فيه البناء وتسبق أسماء الولاة أو الموظفين فى كثير من الأحيان بألقاب كثيرة ، وأحياناً تنقش آيات من القرآن أو الجمل القدسية على الأعتاب مثل (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) .

وفى نقش عمارة الخَضِر اسم القديس المسلم المشهور الذى أنشىء باسمه المسجد .

ويبتدىء نقش عربى من دمشق بالكلمات (إنى أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم)

أما عن السحر فى العمارة الإسلامية والنقوش أنظر أيضاً ملاحظات Van Berchen فى وصفه لطلسم البوابة المشهور فى بغداد فى Sarr and Hertzfeld Archälogische Reise im euphrat and Tigrits-gebiet T. 1 p. 38.

ولكن أكثر الجمل الدينية والدعوات توجد فى مخربشات ، وقد نسخ عدد من شواهد القبور ، وتشتمل شواهد درعا على الشهادتين مثل أغلب شواهد القبور

---

(١) Syria, Publications of the Princeton Universiny archaeological Expiditions to Syria in 1904-5 and 1909, D Arabic Instriptions, Leyden, 1949.

المصرية : وهناك تعبير خاص يميز شواهد القبور فى إقليم بصرى مثل (بيت الحق بيت الله) ، (هذا بيت الحق) ويتبعها اسم القبور ، ويبتدىء شاهدان فقط بالبسملة وهذا قبر . وفى شاهد واحد الآية (بسم الله الرحمن الرحيم شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز (الحكيم) . وتوجد هاتان الآيتان فى عدد كبير من الشواهد فى مصر ، وتوجد عبارة (كل نفس ذائقة الموت) المأخوذة من سورة ٣ آية ١٨٢ فى نقش واحد موجود فى شمالى سورية وهى كثيرة فى شواهد مصر . وهناك شاهد لا يشتمل إلا على إسم المتوفى ودعاء له . . وطبقاً لعقائد الإسلام فان ملكى الموت يسألان الميت عن عقيدته ، وهذا هو السبب الذى من أجله تنقش الشهادة على كثير من الشواهد ، والذى من أجله ينشد المشيعون عبارة (لا إله إلا الله محمد رسول الله (طول الوقت الذى يسير الميت فيه إلى القبر .

وهناك دعاء للعون والنجدة أو الاستغفار وفى أحيان كثيرة يشير الكتاب إلى آبائهم فى الدعاء . وفى واحدة فقط تذكر اللعنة إلى جانب الرحمة وهى مخربشة فى الطريق بين عنز وتل عَبْدَمَرْ ونصها (اللهم لا تعف لسيار ابن على اللهم إعف ليحيى بن مروان) .

وجميع المخربشات عديمة القيمة كما تظهر ، ومع أنها ليست وثائق أدبية إلا أنها مع ذلك تقدم صورة حية لجزء من الحياة اليومية الإسلامية فى سوريا وبعضها قد كتب كطلاسم لحماية بيوت كاتبيها . وقد أهملت البسملة فى عدد كبير من الحالات وبخاصة فى المخربشات القصيرة .

وفى بعض النقوش عدة أمثلة للخط الكوفى البسيط ، وهناك أمثلة أخرى للخط النسخى الأيوبى والمملوكى ويمثل عصر الانتقال بين الكوفى والنسخى فى حالات قليلة .

وهناك نقشان واحد لنور الدين والد صلاح الدين الأيوبى وواحد لصلاح الدين نفسه .

وفى سنة ١٩٠٧ م اكتشف الأخوان Jaussen ، Savignac خمسة نقوش فى تبوك وقلعة الأخضر وكلها ترجع إلى العصر التركى . ثم اكتشفا ثلاث مخربشات سنة ١٩٠٩ م بين الكيلو مترين ٩٧٩ ، ٩٨٠ لسكة حديد الحجاز[١] .

وبعد ذلك بعشرين عاماً سنة ١٩٢٨ م صور Carl Rathiens and Herrmann von Wissmann ١٣ نقشاً عربياً عثر عليها بالقرب من مغارة « حلوة الديب » فى الطريق من عمران إلى صنعاء ونقشاً فى العاصمة فى فناء قصر الحز وعلى الحائط الحجرى خلف معبد الحُقَّة [٢] كما وجد Rathiens نقوشاً كوفية على الجانب الداخلى لسور « عَمْران » أثناء رحلته الثانية [٣] .

وقد اكتشف أقدم كتابة عربية فى المعبد النبطى الذى اكتشف على قمة جبل رم فى مخربشة يراد إرجاعها إلى عصر يوليان المرتد ، اكتشفها G. Horsfield [٤] سنة ١٩٣١ م . . وبعد ذلك بعام سنة ١٩٣٢م اكتشف Head, Horsfield Savinac بعض النقوش العربية فى « ممر الغزال » جنوبى جبل رم[٥] . وفى نفس السنة ١٩٣٢ م اكتشف المهندس Karl S. Twitchell [٦] عدداً من النقوش الكوفية جنوب شرقى المدينة فى منجم ذهب « مهد ذهب » وبعض نقوش كوفية مضلعة إلى الغرب من الطائف . وقد أخذ لبعضها صوراً شمسية . وفى السنة الأخيرة (١٩٣٤ م) وجد H.W. Ingrams [٧] بعض نقوش السائحين بالقرب من حسى Hisi فى حضرموت .

---

(١) Mission Archèologique en Arabie, I (Paris 1909), pp. 292-296 fig 109 p. 295

(٢) Vorislamische Altertumer (Rathjens von Wissmansche Sudarabien reise, II, Hamburg, 1932) P. 180, phot. 122, 181, phot. 123, 124 ; 182, phot. 125, p. 109 phot. 65 P.177, phot. 119.

(٣) Sabaeica, I (Hamburg, 1953), P. 29.

(٤) Revue Biblique, 41 (1932), P. 582 ; 42 (1933) P. 405 ; 43 (1934) PP. 572, 578, 590. cf. Grimme in RB 45 (1936) PP. 91-95.
وقد نشر Savignac النص فى RB, 44 (1935) ص ٢٧٠ ورسم ٢١

(٥) قارن تقرير Savigarac فى RB. عدد ٤١ سنة ١٩٣٢ ص ٥٨٣ ، ٥٩٠ ، ٥٨٩ رسم ٢ وقد صور G. Lanhester Harding سبعة من هذه النقوس نشرها Barambi فى ADAL ص ٢٠ — ٢٢ لوحة VII, VI مع نقشين

(٦) Saudi Arabia (Princeton 1947), PP. 76, 160

(٧) Gy, 88 (1936), P., 531

وكان نشاط عثمان رستم – الذى كان يعمل خبيراً فى ترميم المسجد النبوى فى المدينة سنة ١٩٣٥–٣٦ مثمراً بالنسبة لعلم النقوش العربية ، لأنه وجد عدداً كبيراً من النقوش العربية فى الجهات المحيطة بالمدينة أعنى جبل سلع (حيث يوجد آلاف النقوش العربية فى بير محمد أو بير النبى) بالقرى من « بير عروة » فى وادى رانونا على جبل أحد (١) . فى الطريق من المدينة إلى المشْفد ونقب الغار فى وادى السُّفيه بين مكة ومنى وفى بستان شهار (٢ كيلو متر جنوبى الطائف) (٣) ولم ينشر لسوء الحظ غير أحد عشر من هذه النقوش(٢) ونسخاً متطابقة لثمانية أخرى من النقوش(٣) .

وفى سنة ١٩٣٧ م اكتشف H. Rothert (٤) بعض النقوش الكوفية القديمة فى كلوة أثناء أبحاثه عما قبل التاريخ وقد أعيد استخراج اثنين منها .

وفى سنة ١٩٣٨ م رأى الحشرى الإنجليزى H, Scott (٥) على بعض الأحجار المبنية فى الناحية الخارجية من الحائط الشمالى الشرقى للمسجد الكبير فى صنعاء نقوشاً إسلامية قديمة .

وقد اكتشفت Miss. Freya Stark (٦) خمس مخربشات عربية فى حضرموت فى « سَيْق » (وادى مَيْفَعَة Maifea) وفى « قرن » Qarn بالقرب من عزّان التى نشرها John Walker (٧) .

---

(١) Rock inscription the Hijaz, a report by Osman R. Rostem, Supplèment aux Anarales du service des antiquitès de l'Egypte, fase ; 8 (Cairo 1948) PP. 2-10, 23

(٢) المرجع السابق ص ٢٤ – ٢٩ لوحت ٩ ، ١٠

(٣) المرجع السابق لوحات ٣ ، ٤

(٤) Transjordanien, Vorgesch·chtliohe Forschungen (Stuttgart 1938), Taf 30 facing p. 240 no 7. cf. the edition by L.A. Mayer, y pos, 16 (1936), pp. 12-13 and pl. I.

(٥) Transjordanien, Vorgeschichtliche Fosschungen (Stuttgart 1938) Taf. 30 facing p. 240 no f. cf. the ection by L.A. Mayes, Y POS, 16 (1936), pp. 12-13 and pl. I

(٦) In the High Gemen (London 1947), p. 129

(٧) Some Pre-Islamic Inscriptions on the Frankincerse Route in Southern Arabia, Y RAS, 1939, Pl. VIII

Note on the Arabic Graffiti, Musèon, 52 (1939), pp. 321-323 and Pl. IX

على حين نسخ H. St. Y. B. Philby [1] نقشاً عربياً وجد بالقرب من « وادى إتوَد » وقد رأى محمد طاهر بن عبد القادر الكردى[2] فى نفس السنة أثناء الحج عدداً كبيراً من النقوش العربية على جبل « سقيب الديبَ » وفى الصويدرة وسمع عن نقوش عديدة فى خيبر . وقد نشر محمد حميد الله[3] سنة ١٩٣٩ م ستة نقوش عربية وَجدت فى جبل سلع بالقرب من المدينة . كما اكتشف Nelson Glueck [4] نقشاً بالخط الكوفى البسيط يرجع إلى حوالى سنة ١٠٠٠ م . على عتبة قلاية راهب فى النواحى المسيحية فى « قلوة » .

وقد وجد المهندس Karl S. Twitchell [5] فى سنة ١٩٤١ م نقشاً عربياً فى منجم الذهب القديم فى «مهد ذهب» أعطى صورة منه لمايلز George C. Miles[6] لنشرها . وبعد ذلك بأربع سنوات سنة ١٩٤٥ م اكتشف تويتشل نقش الخزان المشهور بالقرب من الطائف مع مخربشة من نفس الخزان ، وإحدى عشرة مخربشة أخرى وجدها تويتشل وصورها على بعد ميل غربى الطائف وقد نشرها مايلز أيضاً [7] .

وكان للإكتشافات التى قام بها H. St. Y. B. Philby فى غربى نجد وأواسط الحجاز سنة ١٩٥٠–٥١ نتائج طيبة . فقد وضع مجموعته العظيمة من النقوش العربية — أكثر من ١٧٨ نصاً — فى متناول النشر وكان ذلك فى القاهرة

---

(١) The Land of Sheba, Gy, 92 (1938), Plate opposite p.5 (in the middle).

(٢) تاريخ الخط العربى وآدابه القاهرة ١٩٣٩ ص ٣٢١ – ٣٢٣ ص ٢٠٧ (٢ – ٥) وهو يذكر أيضاً النقوش التى على جبل سلع (ص ١٩٨ ملاحظة ١ ، ٢٠٦) .

(٣) Some Arabic inscriptions of the dinah of the Early years of Hijrah, Islamic Culture, 13 (1939), pp. 427-438, Pl. 8-10.
وقد أعاد ناصر النقشبندى نشر هذه النقوش فى سومر ٣ (١٩٤٧) ص ١٣٧ – ١٣٨ .

(٤) The other side of the Lordan (New Haven Conn. 1940) p. 44 and fig 15.

(٥) Saudi Arabia, reproduction opposite p. 77

(٦) 'Ali b. 'Isa 'spilgrim road : an inscript of the year 304 H (916/17 A.D.), BIE, 36 (1953/4) pp. 477-87 and fig. I (p.479)

(٧) Early Islamic. Inscriptionsnear Ta'if in the Higaz, JNZS, 7 (1948), pp. 236-242 Pl.17-18.

فى ٢٧ أبريل سنة ١٩٥١ . وكانت مصادرها الأماكن التالية : الغار بالقرب من درعيه ، حذيبة الحج ، شعب صويدرة ، خيبر ، المكتب ، الحرة ، شعب شُدَيْر الزيدية[١] بالقرب من خيبر . ومسقط حرضه ، وصخرة تيرن بالقرب من خيبر ، وطوير النبي فى قرين ، ومذهب ، وتيماء ، وسراية ، وبرق الربع ، وغيران البنات The ridge of Mahagga ، حبو شرقى ، خويلد ، وتويل سعيد ، وقوينى ، صخرة مندافن[٢] .

وقد عثرت بعثة فيلبي إلى نجران سنة ١٩٣٦ م على محصول آخر من النقوش العربية فى وادى سهى[٣] ، وقبر الأبيض ، وجبل حمراء ، ومقبرة نجران (الأخدود) وجبل سوداء بالقرب من الأخدود ووادى بديعة[٤] .

وقد رأى الأستاذ R.B. Serjeant سنة ١٩٤٧ نقشا كوفيا قديما فى المقبرة القديمة قرب مقبرة هود[٥] . وأخيرا اكتشف Henry Field[٦] نقشا عربيا فى الناحية اليمنى من البوابة التى تؤدى إلى مبنى قديم على جبل سيدى فى الركن الشمالي الشرقى لوادى سرحان . كما وجدت البعثة الدانماركية نقوشا عربية كثيرة[٧] .

---

(١) النقش المؤرخ الوحيد فى المجموعة عبية فى كنيست غدير (١٥٨ هـ) وقد نسخه فيلبى .

(٢) وقد أشار فيلبى إشارة عابرة إلى هذه النتائج النقشية فى The land of Midian, MEJ, 9 ص ١٢٠ ، ١٢٣ وفى The land of Midian (London 1957) ص ٩ ، ٣٠ ، ٣٥ ، ٤٣ ، ٤٥ وقد وجد فيلبى فى ضواحى تيماء نقوشاً عربية فى رذمة الهنوف ، وغدر الخمام ، وغدر التويته ، وتوسل سعيد ، وكذلك بالقرب من اتقليع (Wisma' Plateau) وقمة الأضم

The land Midian p. 87, 92, 101 f., 197, 238.

(٣) نشر Albert van den Brander, Les Textes Theme ovdeèns dPhilley, I. (Louvain 1956) p. 14 no 1606 (Bibiotheque du Musèon, vol. XI)
نفساً عربياً حديثاً من « نجد سهى » (حمى) .

(٤) Philby, Arabia Highlands (Ithaca 1952), pp. 204, 239, 251, 268, 272

(٥) Cf. Hud and other Pre-Islamic Prophets of the Hadramauwt, Musèon, 67, 1945 p.133

(٦) Papers of the Peabody Museum, 48 (1956), p. 62.

(٧) قارن : M. Hofnes, Die Sammlung Ed. Glaser, pp. 22 ff. (C3, 4,5,6,7)

وحينما زار الأستاذ الدكتور أحمد فخرى (١) المعبد السبئى القديم فى المساجد فى ١١ مايو سنة ١٩٥٩ م اكتشف أسماء عربية — هى فيما يظهر تابعة لمسافرين مارين بالمكان — على الأعمدة الواقفة خلف مظلة المعبد الكبيرة ولكنه لم ينسخها .

وأخيرا نشير إلي أن مجموعة ستامباخ Dr. Ed. Glaser وكذلك مجموعة Kaiky Munchajee فى متحف عدن تشتمل على عدد معين من النقوش العربية لا يعرف مصدرها وترجع الأخيرة إلي تاريخ حديث نسبيا — القرن الثامن الهجرى وما بعده — ومع استثناء أربعة شواهد مورخة بسنوات ٧٠٠ ، ٧٤٢ ، ٧٥٦ هـ محفورة على مواد معدنية . فقد صور الأستاذ خليل يحيى نامى أربعة شواهد فى متحف صنعاء — تاريخها حديث أيضا — وقد يكون من المهم أن نجمع ما يمكننا من صور النقوش العربية فى اليمن وفى محمية عدن لكى توسع معلوماتنا فى علم النقوش لأغراض دراسات علم الكتابة العربية .

أقدم نماذج الكتابة العربية الشمالية قبل الإسلام

النقوش العربية التى بقيت لنا من العصر السابق على الاسلام هى كما ذكرنا

أولا : نقش رم .

وهو خربشة عثر عليها Horsfield سنة ١٩٣١ على رأس جبل رم ، ويقع على بعد ٢٥ كيلو مترا شرقى مدينة العقبة . وقد نشر هو وSavignac بحثا عن معبد(٣)

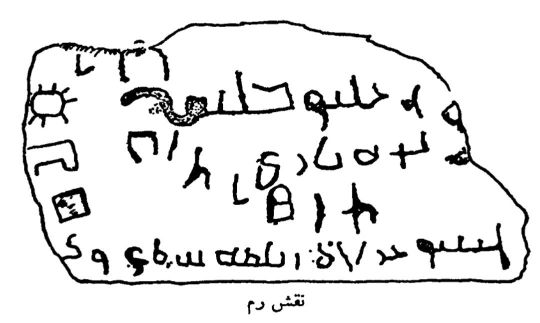
---

(١) الكتالوج الذى طبعه A. Jamme vol. I, Phot. 54, 55 ; II Prot. 40, 42, 44, 46, 55,56,59، 60. والفضل فى الإشارة يرجع إلى Pr y. Ryckmans (Cf.ıs review in Bibliotheca Orientalis56 (Leiden) Bı Or. 13 (1956)، pp. 70-72.

(٢) قارن : أحمد فخرى — أحدث الاكتشافات الأثرية فى اليمن . كتاب المؤتمر الثالث فى البلاد العربية ، المنعقدة فى مدينة فاس . فى المدة من ٨ — ١٨ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٥٩ — القاهرة ١٩٦١ — ص ٢٦١ .

(٣) أنظر M.R. Savignac et G. Horsfield, Le Temple de Ramm. Revue Biblique, XLIV 28 Avirl 1935, P. 270.

رم ضمناه وصفا لهذه المخربشة ، ثم نشر Hubert Crimme بحثا[1] تناول فيه حل رموزها وحاول فيه تأريخها وأورد فيه رسما لها .



نقش رم

وهذه الخربشة ثنائية اللغة : كتبت بالعربية والثمودية وخطها خشن ، وهى المخربشة العربية الوحيدة الى اكتشفت فى معبد رم ، والتى بقيت سالمة حتى تاريخ اكتشافها سنة ١٩٣١ م ؛ وتقع على الحائط الداخلى شمالي المعبد ناحية زاويته الشمالية الشرقية وتقع الكتابة الثمودية إلي يسار الكتابة العربية كما يظهر فى الرسم .

والراجح أن الكتابتين العربية والثمودية متعاصرتين ، وإن الأدوات للخربشتا بها واحدة ؛ وربما أوحى توزيعها على الحجر بأن كتابةالخربشة العربية قد سبقت كتابة الحروف الثمودية ، إذ أن الكتابة العربية تشغل حيزا أكبر بالنسبة لمساحة الحجر . وقد كتب السطر الثمودى الأول متعامدا على اتجاه الكتابة العربية أما السطر الثمودى الثانى فقد بدأ متوازيا مع الأول ؛ ثم أخذ ينحنى فى اتجاه أفقى تقريبا بين السطرين العربيين ؛

وتتكون الخربشة العربية من ثلاثة نقوش مختلفة ، كتب كل نقش فى سطر والنقشان الأول والثانى ناقصان من أولهما . أما النقش الثالث فناقص من آخره وهذه قراءة الخربشة .

---

(١) أنظر A Propos de quelque graffites du Temple de Ramm, Revue Biblique, XLV 10, Janvier, 1936, p. 90—95.

١ – وبر عليو كليصى

٢ – بر هبارك

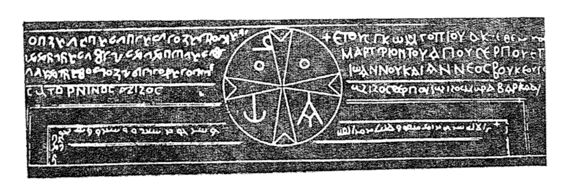
٣ – خبيئو بر المزتلمة (المسلمة) سطعر وك (تب)

ولم يبق من الاسم فى النقش الأول إلا رأس الواو ، أما فى النقش الثانى فقد ضاع الاسم كله . أما النقش الثالث فكامل من أوله ولم يبق إلا الواو والكاف من الكلمة الأخيره ، ويكون مرجحا أن تقرأ هذه الكلمة « وكتب » :

أما عن تاريخ نقش هذه الخربشات ، فالذى يغلب على الظن أن معبد « رم الوثنى » قد جدد أيام ارتداد يوليانوس عن المسيحية ، وأن الذين نقشوا هذه الخربشات هم بعض العمال الذين قاموا بهذا التجديد ، ولا يمكن أن يحدث ذلك فى مصر انتشرت فيه المسيحية إلا فى سنوات النكسة التى ارتد فيها يوليانوس عن المسيحية بين سنتى ٣٦١ ، ٣٦٣ م ، وذلك هو أنسب تاريخ لهذه الخربشات وتكون بذلك أقدم الخربشات العربية الباقية .

ثانياً : نقش زبد

وهو نقش مكتوب بثلاث لغات : اليونانية ، والعربية ، والسريانية ، ويرجع تاريخه إلى سنة ٥١١–١٢ م . وجد فى خربة زبد بين قنسرين ونهر الفرات سنة ١٨٧٩ م ولا يشتمل إلا على أسماء الرجال الذين بنوا الكنيسة ووضعوا فيها هذا النقش . وقد نشره زاخاو(١) . وكان ليدز بارسكى(٢) هو أول من بدأ بحل رموز هذا النقش على النحو التالى .



نقش زبد

(١) E. Sachau, Eine Dreisprachige Inschrift aus Zêbed, in Preussische Akademie der Wissenschaften, Berlin, 1881, pp.169—190., Sachau, Zua trilinguis Zebedaea, ZDMG 1882, S. 345—52.

(٢) Lidzbarski, Handbuch der Nordsemitischen Epigraphik, S. 484.

(بسـ) م الاله شرحو برمع قيمو برمر القيس وشرحو برسعدو وسترو و شريحو (كتبت هذه الكلمة بالسريانية) .

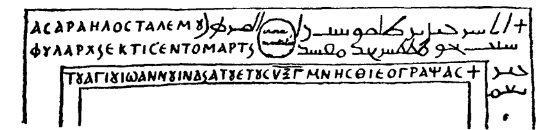
ثم قرأها ليتمان[١] : (بنصر) ر الاله شرحو برامت منفو وظى برمر القيس وشرحو بر سعد وسترو وشريحو ثم الكلمة السريانية

ثم أعاد ليتمان [٢] قراءتها على النحو التالى : (بنصر) ر الاله سرجو برامت منفو وهنيء برمر القيس وسرجو بر سعد وسترو وسريجو ثم الكلمة السريانية

ثالثاً : نقش حرّان .

اكتشف سنه ١٨٦٠ م . على حجر فوق باب كنيسة صغيرة بحران اللجا فى المنطقة الشمالية من جبل الدروز وهو مكتوب بلغتين العربية واليونانية ومؤرخ بسنة ٤٦٣ من سقوط سلع وتقابل سنة ٥٦٨ م ، أى قبل التاريخ الهجرى بأربعة وخمسين عاما ، وقد نشره شرودر[٣] وحل رموزه الأستاذ ليتمان[٤] وهذه قراءة الكتابة العربية .

أنا شرحيل بن ظلمو بنيت ذا المرطول سنت ٤٦٣ بعد مفسد خ (ي) بر بع (L) م [٥]



نقش حران

ويقول الأستاذ ليتمان أن مفسد خيبر انما يشير إلى غزوة أحد أمراء بنى غسان لخيبر ، ويستدل على ذلك بقول ابن قتيبة [٦] : ثم ملك بعده الحارث بن أبى شمر . وكان غزا خيبر ، فسبى من أهلها ثم أعتقهم بعد ما قدم الشام .

(١) Littmann, Osservazioni Sulle Iscrizioni di Harran edi Zebed, Revista degli Studi Orientali, 1911 p. 196.

(٢) ولفنسون ، تاريخ اللغات السامية، القاهرة ١٩٢٩ ، ملاحظات، ليتمان على الكتاب ص ٢٧٨ .

(٣) P. Schraeder, in ZDMG. XXXVIII 1884, pl. facing p. 350.

(٤) أنظر الهامش رقم ١ فى الصفحة السابقة

(٥) أما ترجمة القسم اليونانى فهى : أسس شرحيل بن ظالم سيد القبيلة مرطول مار يوحنا فى سنة ٤٦٣ من الأندقطية والأولى ليذكر الكاتب

(٦) كتاب المعارف (طبعة وستنفلد) : ٣١٢

رابعاً : نقش أم الجمال :

عثر عليه في كنيسة في الناحية الغربية من العقود الشمالية لوسط الكنيسة البحرية في قرية أم الجمال ، وعند اكتشاف هذه الخربشة لم يكن ظاهرا إلا جزء منها ، وكان الجزء الباقي مغطى بالملاط ، ثم رفع هذا الملاط حتى أصبحت قراءة الخربشة ممكنة ويقول الأستاذ Butter في وصف مكان الخربشة : « إن ارجاع هذه الخربشة إلي العصر المسيحي أمر لا يمكن انكاره لأنها كانت مغطاة بالملاط فترة من الزمن في الوقت الذي كان يجري فيه ترميم الجزء الداخلي من الكنيسة وزخرفته . وليس هناك أي دليل على أن المسلمين قد استخدموا هذا المبنى ، وكانت الخربشة مغطاة بملاط من نفس جنس الملاط الذي كان يغطي الأجزاء العليا ، وهو من أجود الأنواع التي كان يستعملها البناؤون المسيحيون في سوريا » .

ومن الصعب أن نجزم إذا كانت الخربشة قد اختفت تحت ملاط بناء الكنيسة ، أو ملاط الترميمات الأخيرة للكنيسة ، وعلى كل حال فليس هناك أي شك في أن هذه الكتابة عربية مسيحية من العصر السابق على الاسلام ، وقد نقشت على حجر من البازلت ، وقد نقشت حروفها بغير عناية ، وملئت بالطلاء الأحمر ، وقد تلف جزوها الأسفل بدرجة ضاع معها الجزء الأكبر من السطر الأخير . وأبعاد الحجر ٦٢ × ٣١ سم .

وتقع الخربشة على الجزء الأسفل من أحد العقود بداخل الكنيسة ، ويدل رسم حروفها على أنها ليست وثيقة رسمية تنتسب إلي بناء الكنيسة . ويختلف رسم حروفها عن رسم حروف نقشي زبد وحران ، فان حروفهما مضلعة نقشت بشيء من العناية ، بينما نرى بعض التدوير وعدم العناية في رسم حروف هذا النقش .

وقد نشر ليتمان بحثين عن هذه الخربشة : الأول سنة ١٩٢٦[١] والثاني سنة ١٩٤٩[٢] كما أشار إليها الأستاذ الهواري في بحث نشره عن نقش القاهرة سنة ١٩٣٠[٣] .

---

(١) Littmann, Die vorıslamısche-arabische Inchrift aus Ummig-Gımal, z. für Semitistik und verwandte Gebiete, Bd. 7, 1929, pp. 197 ff.

(٢) Syria, Publications of the Prınceton Uuniversity Archaeological Expeditions to Sria؍ 1904—5 and 1909, disision IV Semitıc Inscrıptions, Section D, Arabic Inscription s,Leyden, 1949.

(٣) Jaurnal of the Royal Asiatıc Society, 1930, p. 333.

ويصطدم حل رموز هذه المخربشة بكثير من العقبات ولم يتوصل العلماء إلي قراءتها قراءة مؤكدة ، ولا الوصول إلي معنى منسجم لالفاظها حتى اليوم . وآخر قراءة وصل إليها ليتمان لهذه المخربشة هي .

١ – الله عفرا لاليه

٢ – بن عبيده كاتب

٣ – العبيد ا على بنى

٤ – عمرى تنبه عله (ي) ه من

٥ – (يقرؤه)

والراجح أن قراءة السطر الأول محققة وكذلك الكلمتين الأولى والثانية فى السطر الثانى . أما الكلمة الأخيرة فانها لا تقرأ خيراً من (كاتب) ولكن يعكر صفو هذه القراءة أن الفتحة المحدودة المتوسطة لم تكن ترسم فى هذا العصر ولا فى القرون الأولي بعد الهجرة كما نرى فى كلمة « بعام » فانها ترسم « بعم » فى نقش نجران ، وكما نرى فى رسم المصحف العثمانى . ولهذا يقترح الأستاذ Pedersen من كوبنهاجن قراءتها « كريب » ومعناها رئيس القبيلة أو القائد ، مشتقة من الكلمة العربية الجنوبية « كرب » وتكون الراء منقوشة على الرسم النبطى كسائر الراءات فى النقش ، وفى هذه الحالة يجب أن نفرض أن الكلمة الأولي فى أول السطر الثالث هى اسم قبيلة . ولكن يرد على هذا الإقتراح أيضاً بأنه من غير المألوف وجود كلمات أو أسماء عربية جنوبية فى سوريا .

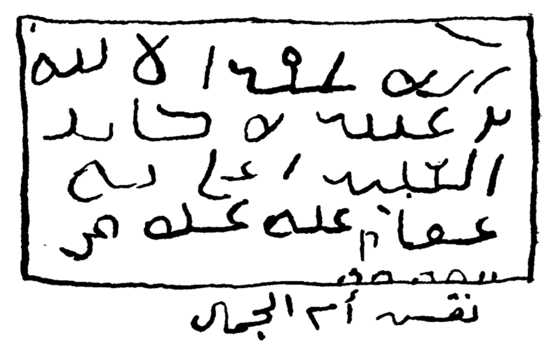
وقد قرأ ليتمان فى بحثه الأول سنة ١٩٢٩ الكلمة الأولي فى السطر الثالث الخبير أو الخليد ، ولكنه عاد فى بحثه الثانى فنبه على أن قراءة العبير هى أفضل قراءة ، وأشار إلي أن إسم العبيد معروف فى العربية الفصحى (١) وكلمة « عمرو » فى السطر الرابع إسم قبيلة نجده فى حالات قليلة ، ولكن هذه القبائل لم تسكن

---

(١) Ferdinand Wüstenfeld, Register zu den Qenealogischen Tabellen der Arabirchen Stârme und Familielen, mit historischen und geographischen. Bemerkung 8, Cottingen, 1883, 5. 343.

الصحراء العربية الشامية . وفى سنة ١٩٠٠ كانت هناك قبيلة إسمها « عمور » تسكن الرحبة وهى واحة إلي الشرق من جبال حوران . وكان ليتمان قد قرأ الكلمة التالية فى بحثه الأول « صل (وا) ولكن هذه القراءة مشكوك فيها كثيراً وربما كانت قراءة « تنبه » أكثر توافقاً مع آثار الحروف . وهو فعل ماض للرجاء أو التمنى .

وقد كتبت هذه المخربشة فى القرن السادس الميلادى ، إذ أنه يمكن إرجاع تاريخ هذه الكنيسة إلي هذا القرن . إذ أن النقشين العربيين السابقين على الإسلام يرجعان إلى هذا القرن أيضا فنقش زبد مؤرخ بسنة ٥١٢ م . ونقش حران تاريخه ٥٦٨ م .



نقش أم الجمال

نقوش القرن الأول الإسلامى

١ — سنة ٢٢ هـ نقش عمارة(١) .

وهو على جسر Batman Su وقد أكتشفه تايلور وقال عنه فى كتابه أنه

(١) نشر أولا فى Taylor travels in kurdistan. J.R.Q.S. XXXV p. 25
ونشر ثانيا فى Combe Sauvaget, V Weit (Reperetoite chronologique d'Epigraphie srob. Tom. I le Cairo 1931, Amida p. 33 no. I.
Elhawary J.R.A.S. 1930 p. 323—325.

فى سنة ٦٤٣ م بواسطة شخص اسمه عثمان ، وقد توهم أنه الخليفة عثمان بن عفان ثالث خليفة بعد الرسول ولكن فان برشم قال إذا كان هذا التاريخ صحيحاً فان هذه النسبة غير معقولة ولكن هذا التاريخ خطأ والحسر ما زال موجوداً . وعلى كل حال فهذا النقش إن ثبت صحة تاريخه فهو يعتبر أول نقش مؤرخ فى العصر الإسلامى . وبخلاف التاريخ لا يقرأ شىء آخر .

(٢) سنة ٢٩ هـ : شاهد بنى على حجر فى حائط كنيسة فى قبرص وينسب إلى مجهول نشره الهراوى والنقش محفوظ فى باريس تحت رقم ٥٩٧٥ وهو مصور فى كتالوج باريس ص ٤٩ ب[1] وقراءة النقش كالتالى :

بسم الله الرحمن الرحيم هذا قبر عروة بن ثابت توفى فى شهر رمضان سنة تسع وعشرين للهجرة .

(٣) سنة ٣١ هـ نقش شاهد القاهرة : وأبعاده ٣٨ × ٧١ سم عثر على هذا النقش الأستاذ الهوارى[2] أثناء بحثه فى شواهد القبور التى بالمتحف عند نشرها ، وهو يعد أول الشواهد فى الإسلام . وهو نقش وارد من أسوان يظهر أنه لأحد الجنود المسلمين الذين فتحوا مصر وقراءة النقش كما يلى :

١ – بسم الله الرحمن الرحيم هذا القبر
٢ – لعبد الرحمن بن خير (جبر) الحجرى (الحجزى) اللهم اغفر له ؛
٣ – وأدخله فى رحمة منك وآتنا معه
٤ – استغفر له إذا قرأ (ت) هذا الكتاب
٥ – وقل آمين وكتب هذا ا
٦ – لكتاب فى جمدى الا
٧ – خر من سنت إحدى و
٨ – ثلثين

---

(١) A.O.L. Part I p. 590, Fangan Extraits Relatifs au Magreb p. 5.

(٢) Wiet, Allrum, pl. I.
Hawary J.R.O.S. 1930 Pl. 3.
Littmaun Vor Islam-Arab. Inschrift, Zeitschrift für Semetistic Part 7 P. 201.

ويظهر من كتابة النقش أن حروفه بدائية ونستطيع أن نرى فيه رسم الياء في ثلاثة أوضاع ى ، ـــے ، ى



نقش القاهرة سنة ٣٦ هـ

٤ ـــ سنة ٥٨ هـ : نقش سد الطائف

عثر عليه Karl Twitchell سنة ١٩٤٥ . بينما كان يبحث عن المصادر المعدنية فى الحجاز . وجده على صخره إرتفاعها يتراوح بين ٢٥ ، ٣٠ قدماً من سطح الأرض وهو مكون من ستة أسطر . وقد اعتقد Karl أنه قد عثر على أقدم نقش تاريخى مؤرخ فى الإسلام . وهو منسوب إلي معاوية أمير المؤمنين والذى بناه هو عبد الله بن صخر . وقد أعطى هذا النقش لGeorge C. Miles فقام بفك رموزه ونشره(١) . وإليك قراءة النقش :

(١) 1. Journal of near Eastern Studies, V. 7, Part 4 October a1948 P. 236.
تحت عنوان Early Eslamic Inscriptions near Ta'if in the Higaz.

١ — هذا السد لعبد الله معوية

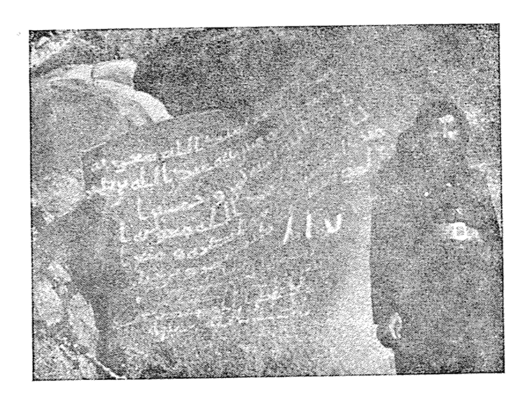
٢ — أمير المؤمنين بنيه عبد الله بن طهر (أو صخر)

٣ — باذن الله لسنة ثمن وخمسين ا

٤ — للهم اغفر لعبد الله معوية ا

٥ — مير المؤمنين وثبته وانصره ومتع ا

٦ — (ميرا) لمؤمنين به وكتب عمرو بن حباب



نقش سد الطائف سنة ٥٨ هـ

وهذا النقش فيه بعض كلمات منقوطة ، ويظهر من شكل النقط الموضوعة على الباء والتاء والثاء والنون والياء أنها وضعت حديثاً لإثبات أن النقط كان موجوداً قبل سنة ٥٨ أى قبل تاريخ كتابة هذا النقش لأن غور هذه النقط أقل من غور الكتابة نفسها .

٥ — سنة ٦٥ هـ : نقش عمارة[1] .

وهو نقش مشكوك فيه وهو موجود فى بيت المقدس ، وكل ما يمكن معرفته عنه ذكره قسيس فرنسيسكانى كان موجوداً فى القدس بين سنى ١٦٥١ ، ١٦٥٧

(١) نشر فى Clermont-Ganmaux Recueil d'archealogie orientale Par 2 P. 400.
C.I.A. Jerusalem Part 2, n 214, Part I P. 22 no. 1 Part 2 P. 237 no. 2, 3.
C.I.A. Egypt Part 2 P. 24 no. 2 Hawary J.R.A.S. 1930 P. 324—326.

وترك لنا وصفاً لقبة الصخرة ذكر فيه أنه بنى سنة ٦٥ هـ وقد نقد فان برشم كلام هذا القسيس وذكر أنه فى سنة ٦٥ هـ لم تكن قبة الصخرة قد بنيت لأنها السنة الأولي لعبد الملك وقد بنيت قبة الصخرة بعد عدة سنوات من بداية حكمه ، وقد أثبت هذا القسيس الخطأ الذى وقع فيه بعض من ظنوا أن قبة الصخرة قد بنيت فى زمن الخليفة عمر .

٦ — سنة ٦٩ هـ : نقش عمارة فى الفسطاط(١) .

وهذا نصه :

(هذه القنطرة أمر بها عبد العزيز بن مروان الأمير اللهم بارك له فى أمره كله وثبت سلطانه على ما ترضى وأقر عينه فى نفسه وحشمه أمين وقام ببنائها سعد أبو عثمان وكتب عبد الرحمن فى صفر سنة ٦٩(٢)) وقد ضاع هذا النقش منذ تهدم القنطرة .

٧ — سنة ٧٢ هـ : نقش عمارة من القدس

هو حزام طويل من الموزايكو فى داخل مبنى وفى ظاهره . الطول الكلى حوالي ٢٤٠ بالخط الكوفى البسيط ، حروفه متوسطة بدون نقط ولا شكل ، مذهبة على قاعدة من الأزرق(٣) وهذا هو النص الداخلى :

---

(١) المقريزى طبعة بولاق جـ ٢ ص ١٤٦

C.I.A. Egypt Part 2. no. 548—Reperetoire plate 7. .

(٢) ابن دقماق جـ ٤ ص ١٢٠ ، المقريزى طبعة بولاق جـ٢ ص ١٤٣ ، السيوط حسن المحاضرة جـ ٢ ص ٢٢٨ (خليج مصر) ،

Chronographia, P. 814.
C.I.A. Egypt Part 2 P. 2 n. 8.
Hawary J.R.A.S. 1930 P. 324, 326.

(٣) Franz, Baukunst P. 33. no. 18.
De Vogüê, Temple P. 85, XXI.
Fergusson Sepulchre P. 120.
Le Strange palastine P. 119.
Pef, Q. St. 1871, P. 164 etcq.
Diez, Kunst P. 15, 64 fig. 81.
Clermont-Ganneau Note Epigr J.A. 1887 Part I P. 484.
Gildemeister Arabic Nachrichter Z.D.P.V. Part 13 P. 14.
R.A.O. Part I P. 213 no. 1.
C.I.A. Jerusalem Part 2 n. 215, P. 237 fig. 35, Part 3 Pl. XIII.

بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله صلى الله (عليه وسلم) بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله — بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله وحده محمد رسول الله صلى الله عليه وملئكته ورسله والتسليم عليه ورحمت الله : بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله صلى الله عليه وتقبل شفعته يوم القيامة فى أمته . بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله صلى الله عليه بنى هذه القبة عبد الله الإمام المأمون أمير المؤمنين فى سنة اثنتين وسبعين تقبل الله منه ورضى عنه رب العالمين والحمد لله .

وهذا هو نص النقش الخارجى :

بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد (رسول الله) صلى الله عليه وسلم ورحمت الله . اللهم صلى على رسولك وعبدك عيسى بن مريم

والراجح أن التاريخ لا يطابق قيام عبد الله المأمون فقد كتب فى سنة ٧٢ ﻫ وهذا يخالف الواقع إذ أن عبد الله المأمون وجد مع القرن الثالث الهجرى . . وأصدق تحليل لهذا النقش أن عبد الله المأمون قد محا اسم عبد الملك من النقش وكتب اسمه مكانه، ونسى أن يغير التاريخ .

وهناك نقشان مكتوبان على لوحات نحاسية مثبتة على بعض أبواب قبة الصخرة ومؤرخة كذلك بسنة ٧٢ ﻫ . والجزء الأخير من كل منها يرجع إلي زمن المأمون ومؤرخ بسنة ٢١٦ ﻫ . تلك النقوش ما زالت ترى على قبة الصخرة وهى تعد أقدم كتابة إسلامية على الآثار (بعد كتابة نقش الفسطاط الذى ضاع بتهدم القنطرة التى كتب فوقها) .

والنقش الأول منهما أبعاده ٢٥٠ × ٧٠ سم تسعة أسطر بالكوفى البسيط بالحروف الصغيرة بغير نقط ولا شكل على قاعدة من اللون الأزرق وهذا نصه :

١ — بسم الله الرحمن الرحيم
٢ — وقيم السموات والأرض
٣ — كل ملك لك ومنك وإليك مصيره رب العزة

٤ — الرحمن الرحيم وسعت رحمتك كل شيء سبحنه وتعلى عما يشرك المشركون نسئلك اللهم بر

٥ — حمتك وأسمائك الحسنى وبوجهك الكريم وسلطنك العظيم وكلمتك التامة التى بها تقوم السموات والأرض و

٦ — بها نعصم برحمتك من الشيطن وننجى بها من عذابك يوم القيمة وبنعمتك المسبغة وفضلك العظيم وبحلمك وقد

٧ — رتك وعفوك وبجودك أن تصلى على محمد عبدك ونبيك وتتقبل شفعته فى أمته صلى الله عليه والسلم عليه ورحمت الله و

٨ أ — مما أمر به عبد الله عبد الله الإمام المأمون أمير المؤمنين أطال الله بقاءه فى ولاية أخى أمير المؤمنين إلي إسحق بن أمير المؤمنين فى شهر ربيع الآخر سنة ست عشرة وما (ئتين)

٨ ب — مما أمر به عبد الله عبد الله الإمام المأمون أمير المؤمنين أطال الله بقاءه فى ولاية أخى أمير المؤمنين أبى

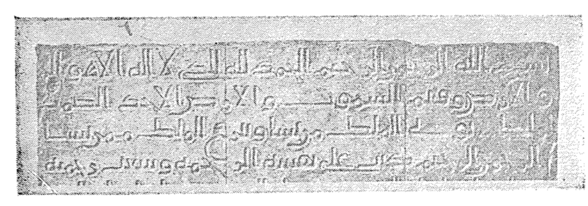
٩ ب — إسحق بن أمير المؤمنين الرشيد أبقاه الله وجرا على يدى صلح بن يحيي مولي أمير المؤمنين فى شهر ربيع الآخر سنة ست عشرة ومائتين .

أما النقش الآخر فنصه كالآتى :

١ — بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى لا إله إلا هو الحـ
٢ — والأرض وقم السموت والأرض الأحد الصمد
٣ — لملك توتى الملك من تشا وتنرع الملك ممن تشا
٤ — الرحمن الرحيم كتب على نفسه الرحمة وسعت رحمته[1]

---

(١) Z.D.P.V. Part 34 P. 57
C. I.A. Part 1 p. 18 n. I, part 2 p. 219 no. 9, p 253-255, 270, 452. Van Berchem, inscriptione Arab de Syrie, M. I. E. part 3 p. 424-427.
C. I. A. Egypt, I, p. III, XIV, 695 ; II p. 24, no. 2.
Hawary, J.R.A.S. 1930, p. 324, 326.



نقش قبة الصخرة سنة ٧٢ هـ

وهناك نقش آخر من القدس (١) على لوح من النحاس أبعاده ٢٥٠ × ٣٠ سم ومكون من ستة أسطر بالخط الكوفي البسيط بالحروف الصغيرة وإليك نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم محمد عبد الله ورسوله صلى الله على محمد عبده ونبيه والسلم عليه ورحمت الله وبركته ومغفرته ورضوانه .

٨ — سنة ٨١ هـ نقش برقة (٢)

وهو نقش عمارة على عتبة باب قصر برقة في شمال بلاد العرب وهو من ثلاثة أسطر بالخط الكوفي البسيط والحروف الصغيرة باسم الأمير الوليد بن عبد الملك قبل أن يعين خليفة وربما بنى هذا القصر كقصر يمضي فيه أياما للراحة والمرح ونصه كالآتي :

١ — بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما

٢ — بنا الأمير الوليد بن أمير المومنين هو

٣ — (. . .) وب

٤ — سنة وحدة وثمنين

---

(١) C.I.A. Jerusalem, 2, no. 217
C.I.A. Jerusalem, I, p. 18, no. I, II p. 219 no. 9, 270
Van Berchem, Inscr. ar. de Syrie, M.I.E. III, p. 424
Z.D.P.V. XXXIV p . 57
C.I.A. Egypt. I, p. 695 ; II, p. 24, no. 2.
Hawary, J.R.A.S. 1930, p. 324, 326.
Field, Early Man in north Arabia, Natural history ; 29 p. 41, 43
Hawary. J.R.A.S. 1930, p. 324, 327, 328, 329, plate 4.

٩ — سنة ٨٥ ﻫ نقش متحرك[1]

هو كرة من النحاس كتب عليها .

حملت هذه الكرة من الأمير خالد بن يزيد بن معاوية

١٠ — سنة ٨٦ ﻫ نقوش الطريق

(ا) نقش خان الحثرورة [2] من المرمر ٤١ × ٤٠ سم سبعة أسطر واضحة بالخط الكوفى البسيط بالحروف الصغيرة بغير نقط ولا شكل عثر عليها فى سنة ١٨٨٤ ، فى خرائب خان الحثرورة على طريق أريحا ثم حول إلي القسطنطينية وحفظ فى متحف العثمانيين وهو Tshinili Kyöshk فى أول النقش سطران أو ثلاثة ينقصون لأنه مكسور من أعلاه .

(سطران أو ثلاثة)

١ — وسلم (أمر بعمارة)

٢ — هذ (١) الطريق و

٣ — صنعة الأميال عبد

٥ — مير المومنين رحمت الله

٦ — عليه من دمشق إلي هذا

٧ — الميل تسعة ومائة ميل

---

١ — ابن القفطى طبعة lippest ص ٤٤٠ . طبعة القاهرة ص ٢٨٦ نللينو . علم الفلك ص ١٣٧

Hawary J.R.A.S. 1930, p. 324, 328.

(٢) Clemmont-ganneau, notes d'epigr., J.A.7, 1874 I. 474, Part I. R.A.O. part I, p. 202

C.I.A. Jerusalem, I, no. I, p. 18 no. 5, 19 no. 2, 20, 21, 22, etc.

Clermont ganneau, Album des antique arient. p. XLVII.

Van Berchem, Inscription Arab de Syrie, M.I.E. III p. 418, 323 no. I, R.A.O. III, p. 287, 288.

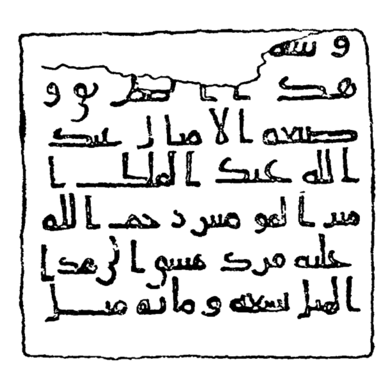
Encyclopèdie, I, p. 388, 393.

C.I.A. Egypt, I, p. 694, II p. 24, no. 2.

C.R.A. I. B, 1896, p. 306.

Marcais, Manued, I, p. 269, n. I.

Van Berchem, Notes dàrcheologie, J.A. 1891, II, p. 171.



نقش خان الحثورة

(ب) نقش باب الواد[1] . وهو لوح من حجر الطباشير الأبيض مكسور من أعلاه ، أبعاده ٥٧ × ٣٩ سم ، وجد فى خرائب كائنة على بضعة أمتار إلى الشمال من برج باب الواد على طريق الرملة ، ثم حمل إلى باريس وحفظ فى متحف اللوفر ، ويشتمل على خمسة أسطر من نفس نوع النقش الأول وبنفس الحروف ، ويوجد به بعض علامات النقط وقراءاته كالآتى :

(ثلاثة أو أربعة أسطر . . . أمر بعمارة هذا)

١ — الطريق (وصنعة الأميال)

٢ — عبد الله عبد الملك

(١) Cf. Hezlzld, Ausgrab. aus Samarra, I, p. 11.

Publication : Largrange, Vnsecond milliare, R B, 194, p. 136

Van Berchen, Inscr. ar. de Syrie, MIE III, p. 419 ; C.I.A, Jerusalem I, no. 2, CRAIB, 1894, p. 28 ; C.I.A.

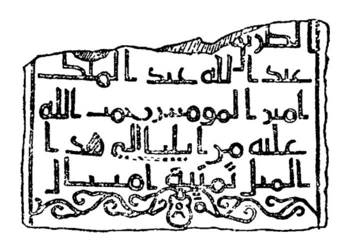
Jerusalem, I, p. 21, fig 2, III, pl. I Strzygowski, Ornamente, Islam, II, p. 335, fig 38 ; CRAIB, 1894, p. 37.

C.I.A, Egypt, I, p. 694 no. I, 695-697.

٣ ــ أمير المومنين رحمت الله

٤ ــ عليه من إيليا إلي هذا

٥ ــ الميل ثمانية أميال



نقش باب الواد

(ج) سنة ٨٦ هـ ــ نقش دير التلت

لوح من المرمر مكسور من أعلاه من ناحية اليمين عثر عليه سنة ١٨٩٦ م فى دير اليونان (خوزيبا) إلي الشمال من طريق أريحا ، أبعاده ٣١ × ٣٩ سم وهو ستة أسطر مقروءة بالخط الكوفى البسيط والحروف الصغيرة ناقصة من اليمين وقراءته كالآتى :

(أربعة أو خمسة أسطر . . . أمر بعمارة هذا)

١ ــ (وصنعة الأمير) ال عبد

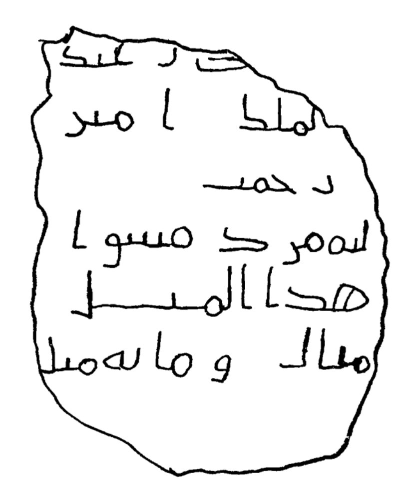
٢ ــ (الله عبد) الملك أمير

٣ ــ (المومنين) رحمت ا

٤ ــ (لله ع) سليه ن دمشق ا

٥ ــ (لي) هذا الميل

٦ ــ (سبعة) ؟ (أ) ميال ومائة ميل



نقش دير القلت

(د) نقش أبي جوش . لوح من الحجر الجيري مكسور من أعلاه على الشمال ، ناقص من أسفله إلى اليمين . وجد سنة ١٩٠٢ م في حفرة من الأرض بجوار كنيسة أبي جوش على طريق الرملة ومحفوظ في دير بندكتنر في هذه الناحية . أبعاده ٣٠ × ٣٠ سم وهو خمسة أسطر من الكوفي البسيط بالحروف الصغيرة وهو من نفس نوع الكتابة في النقوش السابقة . وهو كالآتي :

(ثلاثة أو أربعة أسطر . . . (أمر بعمارة هذا)

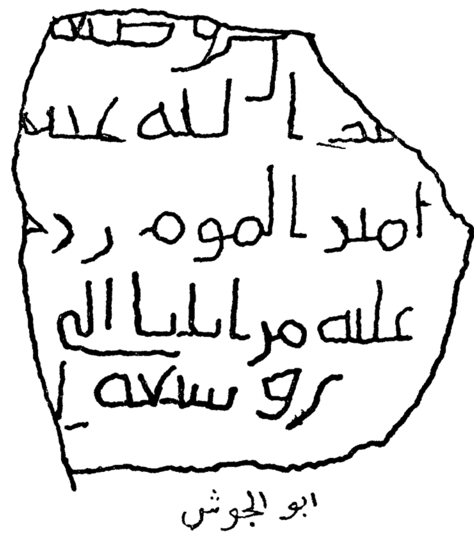
(١) (الطر يـ) وصنع) ة الأميال

(٢) ع(بد الله عبد (الملك)

(٣) أمير المؤم (نيـ)ن رحـ (مت الله)

(٤) عليه من ايليا إلى (هذا الميل)

(٥) وسبعة أ (ميال)



ابو الجوش

والكتابة فى نقوش الطريق يمكن أن توضح لنا شيئا من تاريخ الأمويين ، فاذا قارنا هذه النقوش بعناية فسنستطيع تقسيم حروفها إلى نوعين مختلفين ؛ هما النقوش ١ ، ٣ من ناحية والنقوش ٢ ، ٤ من ناحية أخرى . فى النقوش ١ ، ٣ نجد القاعدة أكثر انقفالا والأحرف أحسن تكوينا والعصوات عمودية ، وهناك تشابه بين تقسيم الأسطر من ١ ، ٣ من جهة وبين تقسيم الأسطر ٢ ، ٤ من جهة أخرى . وأخيرا فى النقوش ٢ ، ٤ نجد لها قاعدة زخرفية على شكل أوراق الشجر المستديرة التى لا نراها فى النقوش ١ ، ٣ . والنقوش ١ ، ٣ تحدد طريق دمشق بيت المقدس محددة من دمشق ، والنقوش ٢ ، ٤ تحدد طريق بيت المقدس الرملة (اللد) . ونستطيع أن نستنتج أن النقوش ١ ، ٣ قد صنعت فى مصنع واحد حيث تقع أريحا ـ دمشق ؛ وربما كانت النقوش ٢ ، ٤ قد جاءت من جهة واحدة أخرى وموقعها فى القدس .

والنقوش الأربعة واحدة فى منطوقها فيما عدا أسماء الأمكنة وذكر العدد . وهى تحدد أسماء الأعلام مسبوقة بعبارة عبد الله متبوعة بلقب أمير المومنين ، كما أن بيت المقدس هنا قد استبدلت بالاسم الذى يحبه العرب وهو إيليا .

ونلاحظ هنا أن كلمة الميل معربة . وكان لها فى هذه الفترة معنيان أى الميل — وحجر الميل . ولا نستطيع أن نحدد على أى قاعدة كانت تقوم هذه الأحجار فربما كان بداخل حائط ومن ثم نستطيع أن نتخيله كبناء بسيط تحمل قاعدته النقش .

وهذه النقوش تحمل مشكلتين معقدتين الأولى أثر الطريق والثانية قياس الأميال .

أما عن قياس الأميال فمن المؤكد وجود أربعة نقوش يساعد تماما على تحديد طول الميل ولكن واحدا من هذه النقوش لم يوجد فى مكانه وقد أشار P. Vancent إلى أننا نعطى للميل قيمة أكثر من قيمته ؛ فكان وجود النقشين ٢ ، ٤ لا يطابق موضعهما . ونستطيع أن نقول أن النقش الأول قد اكتشف فى خربة وأن الثالث قد وضع فى دير ؛ فالواضح اذن أن النقوش الأربعة قد تغيرت أماكنها إذ أنها اقتلعت من أماكنها منذ زمان طويل ربما كان فى نهاية القرن الثانى الهجرى ونحن نعرف أن الخليفة المأمون قد خرب كل نقوش الأمويين أو أنه محا أسماءهم لكى يضع اسمه مكانها ومن هذه الحقيقة نستطيع أن نعرف لماذا لم توجد هذه النقوش فى أماكنها

أما بخصوص طول الميل الذى كان يستخدمه العرب فعندنا الأرقام ١٠٩ ، ١٠٧ أو (١٠٨) إلى دمشق وهما فى نقشين متتاليين . ولكن الظاهر أن العلامتين استعملتا مرتين قبل العصر الأموى ولكنها لم توجدا فى موضعهما وأنهما اكتشفا على حافة الطريق الذى تعينانه أو على بعد قليل منه ، ويصبح من المتعذر تحديد موقعهما نظراً لبعد هذا الطريق .

وطريق النقشين ٢ ، ٤ لن يؤدى إلى الرملة التى أسست فيما بعد بواسطة الخليفة سليمان ولكنه يؤدى من غير شك إلى اللد التى أصبحت بعد الرملة أهم موضع فى فلسطين .

أما عن طريق دمشق فلا نعرفه على الإطلاق لكى نحدده . وقد حاول نللينو استخراج قيمة الميل الأموى أو العباسى من حساب جغرافى مثل الاسطخرى المقدسى كما حاول أيضاً فان برشم ولكنهما لم يصلا إلى نتيجة فالميل عند نللينو هو ١٩٧٣ متراً وهو عند فان برشم ١٩٦٩ متراً (ولكن هذا التوافق ليس إلا صدفة) .

١١ — سنة ٨٧ هـ نقش عمارة — دمشق

فى الجامع الأموى وهو نقش على الموزايكو مذهب على قاعدة زرقاء وهو مكون من قطعتين ، القطعة الأولى نصها كالآتى :

(أ) ربنا الله لا نعبد إلا الله أمر ببناء هذا المسجد وهدم الكنيسة التى كانت فيه عبد الله الوليد أمير المؤمنين فى ذى الحجة سنة سبع وثمانين .

والقطعة الثانية ونصها كالآتى :

(ب) بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا نعبد إلا إياه ربنا الله وحده وديننا الإسلام ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم أمر ببنيان هذا المسجد وهدم الكنيسة التى كانت فيه عبد الله أمير المؤمنين الوليد فى ذى القعدة سنة ست وثمانين .

١٢ — سنة ٩٢ هـ نقش خرانة

وهو فى قصر على يمين الداخل محفور بالأسود على الحائط مكون من أحد عشر سطراً بالكوفى البدائى وقراءته كالآتى :

١ — اللهم ارحم عبدك عبد الملك ابن عبيد (؟) واغفر له .
٢ — ذنبه ما تقدم وما تأخر (ثلاث كلمات) اعلن (؟) .
٣ — وما (كلمه) من نفسه (أربع كلمات) .
٤ — (خمس كلمات) على (أربع كلمات) .
٥ — (أربع كلمات) اللهم (ثلاث كلمات) .
٦ — (كلمه) منه (كلمتان) وما تحه أمين رب العلمين (كلمه) .
٧ — (كلمه) وغفر ور (حم) الله من قرأ ثم قال أمين رب
٨ — (ثلاث كلمات) وكتب عبد الملك بن عبيد يوم

٩ — (ال) اثنين لثلث بقين من القعدة من سنة اثنين وتسعين
١٠ — (ثمان كلمات) ولله فى الدنيا
١١ — والآخرة

١٣ — مخربشة خرانة.

يوجد على يمين النقش السابق وهو لعبد الملك بن عبيد ، ثلاثة أسطر بالألوان بنفس نوع الكتابة :

١ — (بسم) الله الرحمن الرحيم
٢ — اغفر لعبد الملك بن عبيد
٣ — (سبع كلمات)

١٤ — ٩٦–٧ هـ نقش مقياس جزيرة الروضة .

هو أقدم نقش عربى معروف فى مصر بعد نقش القاهرة (عبد الرحمن) وهو مكتوب فى بروز على عمود مقياس جزيرة الروضة معين ١٥ ، ١٧ مكعباً وقد أرخ بسنة ٩٦–٧ هـ أثناء حكم سليمان ابن عبد الملك وهو مكون من ثلاثة جمل مكررة أربع مرات وغير مؤرخة ولكن كل المؤرخين أثبتوا أنه قديم قدم المقياس نفسه . وهو مكتوب بالخط الكوفى البسيط بالحروف المتوسطة البارزة وإليك النقش :

سبع عشرة ذراعاً — ست عشرة ذراعاً — خمس عشرة ذراعاً .

١٥ — سنة ١٠٠ هـ نقش قصير عامرة .

وهو نقش يونانى عربى عبارة عن أربع كلمات وهى :
النجاشى — كسرا — روذريق — قيصر .

١٦ — سنة ١٠٠ هـ نقش خربة نيتل .

قطعة من الحجر ٤٤ × ٣٧ سم ثمانية أسطر بالكوفى البسيط ونصه :

١ — اللهم اغفر لعبد
٢ — العز (ي) ز بن الحرث بن
٣ — الحكم ما تقدم من ذ
٤ — نبه وما تأخر وعر

٥ — ف بينه وبين ذريته ٦ — فى مستقر من ر
٧ — حمتك وأو (رطه على) ٨ — حوض محمد

١٧ — سنة ١٠٠ هـ نقش عين صوفيا

قطعة من الحجر الطباشيرى محدودة بخط مستدير أبعادها ٥٨ × ٦٧ سم سبعة أسطر بالكوفى البسيط بحروف صغيرة محفورة محفوظة بمتحف بيروت رقم ٢٣٩ وإليك النص :

١ — بسم الله الرحمن الر (حيم لا إله إلا الله وحده لا)
٢ — شريك له محمد ر (سول الله أرسله بالهدى ودين)
٣ — الحق ليظهره ع (لى الدين كله ولو كره المشر)
٤ — كون أمر ببنيا (ن . . . خمسة كلمات)
٥ — أمير المؤ (منين . . . ستة كلمات)
٦ — قام ع (لى . . . سبع كلمات)
٧ — راسد

والأمانة العلمية تحتم على أن أوضح فى نهاية بحثى هذا أن الجزء الأول وهو الخاص بالنقوش الكنعانية والآرامية هو عبارة عن عدة اكتشافات ودراسات قام بها الأستاذ المستشرق ليتمان وألقاها على طلبة كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٢٨ م . وقد تفضل الأستاذ الدكتور محمد حمدى البكرى رئيس قسم المكتبات وأهدانيها مشكوراً فقمت بتسجيلها مع بعض الزيادات البسيطة إلى جانب الجزء الآخر من النقوش وهو الخاص بالسريانية والعربية ، والذى قمت باستخلاصه وجمعه من كتب أجنبية عديدة محاولة أن أجعل الكل وحدة بحيث يستطيع الدارس لهذه النقوش المختلفة أن يجد مرجعاً لها باللغة العربية ولا يتوه فى متاهات الكتب الأجنبية الكثيرة والدراسات المستفيضة التى دارت حول هذا الموضوع .

المراجع الأفرنجية

1. Ahlenstiel Ængel, Arabische Kunst.
2. Amari, Le epigraphie arabe die Sicilia, Parte Seconda, Inscrizionisepolcrali, Palerme, 1879 1885.
3. Arnold, Painting in Islam, Oxford, 1928.
4. Arnold and grohmann. The Islamic Book, The Pegasus Press, 1929 .
5. Becker, Das Wienes Qusair Amra Werk, Zeitschrift für Assyriologie.
   » , Islamstudien, I, Leipzig, 1924.
7. Van Aerchem, Srabische Inschriften aus Armenien.
8. » » , Auxpays de Moab, Journal des Savants, 1909.
9. » » , Inscriptions arabes de Syrie.
10. » » , Lettre à Barbies de Meynard, dans Journal asiatique, 1892.
11. » » , Materiaux pour un Corpus inscriptionum arabicarum Egypte, dans Wiet, Materiaux pour un Corpus inscriptionum I-III.
12. » » , Jerusalem, dans Memoires de l'institut français d'ar" gieologre. orientale.
13. » » , Recherche archealogiques, Journal asiatique, 1895.
14. » » , Notes d'archeologie, Journal asiatique, 1891, 1892.
15. Clermont-gannaux, Album des antiques orientalles.
16. » , Notes epigraphique, dans Journal asiatique, 1887.
17. Dietz , Die Kunst der islamischen Volker, Berlin, 1915-1922.
18. Duval , Les dialects neo-aramiens de Salamas.
19. » » , Inscriptions Syriaque des Salamas en Perse, Journal Asiatique 8eserie, Paris, 1885.
20. Encyclopèdie de l'Islam.
21. Fischer, Zu Musil's Zwei arabische Inschriften, in Zeitschrift de Deutche M. g.9 TXII.
22. Flury, Schrift band, in Islam, VIII.
23. Franz, Die Baukunst des Islam, Darmstadt, 1887.
24. Gluck et Dietz, die Kunst des Islam, Berlin, 1925.
25. Grimme, Hubert, Aropos de quelque graffites du Temple de Romme, dans Revue Biblique, Janvier, 1936.

26. Guidi, L'arabie ante islam.

27. Hartmann, Zur Inschriften von Namara, in Orientalische Literatur Zeitung 1905.

28. Halevg, Melange d'epigraphie et d'archeologie semitiques.
» , L'inscription nabateo arabes d'En Nemara, in Revue Semitique, 1903.

29. Hawary, The Most Ancient Islamic monuments, in Journal of Roya Asiatic Society, 1930.

30. Herzfeld, Der Wandshmuch der Buten von Samarra und sein Ornametik, Berlin, 1923.

31. Herzfeld, Die ausgrabungen aus Samarra, Berlin 1923.

32. » , Die Qubbat al sakhra, in Islam, II.

33. Jussen et Savignac, Mission archèologique en Arabie, 4 vols Paris 1909 1914.

34. Kugener, Notes sur l'inscription de Zabed, in Journal Asiatique, 1907, I.

35. » , Nouvaux note sur l'inscription de Zebed, in Revista degli Studi Orientali, I.

36. Lidsbarski, Ephemeris fur semitische Epigraphik nebestaugewahlten, Wiemar, 1893. Inschriften, Giesen, 1911.

37. » , Handbuch der nordsemitischen Epigraphik, 2 vols. Wiemar 1893 1998.

38. Littmann, Osservasioni sulle Inscrizioni di Harran et di Zebed, in Revieta degli Studi Quentali, 1911.

39. » , Division III, section A, part 5, Nabatian Inscriptions.

40. » , Norislamisch-arabisch Inschrift aus Umm-iggimal, in Zeitschrift fur Semitstik, Bd. VII, 1929.

41. Miles, George, Early Islamic Inscriptions near Ta'if in theHigaz, in Journai of the Near Eastern Studies, part 4, October, 1948.

42. Mortiz, Arabic Paleography, Cairo, 1904.

43. Peiser, Die Arabishe Inshriften von En-Namara, in Orienta lische Literatur Zeitung, 1903, 1904.

44. Sachau, Zu trilinguis Zabedaea, in Zeitschrift fur Deuche Morgenlandische Geselschaft, 86.

45. Sauvaire, Description de Damas, dans Journal Asiatique 1896.

46. Savignac et Horsfeld, Le Temple de Ramm, dans Revue Biblique 44 2 April 1935.

47. Schreder, Epigraphie aus Syrien, in Zeitschrift des Deutéché Morgen landische Gesselschaft, XXX VIII.

المراجع العربية

١ – ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، طبعة دى جويه de Goeje ، ليدن ، ١٩٠٧

٢ – ابن دقماق ، وصف مصر ، دار الكتب القاهرة ، ١٨٩٣

٣ – ابن رسته ، الأعلاق النفيسة ، طبعة دى جويه ، ليدن ، ١٨٩٢

٤ – ابن القفطى ، تاريخ الحكماء ، طبعه ليبرت Lîppert ، ليبزج ، ١٩٠٣

٥ – أزرق ، تاريخ مكة .

٦ – السيوطى ، حسن المحاضرة فى محاسن مصر والقاهرة .

٧ – شيخو (لويس) ، المشرق ، III .

٨ – المسعودى ، مروج الذهب ، نصى وترجمة Barbier de Meynard باريس ، ١٨٦١ – ١٨٧٧

٩ – المقريزى ، المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار ، بولاق مصر ، ١٢٧٠ هـ .

١٠ – ثللينو ، علم الفلك عند العرب ، محاضرات الجامعة المصرية القديمة .

١١ – هوارى ، رسالة فى وصف محتويات دار الآثار العربية ، القاهرة ، ١٩٢٦

أضواء على الحضارة الموكينية

الدكتور سيد احمد على الناصر
مدرس الحضارة اليونانية الرومانية بكلية
الآداب ـــ جامعة القاهرة

إن دراسة الحضارة الموكينية ـــ كدراسة الحضارة المينوية ـــ بالرغم من أنها أساساً تقوم على نتائج الاكتشافات الأثرية المادية ، إلا أن علم الآثار يبقى ضالا دون التراث الفكرى و الأسطورى . كما أننا نعتبر خزينة التراث الفكرى والأسطورى والرومانى آثاراً فكرية لا تقل أهمية عن الآثار المادية . وبصدد دراستنا للحضارة الموكينية فاننا سوف نعتمد على مصدرين أحدهما أسطورى روائى وهو « ملاحم هوميروس » والآخر « مادى أثرى » وهو الاكتشافات الأثرية التى بدأها شليمان وما تلاها من حفائر قام بها الأثريون وعلى مختلف العصور ، ومن مختلف الجنسيات ويجب أن نشير إلى صعوبة بناء قالب تاريخى حضارى لهذه الفترة على أساس تزاوج التراث الفكرى مع التراث المادى (الأثرى) لأن غياب الدليل التاريخى القاطع يدع فى بعض الأحيان مجالا للتفسيرات المختلفة والمتناقضة أحيانا .

إن كلمة « موكينى » كلمة مستحدثة ، صاغها المؤرخون والأثريون المحدثون لتمييز معالم حضارة بلاد اليونان إبان العصر البرونزى ، فالأساطير اليونانية لا تعرف شيئا عن حضارة اسمها ، « الحضارة الموكينية » وكتابات المورخين الأغريق لا تذكر هذه الحضارة بهذا الاسم . وكلمة موكينى صفة من اسم مدينة موكيناى (Mycenae) إحدى كبريات المدن التى ازدهرت إبان هذا العصر[1] والتى تقع فى الشمال الشرقى

---

(١) هذا واضح من الألياذه التى تصف المدينة بإسم « موكيناى الذهبية » كما تظهر ملكها أجاممنون Agamemnon كأقوى ملوك بلاد اليونان أبان الحروب الطروادية أنظر :
G. E. Mylonas, Ancient Mycenae, The capital. of Agamemnon, London 1957, p 3ff.

من إقليم البيلوبونيز (Pelopponese) ، وكما فعلوا باسم الملك مينوس (Minos) بالنسبة لحضارة كريت ، نسب المؤرخون والأثريون المعاصرون حضارة هذا العصر لموكيناى ، ولقد أشارت المصادر الأدبية القديمة وخاصة هوميروس إلى سكان بلاد اليونان فى هذه الفترة بعده أسماء منها الآخيون Achaioi ، والداناؤى Danaoi والأرجيون Argaioi (نسبة إلى مدينة أرجوس) . وقد ظلت هذه المصادر المرجع الوحيد لمعلوماتنا عن الحضارة الموكينية حتى حفائر شليمان المشهورة .

كان الآخيون[1] إحدى القبائل اليونانية التى تسللت إلى بلاد اليونان خلال الألف سنة الثانية قبل الميلاد . ربما من أجزاء مختلفة من آسيا الصغرى وأقامت فى منطقة البيلوبونيز حيث أسسوا عدة مدن أشهرها « موكيناى » وتيرنس Tiryns وبيلوس Pylos ، وقد عاصرت نهضة هـذه المدن ازدهار مدينة أخرى على الجانب الآخر من بحر إيجه ، قرب مضيق الدردنيل هى مدينة طروادة . التى ارتبط اسمها بملحمة الصراع الشهير الذى روته إلياذة هوميروس . ويميل العلماء الآن إلى اعتبار الصراع بين الآخيين وأهل طروادة صراعاً بين شعوب متجرة على مناطق النفوذ التجارى فى منطقة بحر إيجه وليس على أى حال صراع بين جنسيين متعاديين أو قوميتين مختلفتين . ولما كان علم دراسة الحضارة الموكينية Mycenaeology ليس إلا نتيجة لحفائر العلامة شليمان فاننا نرى أن من الواجب قبل أن نخوض فى الحديث عن هذه الحضارة أن نسرد سيرته وأعماله .

شليمان : ١٨٢٨ — ١٨٨٧)

ولد هينرش شليمان Heinrich Schliemann عام ١٨٢٨ بقرية نوى بوكوف Neu Buckow بأقليم مكلنبرج شفرن Mecklenburg Schwerin بألمانيا ، وكان أبوه قساً بروستانتياً . وقد اعتاد أبوه أن يروى له وهو طفل فصولا

(١) ربما دمرت هذه القبائل آثار حضارة كانت موجودة قبل هبوطهم إلى هذه المناطق . وتعرف هذه الحضارة بإسم الحضارة الهيلادية المتوسطة Middle Helladic

من آقاصيص حرب طروادة وأبطال الاغريق الذين خاضوها . فشب الفتى يحلم بالعثور على بقايا مدينة طروادة معتقداً أن باطن الأرض لا بد وأنه يحفظ بعضاً من آثار هذه الحرب . واعتاد الفتى أن يروى أحلامه لابنه صاحب مطحن القرية وكان اسمها « مينه » «Minna» والتى كان شغوفاً بها . وغادر هينرش القرية وهو فى السابعة من عمره لكى يلتحق باحدى المدارس حيث عكف على دراسة اللغة اللاتينية وأجادها إجادة تامة لدرجة أنه كتب بحثاً باللاتينية عن مدينة طروادة . وعندما ترك هينرش المدرسة التحق بعمل فى حانوت بدال فى مدينة فورستنبرج Furstenburg . حيث كان يعمل معه زميل كثير الشراب اسمه نيدرهوفر Niederhoffer وكان الأخير يحفظ الألياذة عن ظهر قلب ويردد أبياتها وهو ثمل والفتى شليمان ينصت إليه بشغف ، بل كان يعمل من الخامسة صباحاً حتى الحادية عشرة مساء لكى يكون فى صحبته ، وكتب شليمان يذكر هذه الأيام ويقول « بالرغم من أنتى لم أفهم حرفاً واحداً مما كان ينطق به نيدر هوفر إلا أن نغمة الشعر كان لها فعل السحر فى نفسى فأذرف الدمع أسفاً على قدرى التعس . (لعدم معرفته اللغة اليونانية) وكنت أجعله ينشد لى تلك الأشعار اليونانية ويعيد الكرة ثلاث مرات مكافئاً إياه بثلاث كئوس من « الويسكى » اشتريها له من دارهمى القليلة والتى كانت هى كل ثروتى ومنذ ذلك الوقت لم أتوقف عن الدعاء إلى الله بأن يمن على بفضل تعلم الاغريقية[1] .

وبعد مرحلة شاقة وعسيرة كادت تقضى على طموحه وأحلامه استطاع هينرش أن يحصل على عمل فى قنصلية بروسيا بأمستردام . وقد خصص ثلثى راتبه الشهرى لتعلم اللغات الحديثة حتى أجاد الانجليزية والفرنسية والهولندية والأسبانية والايطالية والبرتغالية إلى جانب لغته البروسية (الألمانية) . وفى عام ١٨٤٦ عينته إحدى الشركات بمكتبها فى سانت بطرسبرج St. Peterburg فى روسيا وهناك أحس بالاستقرار المادى والنفسى فأرسل يطلب الزواج من رفيقة طفولته « مينة » ولكنه ساءه أن يسمع أنها قد تزوجت بغيره . وفى عام ١٨٥٦ بدأ شليمان فى تعلم اللغة اليونانية الحديثة والقديمة بمساعدة صديقين يونانيين وقضى فى ذلك عامين .

---

(١) اعتمدت فى سردى لتاريخ حياة وأعمال شليمان على ما جاء فى دائرة المعارف الأثرية :
The Concise Encyclopaedia of Archaeology, Edited by Leonard cotterell, Hutchison London, (1960) pp 413-415

ثم قام بعد ذلك برحلة سياحية كبرى لدول البحر الأبيض المتوسط زار فيها إيطاليا ومصر وسوريا وجزر بحر إيجه وانتهى به المطاف بمدينة أثينا .

وفى عام ١٨٦٣ ترك شليمان عمله ليتفرغ لدراسة الآثار بباريس إستعداداً لتحقيق حلمه الأكبر وهو القيام بحفائره فى طروادة وسافر فى أبريل عام ١٨٦٨ إلى الجزر اليونانية حيث قام بحفائر استطلاعية فى القلعة الشهيرة باسم قلعة أوديسيوس بأيثاكا كما زار منطقة البيلوبونيز حيث تفقد ما تبقى من حوائط الككلوبيس Cyclopes فى مدينة موكيناى وكذلك تفقد بوابة الأسد هناك lions' gate ، ثم غادرها إلى تركيا حيث زار قلعة بورناباشي وبعد أن تفقدها جيداً صرف النظر عن الأعتقاد السائد وقتئذ بأنها مكان طروادة القديمة . بل قطع بأن مكان طروادة القديمة هو حصارلك (Hissarlik) الذى ذكره إسترابون ووصفه بأنه مكان إليون الجديدة Ilion (١) وأعلن عن عزمه التنقيب عن آثار هذه المنطقة فى كتاب أصدره بالفرنسية عام ١٨٦٩ تحت عنوان Ithaque, Le Peloponnèse et Troie ، وكان من نتائج إنكبابه على البحث العلمى أن تحطم زواجه فكتب فى شتاء عام ١٨٦٨ إلى صديق له يدعى فمبوس Vimpos كان يعمل ككبير للأساقفة فى أثينا ، يرجوه أن يساعده فى العثور على زوجة يونانية مثقفة تجيد معرفة هوميروس عن ظهر قلب وعلى استعداد أن تشاركه هوايته الأثرية فأختار له صديقه فتاة تدعى صوفيا إجناسترومينوس Sophia Egnastromenos وكانت تبلغ من العمر ثمان عشرة ربيعاً ولم يتردد هينرش فى الزواج منها .

وفى أحد أيام عام ١٨٧١ بدأ هينرش شليمان وزوجته صوفيا ومعهما خمس وثمانين من العمال (سرعان ما زيدوا إلى مائة وخمسين) فى عمل حفرة استطلاعية كبيرة كشفت عن وجود سبع طبقات من سبع عصور مختلفة ، وقد وقف شليمان إزاء ذلك حائراً أيهما طروادة هوميروس! . ومما زاد الأمر تعقيداً أن علم الآثار لم يكن متقدماً ذلك الوقت للدرجة التى تجعله يستطيع تحديد كل عصر عن طريق دراسة هذه الطبقات التى شملت مواد أثرية تبدأ من عصر ما قبل التاريخ حتى العصر

---

(١) اسم آخر لطروادة .

الهللينسى والرومانى . كما كشف شاليمان عن بقايا أبنية قديمة مثل قاعة الاجتماعات الكبرى Bouleterion ، ومعبد للربة أثينا . وفى موسم عام ١٨٧٢ كشف عن حصن كبير أسماه « البرج الأكبر » الذى ذكرته الألياذة . ثم كشف عن ممرات وخنادق وحوائط وبوابة ضخمة اعتقد أنها بوابة سكايا الشهيرة Scaia وأخيراً أعلن شاليمان عن اكتشافه لقصر الملك برياموس Priamus ملك طروادة . عندئذ هاجمه علماء الآثار لتهوره فى إطلاق أسماء على مواد أثرية دون التأكد من دراستها ، ورفضوا مناقشته بحجة أنه رجل هاو لايفهم شيئا فى علم الآثار . فصرف العمال وأكمل هو وزوجته أعمال التنقيب فعثر على قطع ذهبية من الحلى والزينة أطلق عليها اسم «كنز الملك بريام» (بالرغم أن هذه الآثار تعود حقيقة إلى عصر أقدم بكثير من عصر الملك بريام) ، كما عثر على أسلحة برونزية وأوان مختلفة الأشكال والأحجام وقد عز عليه أن يقتسم ما عثر عليه مع السلطات التركية فقام بتهريبها إلى أثينا . فأقامت السلطات التركية ضده دعوى وحكم عليه غيابيا بغرامة كبيرة . وقد أثار نبأ تهريبه للآثار شكوك السلطات اليونانية ضده فقامت عدة مرات بتفتيش منزله فى أثينا كما رفضت السماح له بالتنقيب عن الآثار . وعن طريق المال والهدايا استطاع شليمان أن يحصل على تصريح بالتنقيب عن الآثار مقابل التعهد بأن يسلم للسلطات اليونانية ما يعثر عليه على أن يكون له حق احتكار نشر ما يجده من آثار لمدة ثلاث سنوات من تاريخ العثور ، وفى نفس الوقت صفى خلافاته مع السلطات التركية بأن دفع ثلاث أمثال الغرامة التى حكم بها عليه من قبل محكمة تركية وحصل فى عام ١٨٧٦ على ترخيص لاستئناف أعمال التنقيب عن طروادة ولكنه فضل أن يجرب حظه أولا فى موكيناى .

بدأ شليمان وزوجته أعمال التنقيب فى العام نفسه معتمداً على وصف الرحالة الأغريقى باوسانياس «Pausanias» الذى زار بلاد اليونان عام ١٢٣ ميلادية حيث تفقد « بوابة الأسد » فى موكيناى وذكر أن جثمان الملك أجا ممنون ورفاقه الذين اغتالتهم زوجته « كلوتمنسترا وعشيقها آيجيستوس«Aegisthus» » قد دفنوا داخل أسوار القلعة بينما دفنت الزوجة وعشيقها خارج أسوارها لأنهم بخيانتهم أعتبروا غير جديرين بأن يدفنوا داخل أسوارها (١) . ومن ثم قبل شليمان دون أدنى

(1) cf Pausanias. II. 16., 5-7., cf. G .E. Mylonas, op cit p. 7.

شك رأى باوسانياس فأطلق على قبر يرجع تاريخه إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد اسم مقبرة ايجيسثوس Aegisthus Tomb بينما أطلق على قبر آخر مجاور له يرجع تاريخه إلى القرن الثالث عشر ق م إسم «مقبرة كلوتمنسترا » Tomb of Clytemnstra من الواضح إذاً أن ليس لهذه القبور أى علاقة بالأسطورة التى سجلها باوساياناس [١].

كما أن باوسانياس ذكر وصفاً لا يتطابق مع الواقع الأثرى وهو مجموعة القبور ذات الأقبية Tholos tombs [٢] والتى كانت بقاياها لا تزل قائمة قبل شليمان وعرضة لأيدى العابثين ولأعمال النهب ومرة أخرى قبل شليمان تعريف باوسانياس على أنها « خزائن الملك أتريوس » Treasuries of Atreus وبدأ شليمان بتنظيف « بوابة الأسد » متخلصاً من أى آثار أخرى كان يعتقد أنها سابقة لعصر طروادة أو لاحقة له مما أغضب مفتش الآثار اليونانى ستاماتاكيس (Stamatakis) فكتب إلى السلطات اليونانية يقول عن شليمان . . . «وإن تصادف وعثرنا على أوان من العصر اليونانى أو الرومانى نظر إليها بازدراء ثم يدعها تسقط من يده ... إنه يعاملنى كما لو كنت غير يونانى (Barbarian) . . . وإذا لم تقتنع الإدارة بما أقول فلتتفضل باستدعائى » وإذا كان شليمان كثير الخطأ فى تعريفاته إلا أن حفائره أخرجت مواداً أثرية غاية فى الأهمية والتى بدونها ما قام علم الدراسات الموكينية . إذ عثر شليمان داخل بوابة الأسد على مجموعة من القبور فى شكل دائرة ذات محوريين من الألواح المنتصبة يغطيها سقف من الحجر ويتوسطها مذبح (altar) وقد تسرع شليمان وأعلن أنه سوق مدينة موكيناى العـــامة «agora» وأعلن أن راكبى الجياد التى المصورين على الألواح ليسوا إلا أبطال الحرب الطروادية ثم سارع بالتنقب فى هذا المكان الذى عرف فيما بعد باسم المقبره الدائرية الأولى grave Circle . ولما بدأت

---

(١) cf Lord William Taylor, The Myceneans (Ancient Peoples and Places, no. 39 edited by Glyn Daniel) Thames and Hudson, London 1964, p. 16 f.

(٢) يطلق هذا الإسم وجمعه (Tholoi) على طراز القبور الذى ساد إبان العصر الموكينى ماين ١٨٥٠ – ١١٠٠ ق . م وقد عثر حتى الآن على خمسين قبراً من هذا النوع فى بلاد اليونان ولا يزال الكثير منها تحت التراب . وهى عبارة عن دفنات تشبه خلية النحل لها مدخل فى يوصل إليه ممرات وكان هذا النوع من القبور هو مدافن الأسر المالكة ، لمعلومات أخرى من هذه القبور أنظر Encyclopaedia of Archaeology, p. 459.

نفائس الآثار تظهر صرف العمال كعادته وأكمل الحفر هو وزوجته ومفتش الآثار ستاماتاكس واستطاع أن يزيح التراب عن خمسة من قبور هـــذه الجبانة الصـــندوقية Shaft tombs كما قام ستاماتاكيس فيما بعـــد بتنظيف قبر سادس خارج دائرة القبور . وقد عثر شليمان على تسع عشرة من الموميات لرجال ونساء وأطفال . كانت وجوه الرجال مغطاة بأقنعة من ذهب ووضع فوق صدورهم دروع وعلى جانبهم سيوف من البرونز وخناجر مرصعة بالذهب والفضة وكذلك عدد كبير من آنية الشراب صنعت من هذين المعدنين النفيسين . أما النساء فكن يرتدين ثياباً محلاة بالذهب والفضة ووضع على جانب كل منهن صندوقاً صغيراً يحتوى على كل ما هو جميل من أنواع الحلية .

أما الطفلان فقد كانا ملفوفين فى غطاء من الذهب . وقد عثر شليمان فى القبر رقم واحد من هذه الجبانة على خوذة حربية شبيهة بتلك التى أهداها البطل مريونيس Meriones الكريتى لأوديسيوس . كما عثر شليمان فى القبر رقم ٢ على كأس كبير تزين قبضتيه حمامة شبيه بكأس نستور (Cup of Nestor) وقد سارع شليمان بتسميته بهذا الإسم . كما ابتهج شليمان لهذا الكنز من الآثار فسارع وأرسل فى ٢٨ نوفمبر عام ١٨٧٦ برقية إلى ملك اليونان يخبره فيها بنبأ العثور على قبر الملك أجا ممنون قائد حملة الأغريق ضد طروادة[1] ولم يدر بخاطره أن تلك كانت قبوراً لأسرة مالكة حكمت منذ مايقرب على ثلاثمائة عام قبل حرب طروادة . وما أن عمت أنباء اكتشاف شليمان حتى لاقى ترحيباً وتكريماً شديداً من جانب العلماء والجمعيات الأثرية ففى عام ١٨٧٧ زار بريطانيا واستقبل بالترحاب ، ولما فكر فى نشر كتاب عن نتائج حفائره هناك قام رئيس الوزراء مستر جلادستون الشهير W. E. Gladstone بكتابة مقدمة هـــذا الكتاب [2] وتمتع شليمان لبضع سنوات بمجد اكتشافاته فعكف إلى الراحة والاستمتاع فى قصر بناه لنفسه فى ضواحى أثينا مع زوجته وابنه الصغير ، ولكن سرعان ما عاوده إحساس بالعودة إلى التنقيب عن آثار طروادة . وفى هذه المرة إنضم إليه فريق من خيرة العلماء

(١) cf. G. Mylonas, op. cit p. 3 ff. (2) cf. W. Taylor, op. cit p. 15 f.

(٢) الكتاب هو : Mycenae, London, 1878.

مثل البروفيسور رودولف فيرشوف Rudolf Virchow الطبيب الألمـانى الشهير وإميل بونوف Emile Bounouf مدير معهد الآثار الفرنسى بأثينا ، ولم يضع مجهوده سدى إذ عثر على الكثير من المود الأثرية بالقرب من كشفه الأول الذى أسماه كنز الملك « برياموس » . وفى عام ۱۸۸۰ إنتقل إلى أعمال التنقيب عن مدينة أورخومينوس بأقليم بيوتيا Boeotia شمال شرق بلاد اليونان معتمداً أيضاً على وصف الرحالة باوسانياس Pausanias لخزائن الملك مينياس Minyas (الذى ضرب به المثل فى الثراء) ولكنه رجع فى العام الذى تلى ذلك إلى طروادة حيث انضم إليه المهندس المعمارى الألمانى الشهير فاهلم دير بفلد Wilhelm Doerpfeld الذى عمل طويلا فى صحـبة عالم الآثار كورتيوس (Cu-tius) فى منطقة أوليمبيـا حيث معبد الإله زيوس الشهـير واستطاع دربفلد أن يعطى تفسيراً أقرب إلى الصحة وهو أن طروادة التى تحدثت عنها الألياذة ليست تلك التى عثر عليها شليمان ولكن للذى عثر عليه هو الطبقة السادسة من طبقات عصور المدينة المختلفة (١) . أى أن ما عثر عليه شليمان يرجع إلى عصور سابقة لحرب طروادة .

وفى عام ١٨٨٤ اشترك شليمان ودربفلد فى التنقيب عن آثار مدينة تيرنس (Tiryns) حيث أسفرت أعمال التنقيب عن بقايا قصر واسع ذى بهو كبير (Megaron) (شبيه بالبهو الذى كان يتسامر فيه عشاق بنيلوبى زوجه أوديسيوس كل مساء طيلة غياب زوجها !) ثم قاد الخيال وحب المغامرة شليمان إلى التفكير فى التنقيب عن الآثار فى جزيرة كريت وعلى الأخص فى عاصمتها كنوسوس وبالفعل منح ترخيصاً لذلك من جانب السلطات التركية ووصل إلى كنوسوس عام ١٨٨٦ واختار قطعة من الأرض ليجرى التنقيب فيها ولكنه دخل فى مساومة مع صاحب هذه الأرض وسرعان ما اكتشف أنه يريد خداعه فانصرف عن المشروع كلية ليرجيه القدر لسير آرثر إيفانس فعاد شليمان إلى ألمانيا بعد أن أحس بمرض فى أذنيه عام ١٨٨٧

---

(١) ويميل الاعتقاد الآن إلى أن طروادة القديمة هى العصر الأول من الطبقة السابعة للمدينة أنظر :

Carl. W. B'egen, Cedric. G. Boulter, John. L. Caskey and Marion Rawson, *Troy* : *Settlements VII a, VII b and VIII*, vol IV, Part I (text) University of Cincinnati, Princeton University Press 1958, p. 3 ff.

وبعد اجراء جراحة فيها حاول العودة مرة أخرى إلى أثينا ولكنه منيته وافته في مدينة نابلي بايطاليا وهو في طريقه إلى بلاد اليونان وكان ذلك في السادس والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٨٨٧ وهكذا أسدل الستار عن حياة أغرب باحث وهاو ومغامر .

وكما رأينا كان شليمان خيالياً ، اعتقد اعتقاداً أعمى بصحة روايات الألياذة ووصف باوسانياس دون التأكد ودون المقارنة بين التراث الشعبي والنتائج المادية، فاعتقد أن طروادة الملك برياموس هي المدينة الثانية من الأسفل وعرف الآثار بأشخاص شبه أسطوريين ولكن مهما يكن من أمر فقد كانت حفائره بداية الكشف عن حضارة لم تكن معروفة وفتح الباب عن عصر جديد للآثار[1] سرعان ما اتخذ اسمه من أشهر مدن هذا العصر وأكملت مجهودات العلماء فيما بعد الصورة عن الحضارة الموكينية . فمثلا أثبتت الدراسات فيما بعد مدى اتساع نطاق الحضارة الموكينية وأنها لم تنحسر في بلاد اليونان فحسب بل تعدتها إلى جزر البحر الأيجي وشرق البحر الأبيض المتوسط[2] كما كشفت حفائر فلندرز بترى Flinders Petrie في تل العمارنه[3] عن وجود نوع معين من الفخار قريب الشبه بالذى وجد في موكيناى . كما يتضح أيضاً أن الحضارة الموكينية لم تكن وقفاً على مدينة موكيناى وحدها بل كان هناك العديد من مراكز هذه الحضارة في تيرنس Tiryns اورخومينوس Orchomenos وفي إيثاكا Ithaca .

وجدير بالذكر أن نشير إلى المجهودات التى بذلت بعد شليمان فقد قامت جمعية الآثار اليونانية بالتنقيب في موكيناى Mycenae حيث عثر تسونتاس عالم الآثار الشهير على بقايا أطلال قصر كان مقاماً فوق أكربول المدينة كما عثر على بقايا منازل كانت مقامه داخل أسوار هذا القصر – القلعة ، وعلى قبور مقامة خارج الأسوار ومن بين هذه القبور تسع من طراز القبور ذات الأقبية الشبيهة بخلايا النحل

(١) cf. Taylor op cit p 16.

(٢) أنظر مقاله ساره إمرفاهر الشيقه

Sara Immerwahr, «Mycenean Trade and Colonization,» *Archaeology* XIII (1960) pp 4-13 also cf. Frank Stubbings, *The Expansion of Mycenean Civilization*, Cambridge University Press 1964 also cf. Taylor. op. cit pp. 139-165.

(٣) Flinders Petrie, Tell El-Amarna, p 3 ff

«Tholoi» وتضم رفات الملوك الراحلين وعلى عدد من القبور ذات المقصورة Chamber tombs والتى كان يدفن فيها الأغنياء . وتركزت مجهودات الأستاذ ألن ويس Allen J. B. Wace الذى كان يترأس وقتئذ المدرسة البريطانية للآثار بأثينا على التنقيب داخل أسوار القلعة وخارجها وباستخدام الوسائل العلمية فى ظروف تقدم فيها علم الآثار استطاع على ضوء تنقيبه فى القبور ذات المقصورة أن يحدد معالم الحضارة الموكينية زمنياً وقد اشترك معه الأستاذ كارل بليجن Carl Blegen أحد كبار المتخصصين فى الدراسات الموكينية . وكان من بين اكتشافات الأستاذ ويس الجبانة (Cemetry) الكبرى التى كانت موجودة خارج أسوار المدينة والتى كانت تكون جزءاً من الجبانة الدائرية التى اكتشفها شليمان كما استطاع أن يحدد أن تلك المقبرة ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ . كما نقب عن عدد كبير من المنازل عند سفح الأكروبول فى موكيناى حيث أخرج منها كميات كبيرة من المصنوعات العاجية والأوانى المصنوعة من الحجر ولوحات طينية منقوش عليها كتابات المجموعة الخطية الثانية (linear B.) أما اكتشافات العلامة اليونانى الدكتور جون بابا دمتريو Papademetriou وأشهرها جميعا (منذ اكتشاف شليمان للجبانة الدائرية الأولى) اكتشافه لجبانة دائرية أخرى خارج أسوار القلعة حيث أخرجت قبورها كميات من النفائس تشابه تلك التى أخرجها شليمان كما ونوعاً وقد سمى العلماء هذه الجبانه الدائرية الثانية (Grave Circle B.) تمييزا لها عن الأولى . وبالطبع ساعد المنهج العلمى الذى استخدم فى هذه الحفائر فى تصحيح الكثير من الأخطاء التى وقع فيها شليمان . وهناك أعمال كثيرة لبعثات أثرية مختلفة الجنسيات عملت فى منطقة البيلوبونير موطن الأبطال الأسطوريين . فمثلا ركزت المدرسة البريطانية حفائرها فى لاكونيا Laconia وإيثاكا وشمال اليونان بما فى ذلك مقدونيا وتساليا ، أما بعثة المدرسة الأمريكية بأثينا فقد ركزت على مناطق كورنثا وأرجوليس ومسينيا Messenia حيث عثر البروفيسور بليجن على بقايا قصر فى مدينة بيلوس Pylos ربما كان قصراً الملك نستور Nestor الأسطورى . إلى جانب حفائرها المشهيرة فى أثينا . أما المدرسة الفرنسية فى أثينا — ذات التاريخ الطويل — فقد اهتمت بالتنقيب فى دلفى Delphi وديلوس Delos ، وبالرغم من أن اهتمامها كان مكرساً للفترات المتأخرة (نسبياً) إلا أنها عثرت على آثار من

العصر الموكيني ، كما عثرت على آثار موكينية خالصة فى بوءيتاو بالقرب من أرجوس.
أما المدرســة الألمانية فقد نقبت فى Tiryns وفى إتيكا وجزر إيجينا Aegina
وسلاميس Salamis وفى المنطقة الغربية لميسينيا وناهيك عن حفائر البعثة السويدية ،
أما البعثة الايطالية فقد اتجهت نحو الجزر فنقبت فى رودس ولمنوس وكريت وبالطبع
فى جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا وكل المنطقة التى عرفت فيما بعد باليونان العظمى
(الجديدة) Magna Graecia وكذلك اشترك عدد من البعثات الأجنبية فى التنقيب
عن الآثار الموكينية فى قبرص . وكثيراً ما تعاونت البعثات الأثرية معاً فى إعطاء صورة
أكثر وضوحاً عن الحضارة الموكينية [1] .

والآن وبعد أن استعرضنا أهم الاكتشافات الأثرية لهذه الحضارة نعود فنسأل
من هم هؤلاء الذين صنعوا تلك الحضارة وإلى أى عنصر سكانى ينتمون ؟ وما السر
فى وجود شخصية حضارتهم واضحة على جانبى بحر إيجه ؟

منذ بداية تراكم المواد والمعلومات الأثرية عن الموكينيين وعلماء الآثار يحاولون
الكشف عن عنصر هذا الشعب الذى صنع تلك الحضارة. ومن الطبيعى أن تتجه أنظار
العلماء جنوبا إلى كريت التى ذكرتها الأساطير والتراث الشعبي أن لها علاقة وثيقة
ببلاد اليونان إبان العصر البرونزى أى (عصر الأبطال) وقد سبق أن ذكرنا فى معرض
حديثنا عن حفائر شليمان كيف أنه تطلع للتنقيب عن آثار كريت لولا أن مشيئة
القدر عاقته لكى يقوم آرثر إيفانس بذلك . وهذا لا شك دافعه الأول هو وجه
التشابه الكبير بين حضارة كريت القديمة وحضارة الموكينيين فى العصر البرونزى
ووصل من شدة مراعاة هذا التشابه أن اعتقد إيفانس أن كريت سيطرت على
جزء من جنوب بلاد اليونان فى وقت ما[2] بل أن موكيناى لم تكن سوى ميناء[3]

(١) W. Taylor op. cit pp. 15-21.

(٢) cf. W. Taylor op. cit p. 21 ;

(٣) cf. Leonard R. Palmer : Myceneans and Minoans, Aegean Prehistory in the light of linear B Tablets, Second Revised edition, London, 1965 p173 f.

كريت البحرى فى شبه القارة اليونانية ، وسيظل علم التاريخ والحضارة مدينا لإيفانس بالكثير لأنه وضح الفرق ما بين ما هو « مينوى » وما هو « موكينى » بل وأثبت أن كريت هى الأصل . وعلى أى حال فقد تسبب ذلك التشابه فى إثارة نوع من الاختلاط بين الحضارتين وبدأ العلماء والمهتمون فى التساؤل من هم الموكينيون ؟ .

إن الأدلة الأثرية تشير إلى أن الموكينيين هم أجداد « الأغريق الأول » ولكن بقيت المشكلة : إلى أى قدر من « الأغرقة » كان الموكينيون ؟ .

تشير الأدلة القاطعة إلى أن بلاد اليونان كانت دائما خلال العصر البرونزى محط العديد من القبائل المتجولة والشعوب الغريبه التى كانت تهاجم سكانها الأول الذين ينحدرون من جنس البحر الأبيض المتوسط . وعن طريق امتزاج هذه الشعوب المتجولة بالسكان الأصليين خرج العنصر الذى سمى فى العصور التالية بالاغريق [1] . أما من الناحية الحضارية فقد شهد معظم العلماء بأن هناك خيط حضارى ممتد منذ العصر البرونزى حتى العصر الكلاسيكى ولكن هذا الاستمرار الحضارى تعرض للتلقيح حضاريا وجنسيا بعناصر جديدة فمثلا ما بين ١٩٠٠ و١٨٠٠ ق . م . أى فى فترة الانتقال ما بين العصر البرونزى المبكر والعصر البرونزى الوسيط يظهر عنصر جديد . وهذا العنصر الحضارى الجديد يعلن عن نفسه بنوع جديد من الأوانى الفخارية أطلق شليمان عليه خطا باسم مينائى Minyan (نسبة إلى القبيلة التى كانت تسكن مدينة أورخومينوس والتى منها انحدر الملك مينياس Minyas) . هذا الفخار « المينائى » يكاد يميز نفسه عن باقى أنواع الفخار الذى كان مستعملا قبل ذلك بجودة خامته وصناعته ومن الواضح أن أشكال هذه الأوانى كان محاولة لتقليد أوانى معدنية مثل الفضة [2] كما كان يتميز بنعومته ولونه الرمادى : وقد أمكن تتبع وجود هذا النوع فى سهل طروادة القديمه كما أنه خرج بكثرة من الطبقة السادسة من طروادة [3] وقد فسر العلماء وجود

---

(١) cf J. L, Myres. Who were the Greeks, London 1930.

(٢) cf of Taylor : p. 22-23., cf L .R . Palmer op. cit p. 322.

(٣) وكذلك فى صقليه كما أثبتت أبحاث البعثة الإيطالية هناك .

بوع واحد من الأوانى ينتشر فى مناطق شاسعة فى آن واحد هو أن هذه المناطق تعرضت لغزو من قبل شعب واحد . وإلى جانب الأوانى الفخارية قام العلماء بمقارنة أوجه كثيرة للحضارة مثل هندسة القبور والقصور والمنازل وغيرها من العناصر التى تكون الحضارة وخرجوا بنفس النتيجة التى خرجوا بها من دراسة الفخار المينائى. كما أثبتت الدراسات اللغوية اليونانية أن اللغة اليونانية دخلت مع هؤلاء الغزاة الذين جاءوا بهذا النوع من الفخار .

ولقد لاحظ المهتمون بالدراسات اللغوية وجود بقايا أسماء مناطق ومدن تنتهى بنهايات ssos, nthus, ttos مثل زاكينثوس Zakynthos وبارناسوس (Parnassos) وهيميتوس Hymettos هذه الأسماء وغيرها التى اعتبرها علماء الفيلولوجيا لغة بلاد اليونان فى مرحلة مبكرة لنوع أولى من اللغة اليونانية التى وجدت على نطاق واسع حتى فى كريت وحوض البحر الأيجى إذا كانت كل هذة المناطق ذات حضارة متقاربة إبان العصر البرونزى . ولقد ثبت أن هذا النوع من اللغة اليونانية المبكرة كان موجودا أيضا فى شمال غرب هضبة الأناضول حيث يعتقد العلماء الآن أنها مصدر ذلك الغزو وليس منطقة البلقان كما كانوا يظنون سابقاً . وقد أيد ذلك التوصل إلى أن اللهجة الأركادية — القبرصية (Arcado Cypriot) أحد اللهجات الكبرى الأربعة فى اللغة اليونانية هى أكثر اللهجات اليونانية أصالة ؛ والمعروف أن منطقة إقليم أركاديا الجبلية الوعرة هو الاقليم الوحيد فى البيلوبونيز الذى لم يتعرض للغزو الدورى ومن ثم فقد تدفق عليه اللاجئون الموكينيون ومعهم لسانهم وحضارتهم . الذى يؤكد ذلك هو وجه التشابه الكبير بين اللهجة الأركادية ولهجة أهل قبرص رغم البعد الشاسع بين الأقليمين والذى يفصل بينهما البحر المتوسط ، ولذا فقد أطلق علماء اللغة على اللهجتين اسما واحداً ومشتركا هو اللهجة «الأركادو قبرصية»(٢) والمعروف أن قبرص قد وقعت لفترة طويلة تحت تأثير الحضارة الموكينية وقد أثبت ذلك من خلال الملامح الأثريه .

(١) cf L. Palmer op cit p. 322 ff. (2) ibid p. 323, p. 332, 342 Taylor op cit p. 25.

(٢) cf. W. Taylor. op. cit p. 24, cf Palmer op. cit p. 155 f.

إذاً أصبح من الواضح أنه منذ القرن التاسع عشر قبل الميلاد بدأت تتدفق على بلاد اليونان قبائل من أصل هندو – أوروبى وتتحدث لغة هند أوروبية . ويميل العلماء إلى الاعتقاد بأن هذه القبائل جاءت من الشرق عبر هضبة الأناضول إلى طروادة ، كما تعرف العلماء على نوع مشابهة للفخار « الميناتى » فى شمال شرق إيران[١] وإلى جانب شقافات الفخار الميناتى تعر العلماء لأول مرة على عظام الجياد فى الطبقة السادسة من طروادة كما دفعهم ازدياد أهمية الجياد فى الحضارة الموكينية إلى الاعتقاد بـأن الجـواد قد جـاء مع هؤلاء الغزاة فى نفس الوقت[٢] وبهذا يعتقد العلماء أن هؤلاء الغزاة قد جاءوا عن طريق البر عبر منطقة القوقاز وشمال البحر الأسود إلى شمال بلاد اليونان وجنوبها وليس كم كان يعتقد آنفا فانهم جاءوا عن طريق البحر نظراً لصعوبة نقل هذه الجياد عن طريق السفن . ولكن كل ذلك يبقى مجرد افتراض فليس لدينا ما يقطع بكيفية دخـول هؤلاء الأغريق إلى بلاد اليونان ولكن آثار طريقهم تظهر عن طريق تتبع شقافات الفخار الميناتى من بلاد اليونان إلى مقدونيا ومنطقة خالديكى (Chaldice) وبينما ينعدم وجود هذا الفخار فى منطقة تراكيا Thracia [٣] مما قد يجعل الباحث إذا ما تفحص خريطة بلاد اليونان لا ينفى افتراض نقل الجياد بالبحر من ساحل طروادة على الجانب الشرقى للبحر الايجى إلى منطقة خالديكى بشعبها الثلاث ثم إلى مقدونيا وجنوبا إلى بلاد اليونان ويوكد ذلك ما نسمعه عن وجود مثل هذا النوع من الفخار فى بعض جزر بحر إيجه[٤] . ومن الواضح أن عملية دخول الاغريق إلى بلاد اليونان تمت على شكل هجرات وموجات متوالية من الهجرات على فترات متباعدة قضوا خلالها على آثار العصر البرونزى المبكر وأقاموا فوقها حضارتهم الجديدة . وعلى امتداد قرنين من الزمان تفاعل الغزاة الجدد حضاريا وعنصريا مع سكان المناطق

(١) cf Taylor p. 25 ; Palmer p. 327.

(٢) cf. Taylor op cit 25 f ; also cf Palmenr, op. cit p. 327, also pp. 194.

(٣) Taylor. p. 26.

(٤) Ibid p. 26.

الأصلية واستوعبوا حضارتهم وثقافتهم وأدخلوا اللسان الاغريقى لهم وبالتدريج دعموا وجودهم . وكان من نتيجة توفر الاستقرار السياسى إزدياد الرخاء الاقتصادى والاضطراد الحضارى وكان لعامل البحر من تجارة وقرصنة بحرية أثره الكبير فى تشكيل هذه الحضارة التى فاقت الحضارة المينوية فى كريت سيطرة على البحار كما تظهر معالمها منذ أوائل القرن السادس عشر قبل الميلاد شديدة الشــبه بالحضارة المينوية ذاتها مما أدى إلى افتراض بعض العلماء أنها كانت تقع تحت سيطرة حضارة كريت . ولكن سرعان ما تكشفت شخصيتها المستقلة مما دعى إلى الاتفاق على تسميتها بالحضارة الموكينية نســبة إلى كبريات مدنها : « موكيناى » .

يرجع الفضل إلى الألياذة فى معرفتنا للمالك الموكينية الكثيرة : مثل مملكة يرلكوس Iolkos فى إقليم تساليا Tnessalia . وملكة طيبة Thebes وأورخو مينوس Orchomenos فى بويوتيا Boeotia . ومملكة أثينا فى اقليم أتيكا Attica . ولكن مركز الثقل السياسى لهذه الحضارى كان يتمركز فى منطقة البيلوبونيز . حيث فرضت مدينة بيلوس Pylos نفسها على إقليم مسينيا Messenia وفرضت مدينة موكيناى Mycenae سلطانها على منطقة أرجوليس Argolis بما فيها من مراكز ومدن صغيرة مثل تيرنس Tiryns وغيرها . [ولا يزال البحث والتنقيب قائماً على قدم وساق فى منطقة لاكونيا التى تطل على البحر وتقع فى الطرف الجنوبى لإقليم البيلوبونيز Peloponnese والتى تفصل بين منطقة الأرجوليس فى الشمال الشرقى ومسينيا فى الجنوب الغربى من أجل الكشف عن حضارتها فى العصر الموكينى وتحديد مكان عاصمتها . وكانت وكل مماكة تحتل سهلا أو واديا أو هضبة تطل على واد ويتوسطها المدينة الأم metropolis ، ونظرا لصعوبة التضاريس الجغرافية فى بلاد اليونان حيث كانت تفصل بين السهول والوديان معوقات جغرافية مثل الجبال فقد عاشت كل مملكة فى معزل عن الأخرى على الأقل من ناحية البر وبقى البحر هو وسيلة الاتصال الوحيدة بينها . وبالرغم من أن الحضارة الموكينية تحمل الكثير من ملامح الحضارة المينوية إلا أن الآثار تظهر الموكينين فى مظهر

يختلف عن المينويين. إذ يظهر الموكينيون على الرسومات المسجلة على الأواني الفخارية قوم طوال القامة، صفر الشعر، ذوى بشرة شقراء لهم لحى طويلة ويرتدون سراويل قصيرة وأقمصة ذات أكمام قصيرة ويتمنطقون بأحزمة عريضة وأحيانا يلتفون بعباءة واسعة أما النساء فقد ظهرت بنفس طريقة اللباس الكريتي[1] . ومن الواضح أنهم جلبوا معهم أسرهم وما لديهم من متاع كالغوط والفرنجة[2] .

ومن المظهر العام للحضارة الموكينية تستطيع القول بأن حضارتهم كانت أكثر بساطة وأقل بذخا من الحضارة المينوية، وأشد ميلا للنظام والنظافة في قصورهم ومنازلهم كانوا يتخلصون أولا بأول من القمامة وبقايا المستهلكات عن طريق مصارف مياه المطر[3] .

وكان القصر الملكى هو مقر الدولة وعظمة المالك الجالس على العرش وبذخه رمزآ للبذخ والترف لهذه الحضارة ولكن بصورة أكثر تعقلا .

وقد بنى الموكينيون مدنهم فوق قمم التلال والهضاب وحصنوها كما فعل الحيثيون بالقلاع والحصون ومن المدينة المحصنة — خرجت شبكات من الطرق إلى المناطق الحضارية الأخرى داخل المملكة[4] .

تنعكس عظمة الدويلة الموكينية فى عظمة قصر الملك الحاكم وسلطانه ومن دراسة القصور يتضح وجود نوع من المركزية البيروقراطية ربما تعلمه الموكينيون من النظم التى كانت سائدة فى مصر وبابل[5] وكان الملك يلقب باسم «واناكس» (Wanax) وهو لقب دينى مما يدل على أن الملك كان كاهنا أعظم وشخصية مقدسة إلى جانب مركزه السياسى ويلى الملك من ناحية السلطة قائد الشعب لاواجتاس (Lawagetas) وأغلب الظن أنه كان المختص بحماية شعب الدولة من خطر الغزاة .

---

(١) Taylor, Op cit p. 121.

(٢) أنظر و . ج دى بورج : تراث العالم القديم ، الجزء الأول ترجمة زكى سوس ومراجعه دكتور يحيى الخشاب ودكتور محمد صقر خفاجه — العدد ٥٥ — مسلسله الألف كتاب ، دار الكرنك القاهرة ١٩٥٥

(٣) cf Taylor, p. 99., cf M. Grant op cit p. 98.

(٤) Grant op. cit., p. 99.

(٥) of W. Taylor op éit, p. 135.

وكان له محرابا دينياً Temenos وحاشية وضياع تماما كالملك (١) . ويأتى فى المرتبة الثالثة بعد الملك وقائد الجيش أصحاب الضياع (tereta) وكانوا يتمتعون بهيبة دينية (٢) وفى النهاية يأتى الأتباع (bequetai) وعلى أكتافهم كان يقوم الجيش والدفاع والغزو التجارى الخارجى .

أما عن ملكية الأراضى فقد كانت خاصة وعامة . إذ كانت هناك أراضى موقوفة على الصالح العام أو لصالح المعابد والآلهة فمثلا كشفت لنا الوثائق أنه ضريبة كانت تجبى فى مدينة بيلوس Pylos لصالح معبد الآلة بوســيدون مرجف الأرض (٣) . وجدير بالذكر أنه قد عثر على قوائم تسجل أسماء بعض العبيد والجهات التى جاءوا منها (٤) .

السجلات الكتابية :

كان إيفانس قد تمكن من تمييز نوعين مختلفين من الكتابة أولها سميت بالمجموعة الخطية الأولى (linear A) والثانية عرفت باسم المجموعة الخطية الثانية (linear B) . وبالرغم من أن حفائر كريت قد أسفرت عن كمية كبيرة من المجموعه الثانيه تفوق ما أخرج من أى مكان آخر فى بلاد اليونان إذ بلغ ما أخرجه إيفانس من كنوسوس وحدها ما بين ٤٠٠٠ ــ ٣٠٠٠ وثيقة إلا أن هذا النوع من الكتابة ارتبط ارتباطا كليا بحضارة بلاد اليونان ؛ وأصبح حل رموزه مفتاحا للدخول إلى متاهات الحضارة الموكينية . بل اعتبر الدارسون أن العثور على مثل هــذا العدد الكبير من السجلات الكتابية للحضارة الموكينية ثروة ضخمة

---

(١) يظهر أحياناً كلمة Basileus وهى الكلمة المرادفة عند هوميروس لكلمة وأناكس ولكنها تعنى مركزاً اجتماعياً أقل أهمية .

(٢) ربما كانوا هم نفس الطبقة التى كانت تسمى فى العصر الكلاسيكى telestai حيث أن حرف (L) ,(R) يمثلان بحرف واحد فى كتابة المجموعة الخطية الثانية .cf. Talyor io p. 135

(٣) cf Taylor op cit p. 135 ; Palmer 132 ff.

(٤) cf Palmer p. 111-112, 127, Taylor. p. 136 f.

ومن الجهات التى جاء منها العبيد (Lemnos) لمنوس وكنيدوس (Cnidus) وميليتوس Miletus فى آسيا الصغرى ومن الواضح أن هذه الأماكن كانت مستعمرات موكينيه وأسواقاً للعبيد وكذلك جزيرة كوثيرا Kythera بالقرب من شاطىء البيلوبونيز الجنوبى .

منت بها الظروف على علم الآثار [١] لأن الحضارة لا تثبت شخصيتها إلا بتوفر فن الكتابه وغيرها من وسائل التسجيل [٢] . وتوالى وجود هذه الوثائق التى تسجل كتابات المجموعة الخطية الثانية بوفرة فى القصور الموكينية فى مدن بلاد اليونان المختلفة فأخرج من Pylos ما يزيد على ١٢٠٠ لوحه أو شذرات من لوحة وجدت فى حجرة واحدة داخل بقايا القصر الملكى حتى إن علماء الآثار عرفوها باسم حجرة السجلات (Archive Room) [٣] ومن الطريف أن مدينة موكيناى أهم مدن بلاد اليونان فى هذا العصر لم تخرج سوى سبعين وثيقة كتابية من هذا النوع مما أثار دهشة المختصين بدراسة هذه الحضارة فافترضوا سببين : الأول أن ظروف البقاء Circumstances of preservation لم تساعد على وجود الوثائق الكتابية وثانيهما هو جهل الأثريين الأول وعدم عنايتهم بهذه الوثائق . ولكن هذا السبب الأخير مستبعد إذا ما قرأنا تسجيلات شليمان الأثرية وحرصه الشديد وعنايته الفائقة بتسجيل كل قطعة أخرجت من الحفائر ، ولهذا يميل العلماء إلى قبول التفسير الأول وهو إندثار هذه الوثائق تحت تأثير عوامل الطبيعة . وهذه الوثائق عبارة عن لوحات طول كل منها ثلاث بوصات تقريبا ومختلفة الأشكال بعضها مستطيل وبعضها مربع والآخر مخروطى الشكل أشبه بشكل الخنجر ونظرا لدقة الكتابة عليها وغرابة أشكالها فانه من الممكن أن تهمل هذه الوثائق ويلقى بها جانبا مع بقايا الشقافات المحطمة وتراب الحفائر ولما كانت هذه الوثائق مصنوعة من الطين الغير المحروق (Baked Clay) فقد كانت عرضة للاندثار والتحلل بفعل تأثير الرطوبة . ويرجع الفضل فى بقاء عدد من هذه اللوحات إلى الدمار المفاجىء الذى حل بالقصور فحفظها تحت الأنقاض كما أن بعض هذه الألواح قد تحول بتأثير النيران إلى مادة صلبة أشبه بالفخار .

هكذا أمدتنا كريت وبعض مدن بلاد اليونان — وكذلك قبرص — بهذه الوثائق التى تعتبر التسجيل الكتابى الوحيد لحضارة بلاد اليونان فى العصر البرونزى خلال الألف الثانية قبل الميلاد ، بل ربما كانت تلك الألواح الطينية هى المادة الوحيدة التى نجت من فعل الزمان وربما كان هناك مسجلات أخرى

(١) Palmer. op. cit p. 51.

(٢) Taylor. p. 29.

(٣) Palmer ibid p. 51, (fig. 3.) also cf. Taylor ibid p. 29.

على الخشب والجلد والرق (parchiment) أو حتى أوراق البردى[1] لم تساعدها عوامل الطبيعة على البقاء فاندثرت .

وجدير بالعلم أن نضع بين يدى القارىء الظروف التى تمكن فيها العلماء من حل رموز المجموعة الخطية الثانية وكيفية ذلك .

يرجع الفضل فى حل رموز المجموعة الخطية الثانية إلى مهندس بريطانى إسمه مايكل جـــورج فرانسيس فنتريس Michael George Francis Ventris وشهرته مايـــكل فنتريس (١٩٢٢ — ١٩٥٦) ولم يـــكن فنتريس ذائـــع الصيت حتى تمكن من حل رموز الكتابة الموكينية فنال شهرة واسعة قبل أن يبلغ الخامسة والثلاثين من عمره وكان أول بداية لفتت نظر مايكل فنتريس إلى أهمية هذه الوثائق إبان حضوره محاضرة ألقاها سير أرثر إيفانس وكان مايكل لا يزال وقتئذ طالباً فى المدرسة الثانوية . وأنصت الفتى وهو مرهف السمع إلى حديث العلامة البريطانى عن هذه الألواح وكتاباتها الغريبة والتى كان قد نقلها معه من كريت إلى بريطانيا . وسرعان ما استهوى غموض هذه الكتابة الطالب الطموح وعكف يفكر ثم عبر عن رأيه فيها وهو لا يزال طالباً بالمدرسة فى مقالة نشرتها له إحدى الصحف الأمريكية عام ١٩٤٠ ، توقع فيها أن تسفر الأبحاث عن وجود صلة قوية بين كتابة الأتروسكيين فى إيطاليا وكتابة المجموعة الخطية الثانية . ولما نشبت الحرب العالمية الثانية عمل ضابطاً بالبحرية البريطانية ولم يمنعه هذا من متابعة دراسته فى أوقات فراغه . وفى ١٩٥٢ وزع مايكل فنتريس على عشرة من كبار المتخصصين فى هذه الدراسات قائمة تحمل عشرة أسئلة (quesionnaire) ثم علق على إجاباتهم ونشرها فى تقرير طبعه تحت عنوان Mid-Century Report ووزعه على نفقته الخاصة . كما أخذ يصدر دورية مطبوعة بعنوان Work Note تحمل آخر نتائج البحث وقد بلغ عدد هذه الدوريات (حتى الأول من يونيو عام ١٩٥٢ وهو اليوم الذى أعلن فيه عن توصله لحل رموز هذه الكتابة) عشرين عدداً يبلغ

---

(١) المعروف أن ورق البردى استخدم فى الكتابة فى مصر منذ وقت ضارب القدم وليس من المستبعد أن يكون استخدامه قد انتقل إلى مدن بلاد اليونان وكريت حيث كان هناك اتصال تجارى مباشر بين هذه البلاد ومصر .

عدد صفحاتها جميعاً ماية وسبع وستين صفحة منسوخة على الآلة الكاتبة . وكان العدد الذى صدر فى الأول من يونيو عام ١٩٥٢ يحمل عنواناً يبشر بقرب توصله لسر هذه اللغة ، إذ كان يحمل عنواناً يقول (هل كانت ألواح كنوسوس وبيلوس مكتوبة باللغة اليونانية؟[١] (Are Knossos and Pylos tablets written in Greek .

ولكن إعلانه الفعلى عن توصله لحل رموز هذه اللغة كان عن طريق الإذاعة البريطانية فى يوليو عام ١٩٥٢ ومنذ ذلك الوقت تهافتت عليه استفسارات العلماء وسرعان ما انضم إليه جون شادويك John Chadwick أحد المتخصصين فى فقه اللغة اليونانية وقدما فى مقالة نشرت فى مجلة الدراسات الهلينية عام ١٩٥٣ نظريتهما فى إطارها الأكاديمى[٢] . وهلل العلماء لهذه النظرية وبدأوا فى تطبيقها على وثيقة جديدة أخرجت من Pylos أسفرت قراءتها عن لغة يونانية بدائية ، ثم طبقت بشكل واسع على مجموعات الوثائق التى عثر عليها فى كنوسوس خلال عام ١٩٥٢ ، وعلى ستماية قطعة أخرى عثر عليها البروفيسور بليجن Carl W. Blegen فى أنقاض القصر الملكى فى بيلوس . هكذا بدأ ظلال الغموض تتبدد وتظهر ملامح الحضارة الموكينية واضحة ومميزة بعد هذا الإنتصار التاريخى للدراسات اللغوية اليونانية ولعلماء الآثار والتاريخ على السواء . لقد أضاف حل رموز هذه اللغة إلى تاريخ اليونان سبع قرون أخرى من الحضارة وكذلك إلى عمر اللغة اليونانية . وبعد تطبيقات هذا المنهج على كميات كثيرة من الوثائق أتم العالمان عملا ضخماً باسم « وثائق باللغة الموكينية اليونانية »[٣] .

وبينما كان هـــذا العمل الضخم ماثلا تحت الطبع حملت أسلاك البرق نبأ موت مايكل فنتريس عا ١٩٥٦ على أثر حادث أليم وهو لم يبلغ بعد الخامسة

(١) هذه الدورية محفوظة فى المتحف البريطانى فى حجرة الوثائق ويسترعى النظر لهجة الشك وعدم الثقة التى تظهر فى هذه المقالة حتى أنه وصف مشروعه بأنه « تهور طائش » Frivolous digression ومن الواضح أن فتريس كان حذراً عند تقديم رأيه لأول مرة كمادة علماء الإنجليز

(٢) cf Journal. f Hellenic Studies (1953).

M. Ventris 8 John Chadwick, Documents in Mycenean Greek, Cambridge Univevsity Press, 1959, 381 pp. Indêx by W. Wace

وقد قدم له الأستاذ ويس

والثلاثين ربيعاً بعد أن نال شهرة وتقديراً عظيمين لا تقل عن تلك التى نالها شامبليون بعد حله لرموز اللغة المصرية القديمة . فقد منح وسام الإمبراطورية البريطانية (Order of M. British Empire) عام١٩٥٥ كما منحته جامعة أوبسالا بالسويد درجة الدكتوراه الفخرية كما عينته الكلية الجامعية بلندن (University College, London) عضواً باحثاً بها .

والآن نتوقف قليلا لنشرح بايجاز بعض الملامح العامة لهذه اللغة ثم نعالج بايجاز مجهودات مايكل فنتريس فى حل رموزها . طبقاً للاحصائيات التى أجريت على وثائق المجموعة الخطية الثانية فان عدد المقاطع التى تردد استخدامها يبلغ التسعين مقطعاً (Syllabic Signs) . وتتكون الكلمة من عدد من هذه المقاطع ويفصل بين كل كلمة وأخرى سطر أفقى قصير (شرطة) .

كما أن بعض هذه المقاطع كان يستخدم بمفرده لدلاله على اختصار أو اختزال لكلمة معينة . كذلك ميز العلماء نظام الحسابات . فهو نظام عشرى (decimal) يتكون من آحاد وعشرات ومئات وآلاف وتميز كل وحدة من هذه الوحدات الحسابية علامة بالخط العمودى القصير للرقم الآحادى والخط الأفقى القصير (—) للعشرى والدائرة للمئات والدائرة التى ينبعث منها خطوط للألوف . وكان يتبع كل رقم رسما يبين نوعية هذا العدد من ممتلكات أو مواد ... الخ .

أما المقطع فهو إما يتكون من حرف متحرك (a. e.i. o. .u) (أو حرف ساكن يليه حرف متحرك مثل (ma—mi—mo etc.) . وكما فى اللغة العربية فانه عن طريق إضافة علامة إلى رسم بعض الحروف الساكنةفان الحرف الساكن يأخذ نطقاً جديداً ويصبح حرفا مركبا جديدا) مثل K و Kh أى بين الكاف والخاء والباء P والفاء .Ph (وكذلك بين التاء t والثاء th .

كما أن حرفى التاء t و اللام l يأخذان شكلا واحداً . كذلك لاحظ العلماء ندرة وجود حرفين ساكنين متتاليين بل لابد وأن يفصل بينهما حرف متحرك فكلمة Knossos تكتب (Ko—no—so) وكلمة Khrusos (ذهب) تكتب (Ku—ro—so) وكما نلاحظ فان حرف الـ «S» أو أى حرف ساكن يسقط دائماً

من نهاية الكلمات . وكذلك فان الحروف (m. n. l. r. s.) تسقط من نهاية المقاطع إذ تلاها مقطع به حرف ساكن مثلا كلمة Phasgana (سيوف) تكتب Pa—ka—na وكلمة Kha lkos (نحاس) نكتب (Ka ko) كما أن حرف الـ (i) يسقط إذا تلى حرف متحرك فكلمة Poimen (راعى) تكتب Pome . إذاً يتضح أن لغة المجموعة الخطية الثانية لغة يونانية فى طورها الأول القديم ويدل على ذلك قرابتها من اللغة اليونانية فى طورها الكتابى الأول فى القرن السابع قبل الميلاد حيث نلاحظ وجود حرفى الديجاما F (W) وحرف الكوبا (q) اللذان سقطا من الأبجدية اليونانية فيما بعد . كما لاحظ العلماء قرب هذه اللغة من لغة أهل منطقة أركاديا Arcadia وقبرص حيث تدفق المهاجرون الموكينيون فارين من الغزو الدورى الذى اجتاح بلادهم فيما بعد ، كما أن هذه الوثائق الكتابية أخرجت من مناطق سكنها فيما بعد شعب يتحدث بلهجة دورية مخالفة . وكما يتضح أيضاً أن هذه اللغة برغم غرابة بعض الكلمات فيها إلا أنها تحوى ما يكفى لوصفها بأنها « يونانية » أما الكلمات الغامضة فقد تكون مستعارة من كلمات أخذت من لغة أخرى معاصرة لها . كما يجب أن نضع فى عين الإعتبار أن هذه اللغة أقرب إلى أن تكون لغة خاصة [1] لطبقة من المستنيرين وأنها كانت مستخدمة على نطاق ضيق ومحدود . كما خضعت فى كثير من الأحيان للتفكير والتأثير والنطق الشخصى للكاتب . أضف إلى ذلك أن هذه الكتابات لم تكن نصوص للقراءة وتسجيل الخواطر بل قوائم وعناوين ورقميات للتسجيل والتذكير فقط وهذا يحدد دائرة معارفها .

هذه معالجة سريعة للملامح اللغوية لكتابة المجموعة الخطية الثانية والآن فلنحاول استطلاع دور مايكل فنتريس فى حل رموزها .

يترك المنهج الذى استخدمه مايكل فنتريس عندما القارئ انطباعاً بأنه منهج إحصائى رياضى يقوم على الاستنتاج عن طريق المقابلة والملاحظة . والحق يقال أن الفضل يرجع إلى زميله جون شدويك فى تطبيق المعايير اللغوية وملء الهيكل الإحصائى بالمادة اللغوية وتحويل المعادلات إلى مفهوم لغوى . ومن ناحية المبدأ

(١) cf. The Concise Encyclopaedia of Archaeology, p. 320 ; also cf W. Taylor. . op. cit p. 40.

فانه يمكن التوصل إلى حل رموز أى لغة إذا ما توفرت أمام العقل الرياضى الباحث الكثير من الوثائق الكتابية ولكن الحق يقال أن الظروف التى تعرض له فنتريس كانت أشق من تلك التى واجهت العالم الفرنسى شامبليون (Champollion) عند حل رموز اللغة المصرية المدونة على حجر رشيد وعن تلك التى واجهت جروتفند (Grotefund) وورلنسون (Rawlinson) فى حل رموز لغة الكتابة المسمارية البابلية (Cuneiform) إذ توفر بين يدى هؤلاء العلماء نصوص مكتوبة بلغتين فى وقت واحد (Bibingual documents) مما يسر مهمتهم[1] بينما لم يتوفر ذلك بالنسبة لوثائق المجموعة الخطية الثانية أضف إلى ذلك وجود لغات مساعدة أو مشتقة بالنسبة للحالة الأولى — مثل القبطية بالنسبة للغة المصرية القديمة والعبرية وغيرها من اللغات السامية سواء الحية أو القديمة بالنسبة للغة البابلية ، أما بالنسبة للغة كتابة المجموعة الخطية الثانية فلم يعرف حتى الأصل الذى يمكن إرجاعها إليه . وعلى أى حال فقد استفاد مايكل فنتريس كثيرا من المجهودات التى بذلها العلماء قبله فى محاولة حل رموز لغة المجموعة الخطية الثانية مثل سير أرثر إيفانس الذى أدرك بغريزته الأثرية أن الوثائق التى أخرجت من حفائر كريت تنقسم إلى ثلاثة مجموعات :

(أ) كتابة هيروغليفية (أى ذات رسومات) وقد وجدت هذه منقوشة على الأحجار الكريمة (Gems) والأختام (Steal Stones) وعلى عدد قليل من اللوحات ويرجع تاريخها إلى النصف الأول من الألف الثانية قبل الميلاد .

٢ — طريقة كتابية سريعة ومبسطة لهذه اللغة أشبه بالديموطيقية المصرية وقد أطلق عليها سير أرثر إيفانس المجموعة الخطية الأولى (linear A) وقد وجدت هذه اللغة منقوشة على الألواح الطينية رالأوانى الفخارية وعلى الأحجار وعلى البرونز ومصنوعاته وهى لغة لاتزال حتى الآن غامضة .

٣ — كتابة خطية متقدمة ومتطورة قريبة من حيث الشكل للمجموعة الخطية الأولى ولكنها مختلفة عنها لغويا وقد أطلق عليها اسم المجموعة الخطيةالثانية(linear B) وهى اللغة التى كانت سائدة فى بلاد اليونان إبان عصر الحضارة الموكينية .

---

(١) Palmer, op. cit, p. 63 ff.

ولم يوضح سير إيفانس رأيه فى الفترات التى سادت فيها هذه الكتابات المختلفة ولكنه اعتقد أن المجموعةا لخطية الأولى قد غطت على الكتابة الهيروغليفية وأنها استخدمت منذ أوائل القرن الخامس عشر قبل الميلاد . أما الكتابة الخطية الثانية فقد ظهرت حوالى عام ١٤٠٠ (وربما قبل أو بعد ذلك بقليل) ويرجع العلماء آخر وثائق المجموعة الخطية الثانية إلى حوالى عام ١٢٠٠ ق . م . كما سجل سير أرثر إيفانس إحساساته بأن معظم هذه الوثائق ليست سوى سجلات لأسماء أشخاص وقوائم لمواد تموينية وسلع وحسابات وقد استنتج ذلك من وجود مقاطع مفردة (أعداد وأرقام) وبجوارها رسومات لعينيات (ideograms) فظن لأول وهلة أن هذا المقطع ما هو إلا رقم أن هذه الصور ما هو إلا نوع لهذه الأشياء . وأخيرا سجل إيفانس رأيه من أن المقطع هو وحده هذه الكتابة (Syllable) وكما استطاع أن يميز الكلمة بأنها تتكون من عدد من هذه المقاطع ويفصل بينها وبين الكلمة التالية لها خط أفقى قصير (شرطه) (١)

وعند هذا الحد اكتفى سير أرثر إيفانس ولم يغامر كغيره بالاقتراحات التخمينية إذ فضل أن يسير على أرض ثابتة وبذلك فتح الباب أمام طلاب العلم والباحثين ؛ وكثرت الآراء والتخمينات الافتراضية والجدليات حول أصل هذه اللغة ولكن بقى سرها مغلقا .

ومن المجهودات القيمة التى بذلت ولم يوفق لها بالنجاح بالرغم مما قدمته من حقائق ، دراسات الأستاذة الدكتورة أليس كوبر (Dr. Alice Kober) فقد لاحظت الدكتورة أليس كوبر أن نهايات المقاطع الأخيرة (Suffixes) تتغير حسب التذكير أو التأنيث (Gender) . والأفراد أو الجمع (Number) كما لاحظت أن كلمة واحدة قد تستخدم أكثر من مرة ولكن بنهايات مختلفة فأدركت على الفور أن لغة المجموعة الخطية الثانية لابد وأن تكون لغة قابلة للتصريف والاعـــراب (inflected language) مثل اللغـــة اللاتينية (٢) . هـــكذا أفاد بحث الأستاذة أليس كوبر كثيراً وكان فى الحقيقة خطوة فعلية نحو حل رموز هذه اللغة . وسوف يذكر التاريخ أيضا العلامة الأمريكى إميت . ل. بنيت « الصغير » (Emmett. L. Bennett Junior) الذى استطاع أن يستخرج المقاطع الدالة على

(١) cf A. Evans : Scripta Minoa, op. cit. passim.

(٢) cf. A.E. Kober, *AJA*, 50 (1946) 35 ff : *Inflection in linear Class B*, Also cf Palmer, p. 64.

المعايير والموازين وأعد بها قائمة كما أنه أجرى إحصائيات على عدد المقاطع التى استخدمت فى هذه للكتابة فوجدها تسعون مقطعا (دون أن يدع فرصة لجودة الخط الكتابى أو رداءته لكى تضلله) [1] .

وإلى جانب هذا ساعد حل رموز كتابة مشابهة كانت مستخدمة فى قبرص منذ القرن الخامس عشر ق.م والتى كانت تسمى بالكتابة «المينوقبرصية» (Cypro-Minoan) ويبدو أن هذه اللغة لم تكن لغة قبرصية محلية إذ عثر على وثائق لها فى أوغاريت (رأس شامره على الساحل السورى) . وقد مهد عالم الآثار جورج سميث لأبحاث العلماء التى أثبتت فيما بعد بأنها لغة إتيوقبرصية (Eteo-Cypriot) . ويبدو أن هذه اللغة قد ظلت مستخدمة حتى القرن الحادى عشر ق.م. وعندما بدأ أهل قبرص يتحدثون اللغة اليونانية إستخدموا طريقة كتابتهم القديمة لهذه اللغة فى تسجيل اللغة الجديدة وقد ظلوا يفعلون ذلك منذ القرن السادس وحتى القرن الثالث قبل الميلاد. هكذا وجد العلماء أمامهم وسيلة كتابية للغتين مختلفتين الأولى وهو الأيتوقبرصية لغة غير هندو أوروبية (Non-Indo-European) تكتب من اليمين إلى اليسار وتنتهى نهاياتها بحرف الـ e . ولغة يونانية متأخرة مكتوبة بهذه المقاطع الكتابية وبالمقارنة تمكن العلماء من تمييز ومعرفة ست مقاطع كتابية مشتركة من الكتابة الخطية القبرصية وكتابة المجموعة الخطية الثانية (linear B). [2] .

وأمام هذا التراكم المعرفى الغنى ارتأى ما يكل فنتريس ضرورة بناء هيكل منطقى تخضع له استخدامات هذه اللغة فوضع أمامه كل ما نشر من وثائق المجموعة الخطية الثانية وبدأ فى وضع أساس هيكلى يضم أنواع المقاطع والحالات التى تغيرت فيها كما استطاع بمعونة العلامة ايميت . ل . بنيت والعلامة اليونانى (Ktisopoulos) أن يتوصل إلى أن هذه اللغة قد تضمنت حروفا متحركة (vowels) مثل (a. e. i. o. u.) وأخرى ساكنة (Consonants) وأن كلمات هـــذه المقاطع كانت تبـــدأ عادة بحرف ساكن وتنتهى بحرف متحرك كما استطاع أن يميز «واو» الربط أو العطف التى كانت تلصق بالكلمة المعطوفة (مثل النهاية «que» فى اللغة اللاتينية) كما تمكن عن طريق رسم الرجل أو المرأة بعد الكلمة

(١) Emmett. L. Bennett : *The Myceneaa Tablets* (philadelphia 1953), *The Mycenae Tablets* vol II. 1958 ; The Pylos Tablets, Princeton 1955., Palmer op. cit p. 64-68

(٢) cf. W. Taylor, op. cit pp 33 - 34.

الدالة عليهما أن يعرف المذكر والمؤنث لهذه الكلمة . كذلك استطاع أن يتعرف على معانى بعض المقاطع الأخرى ، ثم جمع كل هذه الحقائق فى هيكل أساسى (Grid) بدأ يعمل على أساسه وفى ضوئه ، وكان آخر ما توصل إليه طبقا لهذا الهيكل اللغوى هو تمييز خمس عشرة سطرا من الحروف الساكنة (Consonants) وخمس أسطر من الحروف المتحركة (Vowels) . ولما كان لا يعرف معانيها فقد رمز لكل منها برقم حسابى . ثم تجىء الخطوة الثانية وهو حصر الكلمات المتكررة فى هذه الوثائق وعن طريق « مغامرة فكرية » إفترض فيها أنها أسماء أماكن ومدن ثم بدأ العمل فى حصر قائمة أسماء مدن كريت القديمة وتطبيقها على الكلمات المتكررة فى وثائق هذه الجزيرة . ولدهشته تعرف على اسم كنوسوس (Knossus) مدونة (Ko-no-so) وتوليسوس Tylissos مدونة (Turisa) وأمنيسوس (Amnisos) مدونة (A-mi-ni-so) فعرف أن كل حرف ساكن لابد وأن يتبع بحرف متحرك وأن حرف الـ ر r و الـ L مترادفان كما هو الحال فى كتابة اسم (Tylissos) وكذلك أن الحروف الساكنة مثل (I. m. n. r. s.) تسقط من نهاية الكلمات والمقاطع إذا تلاها مقطع يبدأ بحرف ساكن . عندئذ وضح الفرق جليا بين نظام الكتابة فى هذه اللغة ونظام الكتابة بالخط القبرصى سالف الذكر . ومما يثير الدهشة أن مايكل فنتريس ظل لآخر لحظة يعتقد أن لغة كتابة المجموعة الخطية الثانية لغة إتروسكية»(١) (Etruscan) ، حتى عندما انتهى به المطاف إلى اللغة اليونانية وصف ذلك فى أول نشرة له بأنه جماح عابث (Frivolous digression) ، ولكن لم يكن أمامه إلا أن يعترف بعد تطابق أسماء المدن الكريتية على هذه المقاطع بأنها لغة يونانية فى طورها الأول ، ومن ثم فقد كانت الخطوة التالية هو حشد الأسماء القديمة وغيرها فى اللغة اليونانية فى مرحلتها الأولى . ونحن نعلم أن اللغة اليونانية القديمة التى نقرؤها فى النصوص الأدبية فى العصرين الكلاسيكى والهللينسى قد مرت برحلة طويلة من التغيير والتنقيح والتبديل فعكف يبحث عن نصوص تمثل اللغة اليونانية فى أول مراحلها ولم يكن أمامه إلا الألياذة باعتبارها أقدم القديم بالرغم من أن خمسة قرون

---

(١) Taylor, op. cit p. 38.

من الزمان تفصل بينها وبين العصر الذى تتحدث عنه . وعلى أى حال ما أن سمع البروفيسور بلجن Blegen بمنهج فنتريس حتى قرر اختباره وتبين مدى صحته ، فطبقة على واحدة من بين أربعماية وثيقة عثر عليها فى Pylos عام ١٩٥٢ ولدهشته استطاع أن يقرأ كلمة tiripo (Tripod) بجانب رسم لمثلث القوائم وهو ما تعنيه هذه الكلمة وتوالت بعد ذلك قراءة الأسماء ، وبالرغم من الصعوبات التى وقفت حجر عثرة فى طريق قراءة هذه النصوص مثل التنوع المختلف فى طريقة الاستهجاء وتغير قواعدها من نص لآخر ولضيق تراثها اللغوى وهذه الأسباب سبق أن أشرنا إليها إلا أنه كان انتصارا ما من شك فيه — على الغموض والسرية اللذان كانا يحيطان بكنف هذه الحضارة وقد لعب علم أسماء الأعلام (Onomatology) دورا هاما إذ أن بعض أسماء الناس — كما هو الحال فى الكثير من حضارات الشعوب الأخرى — تبقى على ما هو عليه منذ اليوم الذى أطلقت فيه وهذا واضح أيضا بالنسبة لأسماء المدن والأماكن التى تكون معظم النصوص مما جعل ثراءها اللغوى (Vocabulary) محدودا وقواعدها (Syntax) غامضة .

وكما قلنا أن إلياذة هو ميروس — التى استقر الرأى على أنها كتبت ما بين القرن التاسع والثامن قبل الميلاد — تكون كنزا يجمع كل ما هو عتيق وخاصة فى مجال اللغة اليونانية بالرغم من وجود الفارق الزمنى الشاسع الذى يفصل ما بين الحدث « وهو حرب طروادة ، والرواية (الألياذة) وبالرغم ما تعرضت له هذه الملحمة من التنقيح والتغيير والدس(Interpolation) على مر العصور حتى وصلت إلى ما هو عليه الآن ؛ ولقد سبق أن ذكرنا كيف أن شليمان — بصرف النظر عن عن تهوره وأخطائه فى تحديد الأسماء والمناطق — قد أثبت أن حرب طروادة التى تروى الألياذة إحدى فصولها — حدثا تاريخيا وليست رواية من نسج الخيال . وبأن مدينة موكيناى كانت فعلا كما قال هو ميروس « مدينة غنية بالذهب » .

إن علم دراسة الحضاة الموكينية (Mycenaeology) يقوم أساسا على مطابقة الآثار المادية التى تستخرج من الحفائر الأثرية « بالآثار الفكرية واللغوية » التى تستقيها من نصوص الوثائق ومن النصوص الأدبية التى تجيء على رأسها إلياذة هو ميروس الذى حافظ بقدر ما يستطيع بالمناخ الحضارى الذى كان يسود فى العصر الذى وقعت فيه تلك الحرب «

لا نريد أن نكرر القول بأن علماء الآثار قد أدهشهم تطابق وصف الألياذة لبعض الأشياء التى أخرجت من باطن الأرض مثل «كأس نستور» Nestor's Cup ودرع أخيليوس (The Shield of Achilles) وخوذة مريونيس(Meriones Helmet) التى أعارها لأوديسيوس لأن الألياذة كما سوف نرى عندما نتعرض لها – ليست إلا نسجا وتوفيقا لأهازيج متنوعة وقديمة تروى بطولات الأولين وعظمة الملوك الأقدمين والتى كانت الأجيال تورثها إنشادا للأجيال فى قصور الأمراء وخاصة فى وطن الأغريق الجديد البعيد عن أرض الأجداد فيجدون فيها حنينا وغذاءا وفى عظمة ماضيهم قومية واستعلاءا على من يعيشون بين ظهرانيهم من الشعوب الأخرى .

ومن المواد اللغوية التى لم تتغير بفعل تأثير التغير اللغوى والحضارى الكتابات والتشبيهات (Semiles) التى تكون قدراً كبيراً من الألياذة والتى سهلت من حفظها على الذاكرة . فأينما يذكر إسم أخيليوس تذكر كنيته « ذو القدمين السريعين » وكذلك كنية أوديسيوس « صاحب الحيل الكثيرة » . ويعطى العلماء أهمية كبرى للكتاب الثانى من الألياذة المعروف باسم « سفر السفن Book of Ships » حيث يستعرض الشاعر القطع البحرية التى اشتركت بها كل مدينة فى الحملة ضد طروادة مرتبة حسب قوة ومكانة كل منها فى المجال السياسى والحضارى وقتئذ . ومن هذه المدن ما اختفى فيما بعد من الوجود وبقيت ذكراه فى الأشعار فقط ، ومنها ما تضاءل نفوذه واندثر مجده وسلطانه ، ومنها ما شاءت له الأقدار أن ينهض وينمو ويفرض سلطانه ، فمثلا يجىء فى مقدمة هذا الاستعراض مدينة موكيناى Mycenae التى دفعت بمائة من السفن ثم تليها بيلوس Pylos التى ساهمت بتسعين سفينة . هاتان المدينتان ساء بهما الحال فيما بعد إذ تدهورت أحوال موكيناى فأضحت قرية مغمورة لا ذكر لها يسكنها الرعاة أما بيلوس Pylos فقد زالت من الوجود الجغرافى تحت جحافل الغزاة الدوريين ، أما أثينا ذات الأهمية القليلة والدور المحدود فقد شاء لها القدر أن تنمو وتزدهر منذ أوائل القرن الثامن حتى أضحت مدينة عظمى « وجامعة هيللاس » . ومن الأدلة الأخرى

على أصالة الخلفية الحضارية للألياذة أن الشاعر لم يذكر شيئاً عن أيونيا ومدن آسيا الصغرى اليونانيه ، وعن خيوس بالذات Chios التى قيل أنها موطنه وليس هذا تناسياً أو تنكراً من قبل الشاعر بل لأن الحرب قد وقعت قبل هجرة اليونان إلى ساحل آسيا الصغرى .

ومن « الآثار اللغوية » الموكينية التى استخرجها علماء اللغة من أعماق الألياذة بعض الصيغ النحوية مثل حالات المضاف إليه الذى ينتهى بالنهاية (aio) أو (ao) أو النهاية (Phi) حيث وجدوا مثيلات لها فى كتابة المجموعة الخطية الثانية . كذلك لاحظوا أن للكنيه التى أعطتها الألياذة للربة أثينا وهى السيدة أثينا «Potn' Athenaie» تردد بصورة محرفة قليلا فى وثائق المجموعة الخطية الثانية إلى Athana Potana . وناهيك عن أسماء الأسلحة ووسائل التكتيك العسكرى فى الألياذة التى هى أقرب إلى الحضارة الموكينية منها إلى حضارة بلاد اليونان فى عصر هوميروس . أما من ناحية التطور السياسى فى بلاد اليونان منذ العصر الموكينى حتى العصر الكلاسيكى فنستطيع أن نستعرضه فى تغير الأهمية السياسية لبعض الوظائف الرئيسية . فمثلا يجىء على راس المجتمع الموكينى الزعيم أو الـ (Wanax) ثم الملك (Basileus) أما فى الألياذة فاننا نجد اللفظين مترادفين . وفى العصور التالية يختفى الزعيم(Wanax)ويبقى الملك (Basileus) ثم لا يلبث أن يختفى الملك بتقدم العصر الكلاسيكى .

والآن نعود إلى معالجتنا للعوامل المادية والمعنوية التى كان يقوم عليها المجتمع فى ظلال العهد الموكينى . وسوف نبدأ بدراسة موجزة للدين لما كان له من مؤثرات معنوية فى الثقافة الموكينية .

لقد سبق أن أشرنا إلى أن معظم وثائق الكتابة الموكينية هى قوائم أسماء ومسجلات أشياء ورقميات وحسابات وبمعنى آخر ليس هناك نصوص تروى لنا أياً من مظاهر هـذه الحضارة ولعل القارىء يشفق على الباحث لصعوبة معالجة الحضارة الموكينية بكل تفاصيلها الدقيقة — لا من خلال وثائق مباشرة ومترابطة بل عن طريق شذرات مادية أثرية متفرقة هنا وهناك كأماكن العبادة والقرابين المقدمة للآلهة وأدوات الطقوس والشعائر والأختام التى تحمل صوراً أو رموزا

للآلهة وشذرات الفسيفاء (Frescoes) أوالفخار أو شواهد القبور (Stelai) التى تروى جوانب من هذه الشعائر الدينية . ومهما بلغنا من دقة الوصف والتحليل فعلى القارىء أن يدرك أن مثل هذا الوصف والتحليل ليس إلا انطباعات سطحية لا نستطيع أن نجزم بقطعيتها ما دمنا لا نملك الوثائق الناطقة (Speaking documents) .

وأول انطباع يتركه تفحص الأدوات الدينية فى نفس الباحث هو وجود ديـانة مشتركة بين الحضـارة المينويه والحضـارة الموكينية ، ولـذا يميل علماء الدين القديم إلى إطلاق إسم مشترك على هذه الديانة فى الحضارتين (Minoan Mycenean religion) ، فمناظر الشعائر وأدوات العبادة تكاد أن تكون واحدة فى كلتا الحضارتين . والإله الأكبر فى كلتيهما « أنثى » يجىء بعدها إله ذكر أقل منها مرتبة . وتكشف المناظر الدينية المصورة عن وجود علاقة دينية خفية وسرية وغامضة (Mystic) بين الخالق والمخلوق . كما تكشف بوضوح عن حاجة المتعبدين الشديدة إلى الإخصاب (Fertility) الذى كانوا يخنون بخصوصه ربتهم الكبرى دائماً (Mother goddess) فى صورة القرابين التى يقدمونها لها . كما يلحظ الدارس وجود نوع من عبادة الأشجار والتنسك للأعمدة . وأغلب الظن أن عبادة مشتركة كان تجمع بين كريت وموكيناى ودول شرق البحر الأبيض المتوسط عامة حيث كانت تربط بين هذه الأقطار جميعاً صلات تجارية وثقافية وطيدة ولشدة تأثير الحضارة الموكينية فيها وتأثرها بها نكاد نطلق عليها صفة العالمية (Internationalism) (1)

وكما قلنا فان المينويين والموكينيين عبدوا ربه أنثى أسموها بالربة الأم (Dea Mater) كما عبدوا ربا ذكرا إلى جوارها حينا كان يذكر كشقيق لها وحينا كان يذكر كبعل لها . ولا تخلو هذه العبادة — كغيرها من العبادات القديمة من عنصر الدراما العاطفية عندما يموت بعل هذه الربة فى ريعان شبابه مقدما نفسه قربانا من أجل رفاهية شعبه الذى من أجله جاء . كما تحتوى هذه الديانة على أفكار نابعة من البيئة الزراعية كفكرة القيام أو البعث أو بمعنى آخر « عودة الروح » عن طريق ميلاد

(1) cf. T.B.L. Webster : *From Mycenae to Homer, Study in Early Greek literature and Art*, London Methuen (1958) pp. 27 ff.

جديد. فهذا الرب – كأوزريس المصرى وتموز السورى وديونيسوس[1] اليونانى– يموت فى نهاية الدورة الزراعية ليولد مع بدايتها الجديدة فى « الربيع » حيث يحتفى بعيد ميلاده الذى يجىء مع فاتحة جنى الثمار وحيث تقدم له القرابين وتقام من أجله الشعائر طلبا للأخصاب والخير الوفير وغالباً ما تكون هذه الشعائر استعراضا لبعض مظاهر الحياة والطبيعة . وكما اعتاد المصريون أن يحتفلوا بيوم الزواج المقدس (Hieros Gamos) بين الرب حورس (Horus) والربة حتحور Hathor إعتاد المينويون والموكينيون الاحتفال بالزواج المقدس بين هذا الآله بعد بعثه وبين وبين الربة الكبرى الأم ، حيث يتم اللقاء ويجتمع الشمل (re-union) وكانت شعائر هذا الزواج التمثيلى من أهم ملامح الديانة المينوية الموكينية .

كانت الربة الأم ربة قادرة على كل شىء (Omnipotent) وجامعة لخصائص شتى إرتأى الموكينيون توزيعها على آلهة أخرى كثيرة . حقاً إن الدين المينوى كان يعرف زيوس ولكن كان يراه إلاهاً أقل قدرة وشأناً إذا ما قورن بالربة الأم [2] بل أنه اعتبر تابعاً لها ويقبع تحت إسرتها . أما فى نظر الدين الموكينى فان زيوس يبدو أكثر أهمية وشأناً إذ رددت وثائق المجموعة الخطية الثانية إسمه ، فذكر مرة فى وثائق بيلوس Pylos ومرات فى وثائق كنوسوس وإلى جانب زيوس أشارت الوثائق إلى الضرائب المفروضة على الناس عينا ومالا لصالح آلهة أخرى منها الربة هيرا وأثينا وأرتميس وأبوللون (الذى ذكرته باسم باياون (Paiawon) وبوسيدون وكذلك آريس (الذى ذكرته الوثائق باسم إنواليوس (Enualios) ، وبالرغم أن هذه الوثائق لم تذكر شيئاً عن الصورة التى ظهروا بها فى أعين الناس إلا أنه يكفى أن نقول أن الموكينين قد عرفوا هذه الآلهة

---

(١) cf. J. Frazer, The Golden Bough, vol V (Adonis, Atthis rnd Osiris, 296.

(٢) أنظر مقاله البروفيسور W. H. Fairman الرائعه بعنوان Ancient Egypt and Africa فى المجلد المعنون بإسم African Affairs والذى يتضمن أعمال مؤتمر الدراسات الأفريقية African studies والذى أشرفت عليه الجمعية الملكية للدراسات الأفريقية فى ربيع عام ١٩٦٥ .

(٣) Taylor. op, cit. p. 62.

التى أصبحت دعائم الديانة الاغريقية فيما بعد [1] . وجدير بالذكر أن الربة الأم عند الموكينين كانت تجمع مهام وزعت على ثلاثة ربات أغريقيات فيما بعد هن ديميتر Demeter ربة الزرع والحرث ،وأرتميس ربة الصيد والحيوان ،وأثينا حامية الدار ، وربما ليس من قبيل الصدفة أن ترث تلك الربات نفس المواصفات التى كانت تظهر بها الربة الأم فى كل وجه من وجوهها المختلفة الثلاث فمثلا ديميتر ورثت عن عن الربة الموكينية قدسية ضاحية اليوسيس فى أثينا وأرتميس ورثت عنها ظهورها فى صحبة الحيوانات المفترسة كربة البرية وأثينا ورثت عنها الثعبان واليمامة والدرع الذى كانت تحمى به القلعة والأبطال المغاوير .

لقد سبق أن أشرنا إلى أهمية بوسيدون رب البحار فى مدينة Pylos تلك الأهمية التى عبر عنها هوميروس عندما روى كيف أن نستور (Nestor) ملك المدينة وقائد حملتها فى الحرب الطروادية قدم أضاحى تسع مرات لهذا الآله وفى كل مرة كان ينحر له تسع ثيران حتى لا يهز الأرض هزا يجلب بعدها الدمار والخراب . كان بوسيدون يعبد عند الموكينين فى صورة جواد (hippos) والجواد كان رمز الأخصاب فى مجتمعات القبائل المتجوله الاغريقية (nomads) . وهناك من الأدلة ما يكفى أن نقول أن عبادة ديونيسوس بما احتوته من الانغماس فى العربدة والجنون الانطلاقى فى العصر اليونانى القديم (archaic) تنبع من الدين الموكينى حيث عرف هذا الرب الذى جاء أصلا من فريجيا Phrygia وليديا Lydia (فى أسيا الصغرى) وحيث ارتبط إسمه وهو طفل (Dionysus infans) بالربة الأم كما ورث منها الحيه وتذكر أساطير اليونان فيما بعد بأنه مات ودفن فى دلفى Delphi التى سكنها أبوللون فيما بعد والذى سمى بقاتل الحية[2] (Argeiphontes) ويعتبر أبوللون أكثر الآلهة الذكور أهمية فى الديانة الموكينية فهو الذكر المناظر للربه الأم ، فهو رب القوس ورسول الموت والشافى من السقم والأوبئة والأمراض . أما عن

---

(١) Taylor, p. 63.F

(٢) cf. S. Davies in *Greece and Rome*, XXII (1953), p. 33 ff.

أماكن العبادة فجدير بالذكر أن الدين الموكيني مثل الدين المينوى لم يعرف المعابد الفخمة التى تحوى تماثيل العبادة الضخمة (Cult-Statues) مثلما كان الحال فى العصور الكلاسيكية ، إذ لم يتعد مكان العبادة أن يكون محرابا صغيرا تقدم فيه القرابين . ومن الجدير بالذكر أن علماء الآثار قد لا حظوا وجود آثار دينية فى العصر الموكينى فى نفس الأماكن التى صارت فيما بعد من أشهر مراكز العبادة مثل جزيرة ديلوس (Delos) مركز عبادة أبوللون وأولمبيا (Olympia) حيث عبد زيوس وهيرا . وهناك من يرى أن فى العثور على بقايا قصر ملكى أسفل قاعة التلستيريون (Telesterion) فى ضاحية اليوسيس حيث كان تجرى إلى شعائر الدينية الخاصة بديميتر وإبتها برسيفونى — دليلا دينياً لأن المحراب كما رأينا فى الحضارة المينوية خرج من ردهات القصر الملكى [1] .

أما من الناحية المادية . فقد كانت الزراعة تعتبر الدعامة الأولى لتلك الحضارة إذ كان يعمل بها السواد الأعظم للشعب وتدل القوائم التى كانت تسجل مقدار المحصول ونوعه ونصيب القصر والآلهة منه — على دقة التنظيم الزراعى . ومن أهم الحاصلات التى ترددت فى الوثائق القمح والشعير . كما قامت بعض الصناعات التى ارتبطت بالزراعة مثل صناعة زيت الزيتون والمنسوجات الصوفية. وكانت صناعة المنسوجات الصوفية بالذات من أهم مصادر الثراء فى المجتمع الموكينى وكان يستهلك بعضه داخليا أما الفائض فكان يصدر إلى بلدان البحر الأبيض التى كانت لها علاقات تجارية مع مدن بلاد اليونان فى ذلك العصر .

وبالرغم أن « الثور » كان حيواناً مقدساً إلا أنه كان وحده التعامل الذى كان يقوم أساساً على المبادلة [2] (barting) ، وليس من المستبعد أن استخدم الموكينيون سبائك النحاس كوحدات للتعامل بدلا من النقود إذ عثر على كمية كبيرة منها فى القصر الصيفى فى هاجيا ترياداا بكريت كما أخرجت حديثا كمية أخرى من بقايا سفينة موكينية غرقت جنوب غرب ساحل تركيا [3] بالقرب من Gelidonya عام ١٩٦٠

(١) cf. Taylor, op. cit., p. 73, 74.

(٢) cf. Seltman, Greek Coins., p. 3 ff

(٣) Taylor, op. cit., p. 136.

وقد أقام الموكينيون مدنهم على قم التلال . وكانت هذه المدن مبنية على نمط مدن الامبراطورية الحيثية ، محاطة بالتحصينات الدفاعية القوية حتى أن كاسون[1] (Casson) أرجع سيادة مدينة موكيناى إلى نجاحها فى تنظم عناصر القوة تنظيما ساميا

Mycenae dominates By virtue of the proper organisation of force

ومن المدن المحصنة كانت تخرج شبكة من الطرق لتربط بين المدن الكبرى وبين المراكز التجارية أو الثقافية التابعة لها [2] ، وقد كشفت الألواح المكتوبة عن عناية بالغة بانشاء وبناء شبكات الطرق من أجل خدمة التجارة والجنود حيث شقت الطرق وأقيمت الجسور . ومن أشهر هذه الطرق الطريق الذى يبدأ من أكروبول موكيناى ويمتد جنوبا إلى بلده بروسيمنا (Prosymna) حيث يوجد معبد للربة هيرا Heraeum كما استطاع العلماء تتبع آثار طريق جبلى يربط بين موكيناى وكورنثا ، وضمانا لسلامة القوافل التجارية والمسافرين أقام الموكينيون قلاعا للحراسة على جانبى الطرق الرئيسية وليس ببعيد أنهم فرضوا رسوماً على استخدام الطرق كما هو الحال فى أوروبا اليوم ، ومن أشهر قلاع الحراسة قاعة جبل[3] إلياس (Mount Elias) الذى يطل على مدينة موكيناى نفسها . وعلى أى حال فان علماء الحضارة الموكينية يرون فى عناية الموكينيين بشبكات الطرق دليلا على مظهرين يعتبران من أهم مظاهر الحضارة الموكينية على الصعيد الدولى ألا وهما التجارة والحرب .

اهم ما يميز الموكينين عن غيرهم من الشعوب هو أنهم شعب سال بطبيعته إلى القتال وذلك واضح من أنواع الأسلحة المختلفة التى عثر عليها مدفونة فى قبور الرجال وكما هو واضح من الرسومات سواء على حوائط القصور أو على أوانى الشراب والتى كانت تسجل جوانب من معارك حامية الوطيس . وليس ذلك وحده دليلا على ارتفاع الروح العدوانية القتالية عن الموكينين فحسب ، بل تبين الوثائق

(١) cf. M. Grant, Ancient Histony (Home study bonk) London 1952 p. 99

(٢) 99, Taylor, p. 138.

(٣) من الطريف أن المؤلف المسرحى أيسخولوس Aeschylus فى مسرحية أجاممنون Agamamnon خلد هذه القلعة إذ جعلها النقطة التى تلقى أهل المدينة منها الأشارة بأن طروادة قد سقطت ثم طيروا الخبر إلى كلوتمنسترا Clytemnstra الزوجة الخائنة .

الكتابية أهمية الجيش فى المجتمع الموكينى ،ولقد أشرنا سالفاً إلى طبقة « الأتباع »(baquetai) العسكرية . وكما يتضح من الاسم فقد كانوا أتباعاً للملك ، وأغلب الظن أنهم كانوا من طبقة الأشراف . وتخبرنا الوثائق أنه كان يتوفر لديهم العربات الحربية وأنهم كانوا أعضاء فى هيئة عسكرية كان يديرها القصر الملكى من أجل التنسيق بين وحدات الجيش المختلفة المكلفة بحماية المناطق الساحلية وصد أى عدوان قد يقع عليها مثلما كان الحال فى الامبراطورية الرومانية المقدسة [1] . يجىء سلاح العربات على رأس وحدات الجيش الموكينى وكان لهذا السلاح من الأهمية ما تولبها الجيوش الحديثة لسلاح « الفرسان » إذ كان دور « العربة الحربية » فى المعركة حاسما وأساسيا وليس كما كان يظهر دورها فى الألياذة والذى لم يكن يتعدى حمل البطل إلى ساحة المعركة[2] . لقد كان إختراع العربة الحربية ثورة فى التكتيك العسكرى فى العالم القديم فعن طريقها مثلا استطاع المصريون وهم شعب زراعى مسالم أن يقيموا إمبراطورية ساشعة خلال القرن السادس عشر قبل الميلاد [3] وليس هناك من شك فى أن « العربة الحربية » دخلت إلى بلاد اليونان من الشرق الأوسط إبان القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، ومن أهم الأسلحة التى كان يتسلح بها الجندى الموكينى الدرع الذى يحمى الصدر (Shield) والدروع التى كانت تحمى الساقين (Greaves) حتى أن الآخيين عرفوا باسم « الذين يتوشحون جيداً بدروع الساق Well greaved) (Achaeans ويستطيع الزائر لمتاحف بلاد اليونان وأوروبا أن يشاهد مجموعات مختلفة للخوذات الحربية ، وعلى تشكيلات متنوعة للأسلحة الهجومية كالحراب والسيوف والنبال والسهام وناهيك عن الخناجر المطعمة بالعاج والذهب .

ولما كان للبحر أهمية خاصة فى حياة الموكينين ، فمن الطبيعى أن نعتقد بوجوب قوة بحرية ضاربة . إذ تمدنا وثائق بيلوس (Pylos) بقائمة تتضمن مجموعة من أسماء « مجدفين » فى الأسطول وأغلب الظن أن السفن التجارية كانت نفس السفن التى كان تستخدم لأغراض عسكرية أو للقرصنة فى أعالى البحار[4] .

---

(١) cf. Taylor, op. cit., p. 139 f.

(٢) Ibid, p. 141.

(٣) Ibid, p. 141.

(٤) Op. cit., pp. 162—163 ; 148, 149.

ومن الطبيعى أن يتفهم الباحث حب الموكينى للبحر . فهو إنسان يتميز بعشقه للمغامرة وركوب المخاطر والأهوال بل أن فقر الموارد الاقتصادية لبلاده حتمت عليه البحث عن مصادر أخرى فى البلاد التى يخفيها البحر وراء أفقه البعيد فكانوا يذهبون بالفائض من صناعاتهم ويعودون بما تحتاج إليه بلادهم ومن الواضح أنهم كانوا يصدرون الأوانى الفخارية على نطاق واسع . فاذا نظرنا غرباً وجدنا شذرات الفخار الموكينى فى صقلية وجزر ليبارى شمال هذه الجزيرة وحيث استخرجوا من صخورها البركانية اللامعة الداكنة الحجر الذى يعرف بالأوبسيدى (obsidian) والذى كانوا يصنعون منه الأدوات الفنية والمنزلية ، ويتضح من كثرة الأوانى الفخارية الموكينية أن هذه الجزيرة كان محطة تجارية للأسطول الموكينى فى غرب البحر الأبيض ولما كانت الحضارة الموكينية تقوم جوهرا على معدن البرونز فانه من الطبيعى أن يسعى الموكينيون بحراً وراء خامات هذا المعدن وهى النحاس والقصدير وقد اشتهر سهل إترووريا Etruria فى شمال إيطاليا بمناجم النحاس الغنية وأغلب الظن أن السفن الموكينية كانت تجىء بهذا المعدن من هذه المنطقة إذ لاحظ العلماء وجود شذرات للأوانى الموكينية فى جزيرة إسكيا Ischia المواجهة لساحل إترووريا[1] وليس من المستبعد أن تكون السفن الموكينية قد وصلت إلى شواطىء شبه جزيرة إيبيريا Iberia حيث مناجم القصدير والفضة حتى فى غياب الدليل الأثرى . كما أمكن التعرف على العديد من الآثار الموكينية الصغيرة فى شمال وجنوب فرنسا وبريطانيا ومنطقة وسط أوروبا [2] .

كذلك رددت وثائق المجموعة الخطية الثانية التى عثر عليها فى كنوسوس عدداً من أسماء الجنسيات الشرقية التى عرفت من خلال التعامل التجارى فذكرت كلمة « مصرى » (Misirayo) ومرادفها (Aikupitayo) ، كما ذكرت كلمة

---

(١) cf. A. G. Woodhead, *The Greeks in tl e West*, New York, 1962, p. 225 f.

(٢) cf. W. Taylor, op. cit., p. 153—154.

« قبرصى » (Arasiyo) وأرادى (Aradayo) وكذلك لفظ « بيروتى » (Perita) و « صورى » (Turiyo) كما تردد لفظ (po ni-ke) و (po-ni ki ya)[1] وكلاهما له دلالته عن علاقة تجارية ببلاد الفينيقيين . وكذلك فقد تعرف علماء اللغة اليونانية على عدد كبير من الأسماء ذات الأصول السامية خاصة أسماءالتوابل[2]. وكانت الصادرات الموكينية توضع في في جرار ذات حجم وشكل معين وقد عثر على شذرات هذه الجرار في فينيقيا وفلسطين ومصر[3] .

ولتأمين التجارة أقام الموكينيون عدداً من المستعمرات التجارية لتفريغ الصادرات وشحن الواردات وقد أمكن التعرف على هذه المحطات في ميليتوس (Miletus) ، ورودس (Rhodes) ، وقبرص (Cyprus) . وأوغاريت (رأس شامره) (Ugarit) على الساحل السوري حيث تعكس صورة للرخاء التجارى الذى شهدته بلاد اليونان ما بين ١٤٠٠ — ١٢٠٠ ق. م بصورة لم يسبق لها نظير[4] .

كانت مصر من أهم أقطار البحر الأبيض المتوسط التى حرص الموكينيون على إقامة علاقات طيبة معها فالأوانى المرمرية (alabaster) المصرية كثيرة فى القبور الموكينية كما أن رسومات الحوائط فى طيبة المصرية والتى تعود إلى الأسرة الثامنة عشرة (حوالى القرن الخامس عشر قبل الميلاد) تصور رجال كفتيو (Keftiu) أى أهل كريت وهم يحملون الجزية فى شكل حلقات من الذهب والفضة والجواهر الغالية وأدوات الزينة وسبائك النحاس وكذلك المنسوجات الصوفية وغيرها من

---

(١) يمكن إحصاء هذه الجنسيات من خلال مانشر من وثائق المجموعة الخطية الثانية وهى : —
J. Chadwick, The Decipherment of «linear B», Cambridge University Press (1958), also available in Modern Liberary paperback edition; (B) M. Ventris and J. Chadwick, Documents in Mycenean Greek, Cambridge University Press (1956); (C) Ebbe Vilborge, A. Tentative Grammer of Mycenean Greek, Goettenborg (1960); (D) The Interpretation of Mycenean Greek Texts, Oxford, Clarendon Press (1963).

(٢) cf. Edwin. M. Yamauchi, Greece and Babylon-Early Contacts between the Aegean and Near-East, Michigan, 1967. pp. 33—34.

(٣) cf. Frank Stubbings, *Mycenean Pottery from theLevant*, Cambridge University Press (1951); pass in , also cf. G. Clairment's article «Greek Pottery from the Near-East» in *Berytus*, XI (1955) 85—141.

(٤) cf. Sara Immerwahr, « Mycenean Trade and Colonization», *Archacology*, XIII (1960), p. 4—13, also cf. F. Stubbings, *The Expansion of Mycenean Civilization*, Cambridge University Press (1964), passim.

الأدوات[1] . ولابد أن مصر — التى عرفت بصادراتها فى العالم القديم — لم تكن أقل قدرة على التصدير ولكن طبيعة الجو فى بلاد اليونان لم يساعد الكثير من الصادرات المصرية على البقاء ولكن رمال مصر الدافئة كانت على العكس من ذلك إذ حفظت لنا كميات كافية من هذه المواد بالرغم مما تعرضت له القبور من نهب واندثار ويستطيع القارىء أن يطلع على نتائج حفائر فلندرز بترى (Flinders Petrie) فى تل العمارنة حيث بنى إخناتون مقر قصره العظيم وعاصمته الجديدة والتى هجرت واندثرت بعد عام ١٣٥٠ نتيجة للعودة إلى ديانة آمون . لقد أخرج من قبور هذه المدينة ما يزيد على ألف وثلاثمائة خمسين شذرة فخار بعضها جاء من قبرص ولكن الغالبية من بلاد اليونان [2] . ولعل الباحث يتساءل عن هذا التحول فى حجم التجارة بين مصر وأوروبا لصالح بلاد اليونان بدلا من كريت التى أقامت علاقات تجارية مع مصر منذ وقت مبكر . وربما يقبع الجواب فى تدهور سيطرة كريت البحرية وانتقال مركز الثقل تدريجياً إلى بلاد اليونان ويلاحظ العلماء أن الموكينين تحاشوا المرور بسفنهم التجارية بالقرب من كريت فسلكوا طريقاً بحرياً إلى جزيرة رودس ثم بمحاذاة ساحل آسيا الصغرى مارين بأوجاريت وببلوس (Byblus) وساحل فلسطين حتى ساحل أفريقيا الشمالى .

يتعين إذاً مدى أهمية جزيرة رودس كمحطة بحرية موكينية فى شرق البحر الأبيض المتوسط ثم تليها فى الأهمية ميليتوس وكلتاهما كانتا فى الأصل محطاً للتجار الكريتين ولكن سرعان ما إستوعبتهما موكيناى بعد زوال سلطان كريت البحرى[3]. ولما إتسع نطاق الحيز التجارى الموكينى إمتدت يد السيطرة والإستيطان فشملت جزيرة كوس (Cos) والجزر الإثنا عشر (dodecadese) وجزيرة قبرص. وتوضح « وحدة نوع » المواد الأثرية مدى إلتصاق المستعمرات بالوطن الأم فى بلاد اليونان . وبطول المقام بدأت فى هذه المستعمرات ظلال للحضارة الموكينية إذ

---

(1) cf. H. T. Bossert, *The Art of Ancient Crete*, London (1937), pl. I. W. Taylor, op. cit., p. 155, Fig. 68.

(2) cf. F. M. Petrie, Tell El-Amarna, London (1894), passin.

ويلاحظ تيلور أن تأثير الفن الموكينى ساعد على تخفيف حدة الجمود فى الفن المصرى أنظر op.cit., p. 159.

(3) cf. op. cit., p. 158.

بدأت هذه المستعمرات فى تقليد الصناعات الموكينية خاصة فى رودس وقبرص ، ويستطيع عالم الآثار فى البداية أن يميز بسهولة بين ما هو « موكينى » حقيقى وما هو موكينى مقلد أو بمعنى آخر بين ما هو « موكينى مستورد » وما هو « موكينى محلى » . لكن كلما تدهورت سيطرة بلاد اليونان على مستعمراتها ازداد اعتماد هذه المستعمرات على الإنتاج المحلى مما أدى زيادة فى الجودة والإتقان حتى أن الأثريين ليجدون من الصعوبة بمكان أن يفرقوا بين النوعين(١) فيما بعد .

وخلاصة القول أن بلاد اليونان فى خلال السيادة الموكينية كانت تسوق حضارياً من الشرق الأوسط (٢) وتتاجر مادياً مع الغرب الإيطالى حيث عبرت سفنهم كما تفعل اليوم البحر الأدرياتيكى (٣) يساعدها على ذلك وجود بعض الجزر المواجهة للساحل الغربى لبلاد اليونان مثل جزيرة كورفو أو كوركيرا (Korkyra) حيث كان يتمون الأسطول ثم يتابع بعدها السير إلى جنوب إيطاليا وجزيرة صقلية ، بل أن هناك من الدلائل ما يثبت وصول السن الموكينية إلى جزيرة سردينيا (Sardinia) ذات المناجم الغنية بالنحاس . هكذا ساهم الموكينيون فى تمهيد الطريق لاستيطان الغرب اليونانى (٤) .

(1) cf. Taylor, op. cit., p. 157—158.

(2) cf. Yamauchi, op cit., p. 85 ff.

(٣) جدير بالذكر أن نشير إلى أهمية ساحل تساليا الغربى لبلاد اليونان فى مجال الملاحة . ومن أشهر موانيه يولكوس Iolkos التى منها أبحر ملاحو السفينة أرجوس — كما تروى الأسطوره — ليعودوا بالجزه الذهبية (Golden Fleece) من بلاد القوقاز (Coucasus) .

(٤) تروى الأساطير أن الملك مينوس كان قد اصطحب جيشاً من جنده إلى جزيرة صقلية للقبض على دايدالوس الذى إلتجأ إلى قصر الملك كوكالوس Cocalus ملك كاميكوس Camicus وعند وصول مينوس طلب من هذا الملك تسليمه دايدالوس وخشى أن رفض فيستولى مينوس على مدينته فتظاهر بالموافقة وطلب من مينوس أن يحل ضيفاً بقصره . وطبقاً لتقاليد الضيافة فى العصر الهومرى كان على أميرات القصر أن يقمن بالخدمة على الضيف فى الحمام حيث قتلنه بصب القار المغلى عليه بدلا من الماء بايعاز من أبيهن (Apollodorus, Epit, I. 13—15, (Herodotus 7, 170, i)) وقد قيل أن كوكالوس أشرف بنفسه على ذلك أنظر (Drodorus V, 2—3 ; IV, 79, 5—7) ثم قام أهل صقلية بحرق سفن الملك الغازى . ولما وجدت الجند نفسها بلا قائد ولا سفن فقدوا الأمل فى العودة إلى كريت وقرروا =

وقد يتساءل الباحث ماذا كانت تقدم موكيناى فى صادراتها غير الأوانى الفخارية ؟ والإجابة على ذلك يجب أن نعود إلى الجغرافيا التاريخية حيث نعرف ان بلاد اليونان كانت غنية بمناجم المعادن كمناجم النحاس فى قبرص ونيميا (Nemea) فى الشمال الغربى موكيناى ومناجم الرصاص والفضة فى لاوروم (Laurium) فى اتيكا ، كما كثر استخدام الذهب [1] ومن الطبيعى ان تصدر موكيناى صناعات هذه المعادن ، كما سبق ان اشرنا إلى تصدير الصوف والمنسوجات الصوفية وقد كشفت وثائق بيلوس Pylos عن فائض المنتجات والمصنوعات النحاسية التى

= إستيطان الجزيرة حيث بنوا مدينة على الساحل سموها مينوا Minoa تخليداً لملكهم وأخرى داخل الجزيرة أسموها انجوم Engyum كما بنوا معابد للربة الأم ، ويرجع ديودورس فضل إنتشار عبادة هذه الربة الكريتية إليهم وظل أحفاد هؤلاء الجنود يتمسكون بالمشاعر القومية الكريتية وعندما زار الملك ميريونيس Meriones الكريتى جزيرة صقلية إستقبلوه إستقبالا حافلا وأنعموا عليه وعلى من معه بجنسية بلادهم Diodorus, IV, 78, 5—7 كما تشير الأسطورة أن الجنود دفنوا مينوس فى احتفال كبير وأقاموا له قبراً مقدساً على طراز القصر المينوى فى كنوسوس . وأغلب الظن أن هذه الأسطورة صيغت لتسجيل الاتصال بين كريت وصقلية وتأثر الثانية بالأولى حضارياً ، أما فيما عدا ذلك فهو من نسج الخيال إذ لا يوجد دليل مادى واحد على حدوث مثل هذه الحملة (Taylor, op. cit., p. 160) أما عن إختلاق قصة بناء قصر تيه آخر فى صقلية فجدير بالذكر أن أشير إلى المحاولات المتأخرة التى ظهرت فيها قصور التيه ، فهناك نقش يتحدث عن قيام الامبراطور الرومانى سبتيموس سيفيروس Septimus Severus ببناء قصر بهذا الطراز الشهير (Kaibel, Epigraphica Graeca, 27) كما ظهرت رسوم لقصر التيه على نقود مدينة كنوسوس وعلى الأوانى اليونانية وعلى الفسيفساء الرومانية أنظر مقالة
L. Shear in the American Journal of Archaeology, 1923)
كما نود أن نشير إلى بعض الكتابات التى وجدت على إحدى حوائط بيوت بومبى Pompeii والتى تقول هنا يسكن مينوس (hic habitat Minos) وأشير باقتراح لورد تايلور (op. cit., p. 160) بأن لفظ مينوس أصبح فيما بعد لقباً مثل « قيصر » و « فرعون » وربما تسمى أحد ملوك صقلية الأولين بهذا الاسم أنظر مقاله جورج هانفمان G. Hanfmann فى Oxford Classical Dictionary ص ٧٧٤ تحت كلمة Labyrinth وأغلب الظن أن الأسطورة كانت تعنى بالجنود أهل رودوس وهى إحدى مستعمرات كريت فى الزمن المبكر وهم فى نفس الوقت أحفاد الموكينيين ويدل على ذلك وجود الفخار الموكينى الرودوسى فى Tarantum التى أصبحت طبقاً للتراث اليونانى . عاصمة اليونان العظمى بعد عام ٧٠٦ قبل الميلاد . ولكن الآثار تدل على وجود علاقات تجارية بينها وبين موكيناى منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد كما قاست بدور الوسيط التجارى بين بلاد اليونان وشعب حضارة التيرا مارى Terra mare فى شمال إيطاليا أنظر
Taylor, op. cit., p. 161

(١) يرى تايلور أن ذهب موكيناى جاء من مناجم بلاد النوبة وعن طريق مرتبات الجند الموكينيين الذين عملوا فى الجيش المصرى وفضلا عن ذلك عن طريق القرصنة البحرية op. cit., p. 163—164.

وربما كانت من أهم الصادرات الموكينية إلى العالم الخارجى . وقد إرتبطت القرصنة البحرية دائماً فى التاريخ القديم « بتجارة العبيد » التى سبق الحديث عنها كما تحدثت الوثائق الموكينية عن صناعة الدهون والمستحضرات الطبية [1] وربما قاموا باستيراد التوابل [2] والعطور من الشرق وتوزيعها على أسواق العالم الأوربى كما تدل أشكال بعض الأوانى الموكينية فى البلاد الأخرى وخاصة الشرق الأوسط على أنها كانت تحمل النبيذ [3] وربما أيضاً زيت الزيتون والتى كانت تصدرها مقابل استيراد التوابل والعاج من هذه المناطق .

وأخيراً نوجز فنقول أن دويلات الشرق الأوسط كانت تستمتع بالإكتفاء الذاتى إقتصادياً لدرجة جعلها لا تأبه بالتجارة الدولية بنفس الإهتمام الذى أولته بلاد اليونان لها وذلك لقلة الموارد الإقتصاديةفى اليونانمما حتم عليها أن تزيد من تجارتها وأن تدخل فى منافسة مع غيرها ولعل أقرب الأمثلة التاريخية لموكيناى هى مدينة البندقية (Venezia) التى قام مجدها السياسى والثقافى على التجارة الدولية التى رفعتها من مدينة مغمورة إلى مكان الصدارة والثورة وغمرتها بالرخاء والبذخ

الحروب الطروادية :

قبل أن نتطرق إلى الحديث عن أشهر حرب خاضها الآخيون (الموكينيون) يجب أن نذكر القارىء بما سبق أن قلناه من أن الموكينيين كانوا شعباً عدوانياً مقاتلا بغريزته وأن آثارهم تدل على أنهم حاصروا أكثر مما حوصروا (Besiegers rather than besieged) [4] . وكذلك يجب أن نذكر القارىء بظروف بلاد اليونان الإقتصادية التى حتمت عليها الدخول فى منافسة مع الدول التجارية الأخرى من أجل السيطرة على البحار والآنفراد بالإسواق التجارية الخارجية ولم تكن مدينة طروادة القابعة على الجانب الآخر من حوض البحر الأيجى أقل سلطاناً بحرياً . فقد خصتها الطبيعة بموقع إستراتيجى جعلها تتحكم فى بحر مرمرة (Propontis) وليس من المستبعد أن تكون هذه المدينة قد فرضت إتاوة على السفن الرائحة

---

(1) cf. Taylor, op. cit., p. 164 .
(2) Yamauchi, op. cit., p. 33.
(3) Ibidem, p. 34.
(4) cf. Duncan Taylor, *Ancient Greece*, Methven, London (1957), p. 7.

والغادية فى هذه المنطقة مثلما تفعل الدول الحديثة بعمراتها المائية . ومن الطبيعى أن يؤدى التنافس التجارى إلى وجود حالة من التوتر العدوانى يتحفز فيها كل من الطرفين المتنازعين متحيناً الفرصة التى ينقض فيها على خصمه ؛ وليس من المستبعد أن تكون شرارة الحرب قد اندلعت نتيجة لحادث قرصنة بحرية أو بسبب حادثة إغتصاب وهو السبب الذى أعزته الألياذة لقيام الحرب . ولكن يبقى السبب الفعلى للحرب وهو الاشتباك الذى لا مفر منه نتيجة « لصراع المصالح (Conflict of Interests) وعلى أى حال فان مدينة طروادة تكن لم تعتمد على التجارة إعتماداً مطلقا مثل بلاد اليونان ، وذلك لاختلاف تركيبها الجغرافى إذ تقع مدينة طروادة فى سهل منبسط فسيح يسمى سهل طروادة (Troad) وهو خال من العوائق الجبلية التى تضيق المساحة المزروعة . كما أن طبيعة الأرض البركانية جعلت هذا السهل غنياً بانتاجه الزراعى بمقادير تزيد عن حاجة السكان المحليين . ومن الطبيعى أن يصدر الفائض الزراعى إلى خارج البلاد . كما ذكرت الأشعار الهومرية فى أكثر من موضع أن طروادة اشتهرت بتربية الجياد الأصيلة . كما أن الحفائر الأثرية التى أجريت فى موقع طروادة كشفت عن كميات ضخمة من معدات الغزل والنسيج وذلك يدل بصورة لا تقبل الشك — على أن المدينة القديمة كانت مركزاً هاماً لصناعة النسيج وربما نافست البلاد الموكينية فى تصدير المنسوجات . وليس من المستبعد أن يكون الإغريق قد اختاروا لحملتهم توقيتاً مناسباً إذ تظهر الدلائل الأثرية أن المدينة قد تعرضت حوالى عام ١٣٠٠ ق. م لسلسلة من الزلازل ألحقت بها أضراراً جسيماً وتركتها أقل بأساً وأوهى عظماً . عندئذ حشدت بلاد اليونان كل طاقاتها العسكرية فى حملة — طبقاً للألياذة — قادها أجا ممنون العظيم « ملك الرجال » . وقد سبق آن ذكرنا أن الألياذة استعرضت عضلات الحملة فى الجزء المسمى « بسفر السفن » ومهما يقال عن أن الحرب إشتعلت لسبب أخلاقى ودفاعاً عن شرف الملك مينا لاعوس (Menlaos) شقيق أجا ممنون بعد أن خطف أمير طروادى إسمه (Paris) زوجته الجميلة هلينا (Helena) وفر بها عائداً إلى طروادة متعدياً بفعلته هذه حدود

الضيافة المقدسة[1] . وإلى عهد قريب قبل المؤرخون التاريخ التقليدى الذى حدده إراتوشنيس Eratothenes لسقوط طروادة وهو عام ١١٨٤ق.م[2] ولكن الأبحاث الأثرية التى صححت ما استنتجه شليمان من حفائره اعتبرت أن هذا التاريخ تاريخاً متأخراً . فقدر بعضهم سقوط مدينة طروادة وإلى الفترة الأولى من الطبقة السابعة (VII A) حـــوالى عام ١٢٣٠ ق . م . ويكاد الرأى أن يستقر على اعتبـــار

---

(١) يبدو أن فكرة خطف إمرأة – و امرأة قائد مسئول – من معسكر الأعداء فكرة ضاربة فى القدم فالمؤرخ هيرودت يروى لنا سلسلة من حوادث خطف النساء . فذكر أن التجار الفينيقيين الذين كانوا يعرضون بضاعتهم فى أرجوس إختطفوا إبنة الملك واسمها « إيو » وأبحروا بها تجاه مصر ورد الأغريق (وربما الكريتيون) على ذلك بحملة بحرية ضد مدينة « صور » واختطفوا إبنة الملك وإسمها « يوروبا » (Europa) ثم عاود الأغريق الكرة وقاموا بحملة بحرية ضد مدينة آيا Aea فى إقليم كولخس Colchis فاختطفوا إبنة الملك وإسمها ميديا (Medea) ولما أرسل أهل كولخس يطلبون إسترداد أميرتهم ومعاقبة الفاعلين ذكرهم الأغريق بحدث خطف أميرتهم « إيو » ورفضوا مطالبهم ، وبعد أكثر من نصف قرن صمم أمير طروادى إسمه الكسندر (Paris) أن ينتقم لشرف الشرق فاختطف « هلينا » زوجة الملك مينلاوس واتخذها زوجة لنفسه . وفى الحال أرسل الأغريق يطلبون إسترجاع أميرتهم ومعاقبة الخاطف ولكن الطرواديين ذكروهم برفضهم طلباً مماثلا تم عندما خطفت ميديا أميرة كولخيس ولكن يمكن أن يرد الأغريق بحادث خطف مماثل إلا أنهم رجعوا إلى السلاح وصمموا على غزو آسيا قبل أن تغزوهم وقد ضمن هيرودوت رد المؤرخين الفرس على أسباب قيام الحرب بقولهم بأن إعلان الحرب من جانب الأغريق أمر مميت وذنباً لا يغتفر . لأن حادثة خطف إمرأة مهما كانت لا يستحق إعلان الحرب وإراقة الدماء ، فضلا على أنه ليس من الممكن أن تخطف إمرأة إلا إذا كانت نصف راغبة (a willing victim) . (Herodotus, I, 1—5.) وبالرغم من أن هيرودوت (والمؤرخين الفرس) تأثروا بأحداث عصرهم (الحرب الفارسية اليونانية) وأدخلوا العامل العنصرى القومى كسبب من أسباب قيام الحرب إلا أننا لا نرى هذا السبب قائماً فى مثل هذه الحالة لأن الصراع كما سبق أن رأينا قام بين شعبين ذى أصل واحد وأبناء عمومة ، فالالياذة تظهر الطرواديين بصورة حضارية هللينية متشابهة تحملهم بعيداً عن مستوى الشعوب البربرية. ولما حاول الفرس واليونانيين وضع خط عنصرى فى صراعهم إبان القرن الخامس ق م بحثوا عن الماضى حيث أعلن الفرس أنهم حماة القومية الأسيوية» ـ بينما قام اليونانيون أنفسهم حماة على جنوب أوروبا وحضارتها وتبادلوا الاتهامات فى حوادث خطف النساء . ودافع الفينيقيون عن أنفسهم بأن الأميرة « إيو » هربت لأنها حملت سفاحاً من ربان السفينة وخشيت أن تواجه أهلها بذلك فهربت إلى مصر . والدليل على تطور فكرة القومية الأسيوية فى العصور المتأخرة أن الفينيقيين كانوا من أخلص حلفاء الفرس ودافعوا دفاعاً مستميتاً عن الأمبراطورية الفارسية ضد الأسكندر الأكبر ، أنظر :

Arnold J. Toynbee, Greek Historical Thought, Mentor Book, 1964), p. 29—31.

(1) cf. Klio (1902), p. 406 ff.

(2) cf. T. B. L. Webster, op. cit., p. 142 f.

الفترة ما بين ١٢٦٠-١٢٥٠ ق.م كتاريخ تقريبي لسقوط هذه المدينة حيث تظهر الآثار أن الموكينيين هاجموا شرق البحر الأبيض المتوسط . قد سجلت الآثار المصرية أن « شعوب البحر » هاجمت مصر من الغرب ثم بعد ذلك من الشرق[1] ولكنهم ردوا على أعقابهم خاسرين .

الغزو الدورى ونهاية العصر الموكيني :

إهتزت بلاد اليونان وحوض بحر إيجه خلال القرن الثانى عشر قبل الميلاد لحركة هرج سكانى شملت منطقة البحر الأبيض المتوسط كلها . ومن الواضح أن القبائل الغازية كان مصدرها قارة أسيا الصغرى حيث أعزى العلامة شيفر Shaefer أسباب هذا الهرج والهجرة السكانية إلى سلسلة من الزلازل تعرضت لها تلك القارة إبان هذه الفترة .

أما بالنسبة للقبائل التى غزت بلاد اليونان فمن الواضح أنها لم تجىء بحرا بل هبطت عليها برا من الشمال بدليل أن الحياة الموكينية فى بعض جزر بحر إيجه استمرت فيما هى عليه ، بل أن جزيرة رودوس بلغت قمة مجدها التجارى إبان هذا الغزو إذ امتدت مناطق نفوذها من تارنتم (Tarentum) غربا إلى هضبة الأناضول شرقا [2]. ومن الواضح أن هذه القبائل قبائل هندو أوروبية من نفس العنصر الاغريقى . وقد عرفهم التراث اليونانى باسم الدوريين (Dorians) وأنهم هبطوا من الشمال واحتلوا معظم البيلوبونيز بعد جيلين من سقوط طروادة [3] . بل ولقبوا هجرتهم باسم عودة آل هيراقليس البطل الأسطورى الاغريقى [4] (The Return of the

(1) Taylor, op. cit., p. 173, 174, 175.

(2) cf. W. Taylor, op. cit., p. 175 f.

(٣) بالنسبة لحساب المؤرخين اليونان يقدر الجيل بثلاث وثلاثين عاماً تقريباً .

(٤) وملخص الأسطورة أن (Hyllos) هيللوس أحد أبناء هيراقيس أراد أن يثأر من الملك يوريسثيوس (Eurystheus) آخر ملوك آل برسيس (Perseids) الذين حكموا موكيناى ، فتربص به وقتله وكان هذا الملك قد فرض على هيراقليس القيام بأثنى عشرة عملا شاقاً . وتستطرد الأسطورة قائلة بأن هيللوس نفسه ومعصريعاً فى معركة ضارية دارت رحاها بين أبناء هيراقيس (Heracleidai) وبين جيش موكيني من البيلوبونيز يقوده الملك أتريوس (Atreus) ابن بيلوبس (Pelops) ملك موكيناى ، إنتهت بأندحار آل هيراقليس بسبب التحصينات التى أقامها الموكينيون ، وأعلنت عرافه أبوللون فى دلفى أن على أبناء هيراقليس أن يبقوا فى المنفى ثمانين عاماً قبل أن يعودوا . ومن الواضح أن الأسطورة تلمح إلى الوقت الذى إستغرقته هجمات الدورين وصعوبه إختراق التحصينات الضخمة المسماه بالككلوبية (Cyclopeian) والتى أقيمت حول خليج كورنثا (Isthmus) لصد مثل هذه الهجمات ، حتى أن لورد تايلور لا يستبعد أن يكون إحتياز الدوريين لهذه الحوائط جاء عن طريق الخيانة أو إلى الحصار حتى التجويع (op. cit., p. 176).

Herakleidae) وتطابق المعلومات المستقاه من الأساطير والتراث الشعبي بالدلائل المادية التى كشفت عنها الحفائر الأثرية إذا تعرضت القصور الملكية الموكينية خاصة فى بيلوس Pylos ويولكوس (Iolkas) للحرق والتدمير حوالى عام ١٢٠٠ق .م وفى نفس الوقت تعرضت المنازل المقامة خارج حوائط قلعة موكيناى لتدمير مماثل أى أن القلعة صمدت للحصار فترة من الزمان قبل سقوطها[١] ويقدر العلماء هذا القرن بنصف قرن . كما حاق الدمار بتيرنس (Tıryns) وأرجوس (Argos) وإسبرطة الموكينية فى أواخر القرن الثانى عشر قبل الميلاد أما باقى المناطق الأخرى فقد استمرت الحضارة الموكينية فى تطورها العادى [٢] أو بقيت على حالها [٣] .

ولما كان الغزاة الدوريون لم يخلفوا وراءهم آثاراً مادية تعكس شخصيتهم (فيما عدا لهجتهم اليونانية التى عرفت باسمهم) مثل الأوانى الفخارية أو أدوات الحلى والزينة والمبانى ، ولا آثاراً معنوية كتلك التى تختص بالعبادة وشعائر دفن الموتى والذا فقد سبب ذلك صعوبة شاقة للباحثين . فأعتبروا طريقة حياتهم صورة باهتة من الحضارة الموكينية . ولكن الحفائر الأثرية كشفت فى بعض المناطق عن طبقة من التدمير والحرائق تفصل بين طبقة من حضارة البذخ والترف الموكينية البرونزية ، وبين طبقة يظهر فيها معدن الحديد مما جعل العلماء يقررون أن الدوريين أتوا بهذا المعدن معهم . كما لاحظ العلماء ظهور العباءة الأغريقية (himation) والتى أصبحت من أهم ملامح الرداء الاغريقى بعد مقدم الدوريين . هكذا زالت حضارة البذخ والترف

---

(١) cf. Webster, op. cit., 139 f.

(٢) يلاحظ ينحصر هذا التطور مثلا فى الدين إذ بنيت معابد فوق مراكز دينية موكينيه مثل معبد أبولون فى دلفى وأرتيميس فى ديلوس (Delos) وآفيا (Aphaia) فى جزيرة (Aegina) بينما أهتم الغزاه الجدد بعباده الآلة أكثر من عبادة الأبطال .

(٣) مثلا فى مدينة بيلياس (Pelias) التى أبحر منها ربان السفينة أرجو (Argo) من مينائها فى (Iolkos) قاصدين كولخيس Colchis للأتيان بالجزه الذهبية ، لاحظ العلما ءاستمرار حضارى دون إنقطاع فى هذه المدينة منذ ٢٣٠٠ ق . م وحتى ظهور الحضاره الأرخية حوالى عام ٧٠٠ ق . م .
cf. Webster, ibidem, p. 139.

من الوجود المادى لتخلد فى أشعار فاضت بها نفوس الشعراء المهاجرين حسرة على حضارتهم المنهارة وعلى مجد ملوكهم الراحلين لتبعث بعد أربعة قرون من الزمان على يد هوميروس[1] (Homerus) فى شكل ملحمة هى الألياذة (Iliad). وليس من الصحيح أن نقول أن الحضارة الموكينية قد زالت من بلاد اليونان كلها مع مقدم الدوريين بل أن الصحيح هو أن نقول أن الحضارة الموكينية ببذخها وخيالها وإنسانيتها غادرت البيلوبونير متجهة شرقا إلى أثينا وإلى ساحل أسيا الصغرى . ومنذ ذلك الوقت أصبحت الحضارة اليونانية ذات واجهتين مختلفتين واجهة مادية واقعية قاسية سادت فى البيلوبونير والغرب من بلاد اليونان وتوابعه وواجهه إنسانية خيالية ذواقة للفنون والآداب سادت فى أتيكا وعاصمتها أثينا وكذلك فى اقليم أيونيا Ionia على ساحل أسيا الصغرى .

اثينا ترد الغزاة وتبقى حصنا للحضارة الموكينية :

يتفق التراث الشعبى مع الأدلة المادية على أن أتيكا وعاصمتها أثينا وقفت فى وجه الغزاه الدوريين وصدتهم ولم تدع لهم الفرصة لكى يدوسوا أرضها ويطردوا شعبها . ولذا فقد ظل الأثينيون يفخرون بكبرياء على مر العصور التالية بأنهم سكان أصليون (autochtonous) ، وكشفت طبقات الحفائر الأثرية عن حضارة مستمرة دون انقطاع أو تدمير منذ العصر الموكينى حتى العصر الكلاسيكى مما يجعلنا قادرين على تتبع عملية التفاعل الحضارى المستمر أو اكتشاف الجذور الموكينية لحضارة العصر الكلاسيكى [2] . وغنى عن الذكر أن اسم أثينا قد تردد فى التراث الموكينى

---

(١) من الجدير بالذكر أن هوميروس لم يذكر شيئاً عن الدوريين لا من قريب ولا من بعيد كما أن الأسبرطيين أحفاد الدوريين لم يستسيغوا الألياذه والأودسا بعكس باقى الأغريق، ولعل الدافع إلى ذلك واضحا وطبقاً لبلوتارخوس (Plutarchus) ما كان للأسبرطيين أن يعرفوا شيئاً عن الألياذه الأودسا لو لم يدخلها مشرعهم لوكورجوس (Lycurgos) (Plutarchus, Lycurgos, 4.) ويمكن أن نقول أن الدوريين كانوا شعباً واقعياً محارباً غير ذواقين لملاحم الخيال بل كانوا يفضلون الأغانى الحماسية والأناشيد العسكرية .

(٢) cf. C. W. Blegen, «Athens and The Early Age in Greece», *HSCP*, Suppl. I (Athenian Studies 19?0), p. 1 ff.

وعلى الألواح المكتوبة وربما لعبت دورا فى الدين الموكينى نفسه (١) كما توالت الأدلة الأثرية على وجود آثار فوق تل الأكربول لمعبد قديم للآله اريخثيوس (Erechtheion)(٢) وغيرها من الأدلة التى عززت مركز أثينا إبان الحرب الطروادية والعصر الموكينى وردت على الادعاءات بأن الطاغية بيسستراتوس (Peisistratus) هو الذى أمر بدس الأبيات التى تظهر أن أثينا قد لعبت دورا فى الحرب الطروادية(٣). وإن المطلع على نتائج الحفريات الأثرية وخاصة تلك التى أجرتها المدرسة الأمريكية فى منطقة السوق العامة القديمة (agora) لا يتردد لحظة واحدة فى أن يعترف بأن أثينا لم تكن بالمدينة المغمورة وسط عالم تألقت فيه المدن إبان العصر الموكينى (٤)

---

(١) يكفى أن نشير إلى بيت الألياده الشهيد القائل : وعدت حنت أثينا بدار إريخثيوس »

cf Webster, op. cit., pp. 107. 140 : also cf. M. P. Nilson, *Homer and Mycenae*, London 1933, p. 212 ; also cf. his «*Minoan-Mycenaen Religion and its Survival in Greek Religion*, 2 edition (Lund Gleerup 1950) , pp. 474 f , 488, 562 f. as well as his «*History of Greek Religion* (Oxford 1925), p. 2 f.

(٢) Erechtheion وتعنى بيت إريخثيوس ، وهو ملك أثينا الأسطورى ويذكر هوميروس أنه إبن الأرض «Gaia» أنجبته من الآله هفاً يستوس وأشرفت أثينا على تربيته وكان هذا الآله مثل نظيره ككروبس Cecrops ينتهى نصفه الأسفل بجسم ثعبان ولما شب إريخثيوس عن طوقه طرد أمفكتيون (Amphictyon) إبن ديكاليون (Deucalion) وشقيق هللين Hellen جد اصيين الأكبر ثم أقام معبداً لأثينا كربه للمدينه (Athena Polias) سمى على إسمه (Erechtheion) وسمح لنفسه أن يعبد فى المدينه جنباً إلى جنب مع أثينا وبوسيدون وأصبح هـذا المعبد مكان عباده هـذا الثالوث وتروى الأساطير أن هذا المعبد القديم ظل قائماً حتى أحرقه الفرس فى حملتهم على أثينا عام ٤٨٠ق.م ثم أعيد بناؤه فى عصر بريكليس . عن عباده هذا الآله المبكره أنظر :

B. Tamaro, «Culto miceno Sull' Acropoli», — *Annuario della regia scuola archeologia di Atene*, vol. 4—5 (1921—22), p. 1—11 ; G. W. Elderkins «Cults of the Erecththeion», Hesperia, X (1941), pp. 113—124 ; O. Broneer, Excavations on the North Slope of the Acropolis, Hesperia IV, (1935), p. 125 ff.

(٣) عن هذه المشكلة أنظر :

F. Jacoby, *Atthis* (Oxford 1949), p. 393, note 22.

وكذلك J. M. Bolling. *Ilias Atheniensium*, Oxford 1950 passim.

(٤) cf. *AJA*, 43 (1939), pp. 57 ff; *AJA*, 51 (1947) p. 270 also, no I. 57 (1963),p.24 f. also cf. *Hesperia*, IX, (1940), pp. 274—291 and *BCH*, II, (1878), p. 185 ff.

وأكثر من هذا ذهبت حفائر البعثة الايطالية (١) إذ أثبتت وجود آثار سكانية من العصر الحجرى الحديث (Neolithic) عند سفح المنحدر الجنوبى للأكروبول ومن العجيب أن المورخ الأثينى ثوكوديديس (Thucydides) قد أشار عرضاً إلى هؤلاء السكان الأول (٢) كما أننا لم نعد الآن فى حاجة إلى أدلة تثبت وجود علاقات بين أثينا وكريت من ناحية والمدن الموكينية من ناحية أخرى (٣) وإلى جانب استمرار الحضارة فى أثينا منذ عصور ما قبل التاريخ تكشف الآثار عن عناية المدينة بالتحصينات الدفاعية فوق الأكروبول ، ومن الواضح أن جحافل الجيوش الدورية وقفت عاجزة أمام هذه التحصينات . لقد أوضح تقرير العلامة برونير أن المدينة لم تتعرض لغزوة فقط بل لعدة غزوات ، كان سكان المدينة ينسحبون فى كل مرة ثم لا يلبثون أن يعودوا لديارهم فى عناد وصمود حفاظا على العنصر وتمسكا بالأرض (٤) وأن هذه الغزوات حدثت فى أزمنة متقاربة لحوادث التخريب والحرائق التى تعرضت لها المدن الموكينية فى تيرنس (Tiryns) وبيلوس (Pylos) وموكيناى (٥) (Mycenae) . كما اتضح أن آثار التدمير والتخريب قد حاقت بالمنطقة الواقعة خارج التحصينات بينما لم تتأثر المنطقة الواقعة داخل الحوائط (٦)

وكان من الطبيعى أن تتدفق جموع المهاجرين أمام جحافل الغزو الدورى فى اتجاه للشرق وكانت أتيكا هى الملاذ الطبيعى . ولم يفت على ثوكوديديس أن يشير

---

(١) Bollitino d'Arte, IV, (1924—1925), p. 88 ff, Figs. 7—10, (A. della Sieta(: also cf. Doro Levi,«Abitazioni preistoriche Sulla Pendici meridionali dell'Acropolel«*Annnario della regia scuola Archeologia di Atene*, 13—14 (1930—31), p. 41 ff.

(٢) cf. *Thycydides*, II, p. 15.

(٣) cf. *Hesperia*, VI (1937), 539—570; cf. G. E. Mylonas, «*Athens and Minoan Crete*», *HSCP*, Suppl. I (1940), pp. 14—36; also cf. Ida. T. Hill, *The Ancient City of Athens*, Cambridge 1953, pp. 1—31.

وعن التماثيل الفخارية التى عثر عليها فى قبور المدينة الموكينيه أنظر مقاله :

C.H. Morgan,«Terra-Cotta Figurines from the North Slope», Hesperia IV(1935), pp. 189—213.

(٤) cf. *Hesperia*, vol. II, p. 355 f ; *AJA*, 42, p. 450 ff.

(٥) cf. Lorimer, op. cit., p. 458 f.

(٦) (3) cf. O. Broneer,«What happened at Athens»,*AJA*, 52(1948), pp. 112; also cf. *Klio*, 27 (1934 : 54 ff. (Franz Milner).

إلى استقبال أثينا وإيوائها لهم[1] كما أن باوسانياس Pausanias وضح ذلك بدقة فذكر أن الآخيين الذين طردهم الدوريون حاولوا بدورهم غزو الأراضي التي يحتلها الأيونيون فى شمال البيلوبونيز وكان من نتيجة ذلك حدوث هجرة أيونية إنضمت إلى المهاجرين الآخيين وسارت شرقا إلى أثينا [2] وقد رحب الأثينيون بالمهاجرين من أجل تكوين جبهة دفاعية مشتركة تقف فى وجه العدوان الدورى ، ويذكر أرسطو [3] . ومن بعده بلوتارخوس [4] أن الأثينيين كانوا كرماء مع المهاجرين فنحوهم الجنسية الأثينية . كما ربط باوسانياس بين تقاليد حق منح اللجوء السياسى فى أثينا لغير الأثينين والذى كان أحد العناصر الفكرية المقدسة فى التراجيديا الأثينية إبان القرن الخامس — وبين استقبال أثينا للمهاجرين الآخيين والأيونين فى أواخر القرن الحادى عشر وأكد أن هذه الفكرة كان مبعثها أساسا استقبال المهاجرين الآخيين والأيونين فى المدينة والتى تركت تقليداً سياسياً دينيا يقدس هذه الفكرة [5] . كما تحدث التراث الشعبي عن هجرة أهل بيلوس إلى أثينا وكيف أنهم إلتجأوا إلى المدينة وأقاموا فيها واختلطوا مع أهلها جنسياً وحضارياً مكونين عنصرا مزدوجاً يطلق عليه اسم العنصر البيلى — الأتيكى Pylian-attic وهو الطاقة الخلاقة الرئيسية فى الحضارة اليونانية خاصة فى آسيا الصغرى[6] . كما يروى التراث الشعبى بأن أحد ملوك أثينا وهو الملك كودروس (Codros) كان ينحدر من أصل « بيلى » . وأنه سقط شهيدا وهو يدافع عن استقلال أثينا [7] .

---

(١) Thucydides, I, 2, 6.

(٢) Pausanias VII, I.

(٣) Aristotle, Athenaion Politeia, 346.

(٤) Plutarchus, Theseus, 25.

(٥) Pausanias I, 171 ; I, 19.5 ; I, 32, 5—6 ; I, 39, 2 ; I. 44.4.

(٦) cf. Webster, op. cit., p. 154 ff.

(٧) Herodotus, IX, 97 ; Pausanias, VII, 2.1.

ومن الأدلة المادية القاطعة على هجرة الآخيين الموكينين إلى أثينا الإزدياد الملحوظ المفاجيء فى عدد السكان [1] المرجة تجعلنا نستبعد إرجاع ذلك إلى عوامل أخرى مثل زيادة نسبة الإرتفاع فى معدل الولادة — أضف إلى ذلك أن الدراسات والتحليلات الطبية التى أجريت على الهياكل العظمية والجماجم التى تكتظ بهـا القبور انتهت إلى أنها ترجع إلى نفس النوع الذى أستخرج من القبور الموكينية أى أنها ترجع إلى العنصر الآخى الذى إليه ينتمى إليه الموكينيون كما ثبت أن هذه الهياكل العظمية والجماجم تختلف إختلافاً واضحاً عن تلك التى أخرجت من القبور الدورية [2]. كما ثبت أيضاً أن العنصر الأثينى السكانى يرجع إلى امتزاج هذه العناصر بعضها بالبعض وخاصة عنصر البحر الأبيض والعنصر النوردى [3].

كذلك لفت الأثريون الأنظار إلى إستخدام أسلوب الحرق (Cremation) بدلا من الدفن (humation) إبان هذه الآونة . ويشرح بعضهم أن أساوب الحرق مبعثه تكدس السكان وضيق المكان وبهاظة تكاليف بناء القبور بينما لا يكلف « حرق الجثة » كثيراً كما أن الوعاء الذى تحفظ فيه رفات الميت لا يشغل حيزاً كبيراً [4] . كما أنه مناسب عملياً بالنسبة للغرباء أو الذين لا يتركون من ورائهم من يحتفى بموتهم ويشرف على بناء القبر وإقامة الشعائر الجنائزية اللازمة [5] .

(1) cf. Kraiker and Kuebler, op. cit., p. 2., 177 ; Desborough, op. cit., p. 209.

(2) C. M. Fuerst, «Zur Anthropologie des praehistorischen Griechen in Argolis, Periodical of Lund University, no. XXX (1930).

(3) cf. J. Laurence Angel, «Skeleton material from Attica», Hesperia, XIV (1945), pp. 279 ff. (p. 318—331) ; Kraikar Kuebler, op. cit., I, 253 f.

(4) cf. Desborough, op. cit., I, p. 126.

(٥) ربما فسر ذلك السبب الذى جعل الأغريق يحرقون موتاهم وهم فى سهل طروادة إبان الحرب وربما كان الدافع إلى ذلك الاعتقاد بأن دفن الموتى فى أرض غريبة تدنيس للشعائر الدينية الخاصة بتقديس الموتى أنظر :—

Lorimer, op. cit., p. 105 f.

كما لوحظ أن مدافن الأغريق فى آسيا الصغرى تقل كثيراً عن مثيلاتها فى العصر الموكينى من ناحية الأبهه والفخامة أنظر مقاله جورج ميلوناس المتعه

G. E. Mylonas, «Homeric &, Mycenean Culture», *AJA*, vol. 52, part I, (1948), p. 56 ff.

وربما كان لهذه علاقة بحرق السفراء الأجانب «Theoroi» إذ عثر على مقبرة لهم مليئة بأوعية تحفظ رفات الموتى فى الإسكندرية أنظر :—

Blanc R. Brown, «Ptolemaic Paintings and Musaics and the Alexandrian Style», Cambridge, Massachusetts, 1952, passim.

اثينا ترث الحضارة الموكينية :

ومن ناحية ثالثة فان الآثار تكشف بوضوح عن حركة رواج حضارية وثقافية لم تشهد لها أثينا مثيل من قبل وليست بأقل من حضارة البذخ والترف التى كانت تسود العصر الموكينى . فمثلا تزداد كمية التماثيل الصغيرة سواء من الطين المحروق (Terra cottas) أو من البرونز (Bronze Statuette) كما يزدهر فن الرسم على الأوانى الفخـــارية (Vase Painting) ويتخذ ملامح وأسلوب معين [1] عرف فيما بعد بالأسلوب البروتوجيومترى Protogeometric او « الأسلوب الهندسى المبكر » ، وأصبح واضحاً الآن بعد دراسة نتائج الحفائر الأثرية التى أجريت فوق الأكروبول (Acropolis) ، أو فى منطقة السوق العامة (agora) ، أو فى جبانة أثينا الشهيرة باسم (Kerameikos أو Dipylon) ، أن ما كان يسمى بعصر الظلام (Dark Ages) لم يكن كذلك بالنسبة لأثينا وحوض بحر ايجه بل كان عصر تفاعل وتبلور حضارى تمخضت عنها الملامح الكاملة للحضارة الهللينية [3] . كما تحقق فيه لأثينا نفوذ سياسى وتجارى وسيطرة بحرية ليس داخل بلاد اليونان فحسب بل تعدتها إلى آسيا الصغرى وجزر البحر الأبيض المتوسط [4] . كما غطت الصادرات الأثينية مساحة شاسعة وأسواق كثيرة شملت جزر السيكلاديس (Cyclades) وكوس (Cos) وليسبوس (Lesbos) شرقاً

---

(1) Desborough, op. cit., p. 125 ff ; pp. 294.

(٢) يناظر بعض العلماء الهندسة الفنية الجيومترية على الأوانى الفخارية بهندسة البناء اللغوى الملحمى فى الألياذه أنظر :

C. H. Whiteman, *Homer and Heroic Traditions*, Harvard University Press, Cambridge Mass (1958), p. 54 ff ; cf. Webster, op. cit., p. 188 ff.

(3) cf. W. F. Albright, « North-East Mediterranean Dark Ages and the Early Iron Age Art of Syria, *Aegeon and the Near East* (*ANE*) edit Saul Weinberg), 144—164.

(٤) فيما عدا قبرص التى ظلت ملاذا للحضارة الموكينية وخاصة فى أسلوب الأوانى الفخارية المعروف باسم (Granary Style) أنظر :-

AJA, *IXL*, (1937), 57, 62, 67 ; cf. Kraiker a Kuebler, op. cit., IV, p. 30.

وربما كان سبب ذلك تدفق المهاجرين الموكينين إلى قبرص ومحاولتهم إحياء حضارتهم هناك وربما نجحوا إلى حد كبير إذ نافس أسلوب الأوانى الفخارية (Granary) الفن الجيومترى الأتيكى أنظر المراجع السالفة الذكر وكذلك Yamauchi, op. cit., p. 38 f.

وكذلك مناطق كورنثا (Corinth) وأرجوليس (Argolis) غرباً [١] وهـذا راجع دون منازع إلى نجاح أثينا فى إستيعاب المهاجرين الموكينيين وحضارتهم كما أن تدمير الدوريين للمدن الموكينية فى البيلوبونيز ترك أتيكا — بلا منافس أو منازع — سيدة « هيللاس » . وكان على الدوريين أنفسهم أن يقضوا قروناً من العمل الشاق قبل أن يستقروا ويتأصل وجودهم حتى يقفوا بالمرصاد للنفوذ الأثيني وبهذا يتشكل طرفا الصراع الذى هو جوهر التاريخ اليونانى .

الهجرة نحو الشرق :

طبقاً للتراث الشعبي الأغريقى، بدأ إستعمار ساحل آسيا الصغرى فى أعقاب سقوط طروادة [٢] ولكن الدلائل المادية تعوز بشدة مثل هذا مالإدعاء فباستثناء جزيرة رودس التى استعمرها الأغريق منذ وقت سابق للحرب الطروادية — يعتبر الآخيون وحلفائهم الأبوليون الذين جاءوا سهل تساليا (Thessalia) أول من أقاموا مستوطنات على ساحل آسيا الصغرى[٣]. كما أنه لا يوجد أى دليل أثرى على استعمار ساحل آسيا الصغرى فى أعقاب الحرب الطروادية وحتى بعد الحرب الطروادية فيما يقرب بثلاث قرون أى أن ما بين ١١٠٠ — ٨٥٠ ق. م لا يوجد دليل قاطع على وجود حركة إستعمار فى آسيا الصغرى من قبل الأغريق[٤] لأن الحفائر الأثرية لم تظهر إبان هذه الفترة سوى معالم حضارة محلية متأثرة بالحضارة الموكينية كما أن التراث الأغريقى الخالص لم يظهر إلا بعد منتصف القرن التاسع ق . م .

وربما كان التشابه فى التركيب الجغرافى بين ساحل آسيا الصغرى وبلاد اليونان من أحد العوامل التى جذبت المهاجرين الأغريق إلى هذه المناطق . فهى منطقة كثيرة الخلجان الطبيعية التى تناسب الشعوب العاملة بالبحر كما أن الجبال تتخلل

---

(1) cf. Desborough, op. cit., pp. 291, 299, 302 (Spread of Attic Wares) ; also cf. Yamouahi, op. cit., p. 47 ff.

(2) Whiteman, op. cit., p. 49 f.

(3) cf. J. B. Bury, *History of Greece for Beginners*, London 1938, p. 35.

(4) cf. G.M.A. Hanfmann, «Archaeology in Homeric Asia», *AJA*, (1948), p. 135 ff.
وترى الباحثة بولوريمر H. Lorimer أن الأخيين إنسحبوا من آسيا الصغرى بعد سقوط طروادة إلا من جزيرة ميليتوس Miletus

سهولها وتقسمها إلى مناطق منعزلة مثلما الحال فى بلاد اليونان ، مما جعلها مناسبة لنمو دول المدن المستقلة (Poleis) كما أن مناخ هذه المنطقة لا يختلف كثيراً عن مناخ بلاد اليونان ذاتها، فهى دفيئة وأمطارها كافية وأنهارها صالحة للملاحة ومشجعة على التجارة . وأخيراً فان رخاء الموارد الطبيعية فى هذه البلاد كان عاملا أيضاً هاماً حيث سبق أن أشرنا إلى الفقر الإقتصادى الذى كانت تعانيه بلاد اليونان (١) .

ذكرنا كيف أن المهاجرين الأيونيين والآخيين تكدسوا على أتيكا فى غداة الغزو الدورى وبالرغم من مزايا الإمتزاج العنصرى والحضارى الذى تمتعت به آثينا إلا أن ضيق المساحة وتكدس السكان لدرجة لا تتناسب مع المصادر الإقتصادية لبلاد اليونان أدى إلى انفجار سكانى (Explosion of population) ، وقد وجد اليونانيون دائماً الحل فى الإستعمار الإستيطانى (٢) عبر البحار وكان أول ما فكروا فيه هو ساحل آسيا الصغرى . ويستقر الرأى الآن على أن هذا الإنفجار السكانى وصل إلى أقصى مداه حوالى عام ٩٠٠ ق.م . ويروى التراث الشعبى اليونانى أن كودروس Kodros إبن نيليوس Neleus قاد بنفسه حملة إستيطانية إلى جزيرة Miletus . وبصرف النظر عن حقيقة الأسطورة يكفى أن هذا الملك الذى وصل إلى عرش مدينة أثينا ينحدر من أسرة آخيه هاجرت من البيلوبونيز . كما أن قيادته لحملة إستيطانية تعبير عن الدور الذى لعبه هؤلاء المهاجرون على مسرح الأحداث فى أتيكا (٣) .

كما يتحدث التراث الشعبى عن الأيوليين الذين هاجروا من إقليم تساليا Thessalia و بوءوتيا (Beoetia) فى شمال بلاد اليونان حيث تسللوا

(1) J. B. Bury, *A History of Greece to the death of Alexander, the great Third edition,* London 1951, p. 64 f.

(٢) أهم ظواهر التاريخ اليونانى هو الإنفجار السكانى والإستعمار الاستيطانى سواء عن طريق التسلل والتجارة مثلما حدث فى حركة الإنتشار ولاستيطان الكبرى إبان القرن السابع والسادس أو عن طريق القيام بحملات عسكرية مثلما حدث أيام الإسكندر الأكبر كما يفهم من مقالة أرسطو الشهيرة عن إستعمار الإسكندر (Alexandros e hyper apoikon) التى فقدت أنظر مقاله جيركه Gerke فى *R.E.A.* المجلد الثانى الجزء الأول عمود ١٠٦٣ تحت عنوان أرسطو Aristotles كذلك أنظر Diogenes Laertius, V, 22, no. 17.

(3) Herodotus, IX, 97 ; Pausanias, VII, 2. 1.

تدريجياً واستوطنوا المنطقة الشمالية من ساحل آسيا الصغرى . فاحتلوا جزيرة لسبوس (Lesbos) ومنطقة سهل طروادة المواجهة لها (Troad) وأقاموا مستعمرات على ساحل آسيا الصغرى حول مدن محصنة مثل بيتانى (Pitane) وموريتا (Myrina) وكومى (Cyme) وأيجاى (Aegae) وسمرنه (Smyrna) كما أقاموا مدينة مجنيزيا Magnesia فى العمق شرقاً عند سفح جبل سيبيلوس (Sipylus) وبالرغم من أن العنصر الأيولى يغلب فى هذه المنطقة لدرجة أن أطلق عليها إسم Aeolis وحيث سادت فيه اللهجة اليونانية التى جاءوا بها من تساليا وبوروتيا إلا أنه من الصعب فصل هذا العنصر عن العنصر الأيونى (الآخى) الذى استوطن جنوباً إذ شملت المستوطنات ألأيولية مستوطنين آخيين كما هو الحال فى Cyme التى اتخذت إسمها من جزيرة يوبويا (Euboea) الأيونية كما أن المستوطنات الأيونية شملت مستوطنين جاءوا من تساليا كما أنه من الصعب وضع حدود إقليمية فاصلة بين Aeolis وأيونيا فمثلا مستوطنة فوكايا Phocaea التى كما يتضح من إسمها ترجع سكانياً وجغرافياً إلى Aeolis إلا أنها اعتبرت داخل النفوذ الأيونى ، وكذلك مستوطنة جزيرة خيوس Chios التى سادت فيها اللهجة الأيولية اعتبرت جزءاً من المنطقة الأيونية [1] وعلى أى حال فقد غطى نفوذ الأيونيين على نفوذ الأيوليين تماماً كما تغطى الولايات المتحدة حالياً على أسلوب الحياة الموجودة فى كندا . وقد تركزت المستوطنات الآخية الأثينية على المنطقة الساحلية الواقعة جنوب Aeolis وأسموها أيونيا (Ionia) .

ولما كانت هذه المنطقة متاخمة لدولة Lydia فمن الطبيعى أن يدفع الأغريق أهل البلاد الأصليين شرقاً وإن اختلطوا بهم وتزاوجوا معهم أحياناً كما فعلوا مع أهل كاريا Caria . ويحدثنا هيرودوت أن المستوطنين فى أيونيا شملوا عناصر سكانية مختلفة من بينها الدوريون ولكنه أكد أن الغالبية جاءت [2] من أتيكا وأشار إلى تمسك سكان أيونيا بشعائر الأباتوريـــا Apaturia وهى شعائر دينية

(1) cf. Bury, op. cit., p. 65.

(2) cf. Herodotus, I, 146.2 ; I, 147. 1. also cf. Wilamowitz, über die ionische wanderung, *SIZ. B.* Berlin 1906.

اثينية بحتة [1] . وتمتد أيونيا من مستوطنة فوكايا Phocaea شمالا حتى ميليتوس Miletus جنوباً ، ومن أهم مستوطناتها إريثراى (Erythrae) (أى القرمزية) ، وفى الشرق منها تجىء مستوطنة كلازوميناى (Clazomenae) ثم تجىء (Teos) تيوس جنوبها ثم لبيدوس (Lebedus) وكولوفون على إمتداد الساحل الشرقى . وفى الجنوب وعند مصب نهر كايستر (Cayster) أقيمت إفيسوس (Ephesus) مدينة الربه أرتميس المفضلة ، ثم مستعمرة ماجنيزيا Magnesia على نهر مياندر (Meander) [2] كما يجب ألا ننسى جزيرة ساموس الشهيرة (Samos) والتى كانت مركزاً لعبادة الربه هيرا (Hera) [3] وعلى الشاطىء المواجه لهذه الجزيرة وفى السهل الممتد شمال جبل ميكالى (Mycale) العظيم كان الأيونيون يتجمعون كل عام فى عيد دينى قومى حول معبد إله البحر بوسيدون (Poseidon) . وتجىء مستوطنة برينى (Priene) وميوس (Myus) جنوب جبل ميكالى وعلى ضفاف نهر الماياندر العظيم وتعتبر Miletus أهم المدن الجنوبية التى شملتها أيونيا والتى إحتلها الأغريق منذ وقت مبكر [4] .

ومن الطبيعى أن ينقل المهاجرون معهم الحضارة الأتيكية — الأيونية من أجل بناء هياكل جديدة فى آسيا الصغرى . ويتضح من الحفائر الأثرية التى أجريت فى هذه المنطقة أنها لم تكن مزدهرة بأى حال من الأحوال إبان القرنين التاسع والعاشر لأن المستوطنين الأول شغلوا أنفسهم بالصراع مع سكان آسيا الصغرى

(١) عيد الأباتوريا هو أهم الأعياد الدينية التى إحتفى بها الأيونيون وكان أساساً عيداً أثينياً ومدته ثلاث أيام من شهر بيانبسيون Pyanepsion (أكتوبر — نوفمبر) . حيث تقام المآدب من الأضاحى التى يقدمها الآباء عند تسجيل أبنائهم فى قائمة العشيرة (Phratria) كما كانت تجرى فيه مباريات بين تلاميذ المدارس فى الشعر والأدب أنظر :—

Oskar Seyffert, Henry Nettleship and J. Sandys, A Dictionary of Classical Antiquities, London (1957), p. 38 Sub (Apaturia).

(٢) على القارىء ألا يخلطوا بينها وبين مستعمرة ماجنيزيا الأيوليه والتى كانت تقع على نهر هرموس Hermus .

(٣) لما كانت هيرا هى معبوده مدينة أرجوس فى البيلوبونيز فإنه من المرجح أن يكون الذين أقاموها — أو على الأقل غالبيتهم — جاءوا من أرجوس .

(4) cf. Desborough, op. cit., p. 314.

الأصليين ودخلوا معهم فى حروب من أجل تثبيت أقدامهم فى هذه المناطق واعتمدوا على الإستيراد المطلق (أو فى أحسن الأحوال تقليد السلع من الوطن الأم[1]) . وقد ظلت الحضارة اليونانية فى أيونيا فى حالة تكوين وتفاعل حتى حاول القرن السادس قبل الميلاد وقد دفعت النعرة القومية المستوطنين الأيونيين إلى العمل لتحقيق الوحدة خاصة بين مدن أيونيا الكبرى الإثنى عشر وهى فوكايا ، وكلازوميناى ، وساموس ، وخيوس ، وإريتراى ، وتيوس ، ولبيدوس ، وكولوفون وأفيسوس ، وبرينى ، وميوس ، وميليتوس وكلها كانت تلتزم بشعائر عيد البانيونيون (Panionion) عند سفح جبل ميكالى . لذا أقامت سوقاً إقتصادياً مشتركة مما أدى إلى حركة من الرواج والإزدهار شجعها على إقامة مستوطنات جديدة خاصة حول البحر الأسود (Euxene) وبالرغم من أن الأيونيين وقعوا فريسة لدول شرقية مثل مملكة ليديا Lydia ثم الإمبراطورية الفارسية فى القرن السادس إلا أن ذلك لم يعيق الإزدهار الحضارى الثقافى بل على العكس لم يتدخل الفرس فى الشئون الداخلية للبلاد ومنحوها الإستقرار ووقوها شر الصراعات الداخلية وفى ظل السلام الفارسى[2] إستطاع الفلاسفة الأيونيون أن يمارسوا حريتهم كاملة فى الجدل والتفكير فوضعوا بذلك الأسس الأولى للفلسفة اليونانية . كما ترعرع فى أيونيا شعر الملاحم مثل إلياذة هوميروس وأغانى سافو (Sappho) وأناكريون Anacreon وإلى جانب الفلسفة والشعر أخرجت أيونيا مؤرخين نبغوا فى عصرهم مثل هيرودوت Herodatus أبو التاريخ وغيرة من علماء الطبيعة الأول .

وقد وصلت الحضارة اليونانية فى أيونيا إلى درجة عالية من التقدم والإزدهار حيث ساعدها على ذلك انفتاحها على دول الشرق الأوسط مهد الحضارات الأولى للإنسان. وقد وجدت بلاد اليونان فى أيونيا رصيداً ضخماً لحضارتها استفادت منه كثيراً عند الحاجة وليس من الغريب أن تهب أثينا دفاعاً عن الأغريق فى آسيا الصغرى لتحريرهم من أيدى الفرس وما تبع ذلك من انتقام الفرس بالقيام بحملتين لإخماد مركز الثورة القومية اليونانية فى بلاد اليونان وفى أثينا بالذات .

(1) cf. G.M.A. Hanfmann, «Ionia Leader or follower», *HSCP*, 61 (1953), p. 1 ff. ; R.M. Cook, «Ionia and Greece in the 8th and 7th Centuries B.C.», *J.H.S.* 64 (1946) : 67—98, also cf. Roebuck, «The Economic Development in Ionia », *Classical Philology*, 48, (1953) : 9—16.

(2) cf M. Grant, op. cit p 76.

التقرير العلمى الأول

لحفائر الكلية بمنطقة كوم اوشيم
بالفيوم فى الموسم الثالث ١٩٧١ – ١٩٧٢

اعده : الدكتور سيد احمد على الناصرى
راجعه : الأستاذ الدكتور احمد السيد دراج
اشراف : الأستاذ الدكتور يحيى هويدى
عميد الكلية والمشرف العام للحفائر

بناء على تكليف من الأستاذ الدكتور يحيى هويدى عميد الكلية والمشرف العام على الحفائر بمنطقة كوم أوشيم (كرانيس) لمعاينة وتحديد منطقة فوق مرتفع المدينة القديم للتنقيب فيها ، وتمهيداً لاستئناف أعمال البحث الأثرى للموسم الثالث ، واستكمالا لأبحاث الأستاذ الدكتور عبد اللطيف أحمد على أستاذ التاريخ اليونانى الرومانى وعلم البردى بالكلية ، توجهت إلى المنطقة المذكورة فى صباح يوم الخميس الموافق ٢٠–١–١٩٧٢ وأجريت الدراسة الأولية لتحديد[١] مكان التنقيب فوق المرتفع الذى تقع عليه أطلال المدينة القديمة ، وقد قمت بعمل حفر أولى طوال اليوم وانتهى بتحديد المنطقة الواقعة شمال غربى المعبد وذلك لبعض الظواهر الأثرية بهذه المنطقة إذ أنها لم تتعرض كثيراً للنبش أو التنقيب كما أنها تعتبر بداية تقطع المرتفع من الجنوب إلى الشمال ومن ثم تستطيع الكلية أن تستمر فى التنقيب فى هذه المنطقة عدة مواسم . هذا علماً بأن الإتجاه فى التنقيب يمكن أن يتفرع فى المستقبل إلى فرعين شرقاً وغرباً من هذه المنطقة مما يعطى فرصة أكبر لتغطية أكبر مساحة من أرض المدينة . كذلك تم عمل « مجسات » فى المنطقة الواقعة شرق المنطقة المعينة للتأكد من خلوها من أى آثار حتى يمكن إلقاء « الرديم » المستخرج من منطقة الحفر بها .

---

(١) صورة رقم ١

ثم بدأت البعثة أعمال التنقيب يوم السبت الموافق ٥-٢-١٩٧٢ بعدد محدد من العمال الفنيين الذين أرسلنا فى طلبهم من قفط والذين بلغ عددهم اثنين وعشرين عاملا ، يساعدهم عدد من الفلاحين لحمل التراب يتراوح عددهم ما بين عشرة وعشرين نفراً . وكانت خطة التنقيب هى عمل مستطيل يمتد طوله إلى ٣٥ متراً تقريباً من شمال المعبد وعرضه ٢٧ متراً من الغرب إلى الشرق . وبالفعل بدأت فى الأسبوع الأول من الحفر ظهور منازل سكنية[١] ، وفى نهاية شهر فبراير اكتمل ظهور هذا الجزء من المدينة والذى يحده شارعان رئيسيان أحدهما فى جنوب الحى ويمتد من الشرق إلى الغرب والثانى فى غرب الحى ويمتد من الشمال إلى الجنوب[٢] والمنازل التى ظهرت صغيرة بعضها يتكون من حجرة واحدة وبعضها من حجرتين فأكثر ، وربما من طابق أو من طابقين . وأحياناً يوجد باب لها على حارة ضيقة[٣] مغلقة فى نهايتها وأحياناً لا يوجد للمنازل أبواب تفتح على الطريق . بل كان الدخول إليها عن طريق سلم خارجى يهبط من الخارج إلى الداخل إلى حجرة البهو[٤] والتى منها تتداخل باقى الحجرات كما هو الحال فى منزل رقم ١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ من الطبقة الأولى . ولكن من الواضح أن معظم هذه الحجرات متداخلة كما يوجد حجرات ضيقة داخل المنازل الصعود إليها عن طريق سلم داخلى مما يجعلنا نعتقد أنها كانت مخازن للغلال داخل المنازل (منزل رقم ١٢) كذلك تعدد وجود أفران منزلية صغيرة أحياناً فى الحجرة الرئيسية للمنزل كما هو الحال فى المنزل رقم ٦ ، ٨ ، وأحياناً فى منطقة مغلقة ومخصصة مثل منزل رقم ٩ . كذلك عثر على توابيت من الحجر ومن الفخار فى المنازل صغيرة الحجم مما يجعلنا نفكر فيم إذا كان الأطفال يدفنون داخل المنازل أحياناً كذلك عثر فى الناحية القبلية الشرقية على قمينة لحرق الفخار Keln استخرجنا منها عدداً كبيراً من الفخار الذى لم يستعمل وجدير بالذكر أن بعض المنازل كانت لها حجرات على شكل قبو vault .

كانت المنازل تتلاصق بجوار بعضها البعض وعلى امتداد الشوارع الرئيسية (dromoi) أو الحارات الداخلية بشكل يجعلنا نفكر فى القرية المصرية الحالية .

---

(١) أنظر صورة رقم ٢ و ٣

(٢) أنظر صورة رقم ١٠ و ١١

(٣) أنظر صورة زقم ٧

(٤) أنظر صورة رقم ٥

والمنازل مبنية من اللبن وتتكون من طابق واحد أو من طابقين ، ومسطوحة بأفلاق من جذور النخيل وبالبوص والطين وفى حالات كثيرة لاحظنا انهيار السقف على الحجرات السفلى فغطاها تماماً . ومن النادر أن عثرنا على حجرات مطلية بالملاط الأبيض الجيرى مثلما كان موجوداً فى منازل الأغنياء ، مما يدل على أن معظم هذه المنازل كان لطبقات فقيرة معدمة . كذلك اتضح أن هذه المنازل خالية من الأثاث المنزلى إلا من أوانى خزن النبيذ Amphorai وحفظ المياه hydriai وهى التى وجدت بكثرة ولا نستطيع أن نجزم عما إذا كان الأثاث غير موجود أساساً من العصور القديمة أم أنه نهب فيما بعد . كذلك لم نعثر على أوراق بردية إلا بعض « النتف » التى وفى حالة هشه. وفى اعتقادنا أن عدم وجود أوراق البردى راجع إلى سوء الحفظ ، لأن أوراق البردى لا توجد إلا فى المنازل التى يوجد بها تراب ناعم أو طين مخلوط بالأعشاب الجافة والذى يعرف عند علماء الآثار باسم « العفش » . ولم نعثر على أى منه فى هذه المنطقة مما يجعلنا نشك فى نشاط السباخين بحثاً عنه لاستخدامه كسماد فى الزراعة ومن هنا كان عثور السباخين على أوراق البردى وبيعها لتجار الآثار .

أما السبب الثانى الذى نعزى إليه عدم العثور على أوراق البردى هو أن سكان هذه المنازل كانوا من الفقراء الأميين الذين لا يحتفظون بالوثائق المكتوبة وخاصة أن معظم أوراق البردى خرجت من الأماكن الرسمية فى القرية مثل المعابد أوغيرها أو من منازل الأغنياء المتعلمين أو حتى من قبورهم .

ولكن فى أثناء حفر الطبقة الأولى أخرجنا عدداً من الأدوات المنزلية[1] البسيطة مثل المراود بعضها من العاج وبعضها من العظم ، وعدداً كبيراً من الخرز سواء من العقيق أو من الزجاج الأخضر اللون ، وعدداً كبيراً من المسارج المختلفة الأحجام والأشكال بعضها مزين برسومات معينة مثل سعف النخيل أو الضفدعة[2] مما يجعلنا

---

(١) أنظر صورة رقم ٢٠

(٢) وأحياناً على شكل سمكة وهى أيضاً رمز للمسيحية لأن كلمة سمكة تعنى باليونانية ΙΧθΰ وهى الرموز الأولى لعبارة المسيح عيسى ابن الله Ιηδος Χριδτος θεσο υιο5 أما الضفدعة فهى رمز لفكرة صعود المسيح وذلك لأنها تختفى فى باطن الأرض مدة فصل الشتاء وتصعد فى بداية الربيع فى أوائل شهر أبريل وهو يناسب عيد القيامة الذى صعد فيه المسيح ، أما سعف النخل فى الأغصان التى حملها المسيح عند دخوله بيت المقدس .

نفكر فى عصور المسيحية الأولى ،وكذلك عثرنا على أجزاء مختلفة من تماثيل صغيرة مصنوعة من الطين المحروق terra-cotta يدل أسلوبها على أنها من العصر الرومانى المتأخر (القرنين الثانى والثالث بعد الميلاد) وأهم هذه التماثيل مثال الإله حورس أو هاربوكراتيس ، وكذلك عدداً من قطع النقود البرونزية متآكلة ويعلوها الصدأ ، وحلقات من البرونز المستعمل لأغراض منزلية ورؤس مغازل ، ومصاحن من الحجر ومن الخشب وصحون (أطباق) من الفخار المصقول ، وأوانى منزلية (سلطانيات وطواجن) وقدر وامفورات وجرار لحفظ الغلال وقدر كبيرة لحفظ المياه hydriai وكانت الأخيرة توجد موضوعة فى ركن من الحجرة بعضها فى حالة جيدة ومزين بزخرفة نباتية ومصنوعة بطريقة ريفية تقليدية مما يجعل تاريخها صعباً ، وكذلك أدوات من الزجاج أخضر اللون أوالأبيض مثل معيار الزيت وقارورة الدموع وقنينة العطور ، كذلك أخرجت الحفائر أدوات من البرونز الذى يعلوها الصدأ مثل المخارز والإبر وآلات الثقب[1] .

وفى الثالث والعشرين من شهر فبراير تم تنظيف هذه الطبقة وتوقف الحفر مؤقتا فى انتظار الرسم الهندسى والتصوير ، ورأينا أن نستغل فرصة توقف العمل فى استكشاف معالم جبانة المدينة القديمة necropolis [2] وتحديد أهميتها فانتقلنا إلى موقعها مع عدد من العمال . تقع المقبرة فى شمال المدينة على الحافة الصحراوية الواقعة شمال طريق الجيزة الفيوم حيث كان هو الحد الفاصل بين المنطقة المزروعة والصحراء المهجورة فى العصر اليونانى الرومانى . وبعد إزاحة الرمال ظهر عدد من القبور الصغيرة فى شكل مصاطب مبنية من الطوب اللبن الصغير الحجم والمعروف عند علماء الآثار باسم behive tombs (أى على شكل خلايا النحل) وكانت هذه المصاطب تحتوى بداخلها على بقايا عظام وجماجم مما يدل على أن الجثث كانت تدفن فى هذه الفترة المتأخرة بدون أى تحنيط . ومن الواضح أن هذه القبور ترجع إلى أواخر العصر الرومانى بين القرن الثالث والرابع الميلادى ، ومن الجدير بالملاحظة أن الدفنات كانت موضوعة بطريقة واحدة وهى جعل الرأس اتجاه الغرب

---

(١) أنظر صورة رقم ٦

(٢) أنظر صورة رقم ٢١

القدومين فى اتجاه الشرق حسب الاعتقاد الشعبى القديم بأن الانسان يأتى إلى العالم برأسه أولا وعليه أن يغادره برأسه وكأنها دورة حياة زراعية **Vegetation circle** كذلك يتضح أن بعض هذه المقابر قد استخدمت لدفن المسيحين الأول إذ عثرنا على جزء من كفن مزين بشكل صليب وعموما كانت المقابر منهوبة ومعبوث بها وذلك لوقوعها بعيدا عن أعين الحراس ولقربها من سطح الأرض كما أن نهب القبور كان دائما محط العابثين ولصوص الآثار منذ وقت طويل حتى أن المستر هنت **Hunt** ورفاقه سجلوا هذه الملاحظة عندما حاولوا حفر الجبانة فى أواخر القرن التاسع عشر ، وعلى أى حال أخرجنا من القبور أدوات بسيطة خاصة أجزاء من أدوات الزينة ولعب الأطفال مما كان يدفن عادة فى القبور كما عثرنا على دلايات التى كانت تتدلى من القلادات واحدة منها منحوتة بدقة من الخشب الجيد وعلى شكل قلب صغير[1]. كذلك حبات من الخرز والودع بقايا حلى قطعا كانت للنساء . وكذلك عثرنا على أساور للأطفال ويبدو أن قبور الرجال كانت خالية من أى من هذه الأشياء .

ولما أدركنا ضآلة القيمة المستخرجة وعدم جدوى التنقيب تركنا المقابر بعد تنقيب عشرة أيام . وفى أثناء العودة لفت نظرنا وجود فجوة بأعلى مرتفع رملى وذلك فى الطريق ما بين المقابر وحافة الطريق الصحراوى المتجه إلى الجيزة والفيوم . وقررنا اكتشاف معالمه . وبالفعل بدأنا فى التنقيب بداخله وسرعان ما تكشف عن بئر يزيد عمقها على ثمانية أمتار وبأسفلها قاعدة صخرية أعلاها مراوح حجرية مما جعلنا نفكر فى أنها كانت تستخدم فى نظام الصرف واتضح أن المياه المستخدمة كانت تنقل عبر أنابيب من الفخار آتية من كرانيس العالية إلى هذه المنطقة المنخفضة وتصب فى البئر وتقوم المراوح الحجرية بحجز المواد العالقة وتصفية المياه وربما كانت المياه مصفاة تستخدم مرة أخرى بأغراض الرى . ولما وصل الحفر إلى هذا العمق الذى رأينا فيه أنه يهدد حياة العمال للخطر أوقفنا العمل لأننا وصلنا إلى ما نريده وأن العمق والتنظيف لن يضيف شيئا جديدا .

---

(١) أنظر صورة ٢١ (شكل ٦٩)

وفى الثامن من شهر مارس عدنا إلى المنطقة السكنية وبعد التأكد من الرسم الهندسى والتصوير أمرنا العمال بهدم مبانى منازل هذه الطبقة حتى نتمكن من التنقيب عن الطبقة التالية لها واستغرق الهدم عدة أيام ثم بدأنا إزاحة التراب عن الطبقة التالية وسرعان ما تكشف عن مجموعة أخرى من المنازل . وهى عبارة عن منازل متداخلة تكثر فيها الأقبية Vaulted Rooms[1] بعضها يحتوى على مخازن منفصلة داخل المنازل ، والذى لفت نظرنا ندرة وجود المنازل التى تفتح على الشوارع بل كان الوصول إليها عن طريق سلم يهبط من أعلى الدار إلى أسفلها كذلك ندرة وجود حارات ضيقة تقطع هذا الحى طولا وعرضا بل وجد زقاق مغلق اقتطع فيما بعد إلى ثلاثة أجزاء (لاندرى هل استخدمت[2] هذه الأقسام بغرض معين أم لا ولكن الذى يجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأنها استخدمت لغرض معين هو العثور على صندوق من الخشب فى المنطقة الوسطى من هذا الزقاق)[3] وكذلك عثرنا على بعض الأفران وعلى طاحونة منزلية كبيرة من الحجر . وعموما نستطيع أن نقول إن نظام البناء فى منازل هذه الطبقة أكثر جودة وعناية من الطبقة السابقة كما أن وجود مخازن غلال فى كل منزل تقريبا يدل على حالة من الرخاء الزراعى الذى شهدته الفيوم فى أوائل العصر الرومانى .

وفى أثناء تنظيف المنازل خرجت كميات أكثر وفرة من الأدوات المنزلية خاصة المسارج التى عثرنا على كمية كبيرة منها بعضها كان يحمل فى أسفله علامة مميزة للمصنع (مثل حرف B) أو حرف (٨) أوجزء من اسم الصانع مثل (ΔIO) ، وبعضها مزين بصور نباتية وحيوانية كذلك عثرنا على كمية وفيرة من الأنفورات وأوانى حفظ المياه ، بعضها مزخرف بأغصان نباتات مجدولة[4] وبعضها منقوش بحروف يونانية مثل *ΠΑΓΘ* (ربما دال على سعة هذا الإناء)[5] كذلك وجدنا داخل المنازل عدداً من التماثيل المصنوعة من الطوب المحروق (terra cottas)

---

(١) أنظر صورة رقم ٤

(٢) أنظر شكل صورة ٨

(٣) أنظر صورة رقم ١٣

(٤) أنظر صورة رقم ٩

(٥) ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩

للآلهة اليونانية المصرية مثل هاربوكراتيس الطفل ولإيزيس — أفروديت [١] ، وعشتروت ولتماثيل صغيرة لإيزيس المستخدمة لأغراض السحر وكذلك تماثيل لعب الأطفال للحيوانات مثل الحمار والأسد والكلب . كذلك عثرنا على عدد كبير من المغازل والعقيق بقايا قلادات للزينة وعظام كثيرة للحيوانات خاصة الخنازير مما يدل على رواج تربية هذه الحيوانات فى هذا العصر بشكل ملحوظ كذلك تم استخراج قطعتين من الاوستراكا أو الشقف المكتوب عليه باللغة اليونانية الواضحة وهى فى انتظار النشر والقراءة ولا تقل أهمية الأوستراكا عن أهمية أوراق البردى .

أما أكثر الاكتشافات أهمية فى هذا الموسم فهو الإكتشاف الذى عثرنا عليه يوم ١٢ مارس عندما وجدنا فى المنزل رقم ٢ فى حجرة[٢]. ربما كانت مستخدمة كمخزن للغلال على وعائين صغيرين مملوئين بقطع العملة التى يكسوها الصدأ . وتم تصوير الأوانى فى مكانهما (in situ) ثم بدأنا فى تنظيف العملة لمعرفة العصر الذى ترجع إليه وبعد حصر عددها وجدناها ١٥٠٠ قطعة من البرونز المخلوط بنسبة من الفضة والمعروف علمياً باسم billon معظمها فى حالة جيدة ومقروءة واتضح أنها سكت فى مدينـــة الإسكندرية Alexandrian mint فى العصر الرومانى وأنها من فئة التتراد راخمات terradracam[٣] (أربعة درخمات) كذلك تعرفنا بصفة أولية وعامة على بعض الأباطرة الرومان الذين كانت رءوسهم مصورة على وجه العملة منهم الإمبراطور كلوديوس وهادريانوس وأنتونينوس وماركوس أوربليوس ولوكيوس فيروس ونرفا وجالبا وفسباسيانوس وعموماً يمكن أن نقول إن هذه النقود جمعت فى أواخر القرن الثانى وأنها تدل على الرواج الإقتصادى لهذه المدينة الزراعية ونشاط دار سك النقود بمدينة الإسكندرية وهى تؤكد حالة رواج الفيوم عموماً أثناء القرون الأولى للإمبراطورية الرومانية فى مصر إذا ما وضعنا فى الإعتبار كميات العملة من نفس الفترة التى عثر عليها المستر هنت

---

(١) أنظر صورة رقم ١٤

(٢) أنظر صورة رقم ١٢

(٣) أنظر صورة رقم ٢٢

وبعثة جامعة ميتشجان وحفائر الأستاذ الدكتور عبد اللطيف أحمد على Hunt في المواسم السابقة ومن المنتظر أن نعثر على المزيد من هذه النقود وهى جديرة بالتصنيف وبالدراسة لأنها ستلقى مزيداً من المعرفة عن وضع الإمبراطورية الرومانية فى مصر وعن الحالة الإقتصادية لكرانيس وللفيوم عموماً وعن الأفكار التى كانت الإمبراطورية تريد نشرها بين الناس عن طريق سكها على وجه العملة .

واستمرت أعمال التنقيب طوال شهر أبريل ، ولكن فى الأسبوع الأخير من هذا الشهر عندما اقتربنا من أقصى المستطيل حاولنا تبين بعض الأجزاء الواقعة وراء هذا المبتطيل لتحديد إتجاه الحفر مستقبلا . ولدهشتنا عثرنا على آثار البعثة الأمريكية التى حفرت هذه المنطقة من قبل ووجدنا جزءاً من نتيجة لعام ١٩٢٩ وبعض الأوراق الخاصة منها خطابات من أفراد البعثة إلى ذويهم ، ومن هنا ثبت لنا أن هذا الجزء قد تم حفره من قبل وما أن انتهى شهر أبريل حتى قررنا وقف الحفائر وذلك لهبوب الرياح التى كانت تعوق أعمال الحفر ولتخلف عدد كبير من عمال الفيوم لانشغالهم بموسم الحصاد الجديد ، وبالفعل أوقف العمل بالحفائر موقتاً يوم الأحد ٣٠ أبريل عام ١٩٧٢ وتم نقل الآثار بصحبة مفتش الآثار المرافق من قبل مصلحة الآثار إلى المعادى لحفظها بمخازن الكلية هناك إنتظاراً للنشر العلمى التفصيلى(١) .

وجدير بالذكر أن البعثة لم تعثر طوال مدة الحفر على أى آثار من العصر الفرعونى مما يؤكد أن مدينة كرانيس مدينة بنيت فى العصر البطلمى وازدهرت فى العصر الرومانى وتدهورت فى العصر البيزنطى علماً بأن البعثة أيضاً لم تعثر على أى آثار من الفتح العربى وإن كان مستر هنت قد أشار إلى عثوره على بعض الآثار الأولية من العصر العربى داخل المعبد(٢) .

---

(١) نأمل أن ينشر الأستاذ الدكتور عبد اللطيف أحمد على فى مجلد واحد نتائج الحفائر التى أجرتها الكلية فى كوم أوشيم وقد وعدنى سيادته بذلك .

(٢) آثرت القبائل العربية دائماً الاقامة فى المعابد الحجرية سواء الفرعونية منها أو اليونانية الرومانية وأغلب الظن أن هذه القبائل كانت رحل لأنها لم تستقر طويلا كما يتضح من الآثار إذ لم تخلف وراءها ما يدل على طول إقامتها .

وفى الخاتمه تتقدم بعثة التنقيب بالكلية بوافر الشكر إلى السيد الأستاذ الدكتور محمود عبد الآخر محافظ الفيوم على ما قدمه للكلية باسم محافظه الفيوم من عون مادى كان له أثر كبير فى استمرار قيام البعثة بعملها فضلا عن تشجيعه الأدبى واهتمامه بتذليل الصعوبات التى واجهت بعثة التنقيب .

كما تشكر الأستاذ الدكتور عبد اللطيف أحمد على والأستاذ الدكتور محمد جمال الدين سرور الأستاذين بقسم التاريخ بالكلية على متابعتهما سير العمل فى الحفائر وعلى ما قدماه من إرشادات علمية كان لها فضل كبير فيما توصلت إليه البعثة من نتائج .

وكذلك لا يسعها إلا أن تتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور جمال الدين مختار وكيل وزارة الثقافة لشئون الآثار على ما أبداه من حرص بالغ على استمرار العمل بالحفائر .

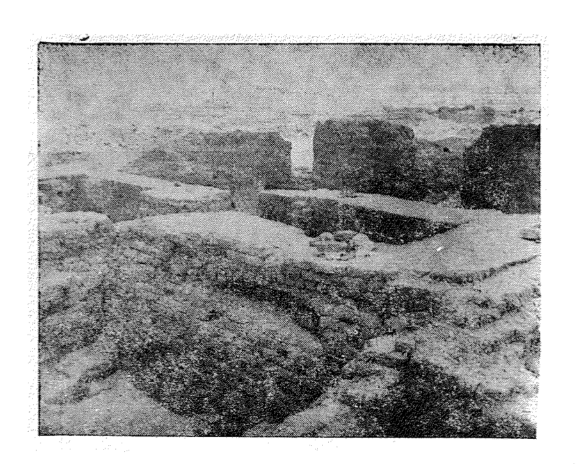
د . سيد أحمد على الناصرى   **د . أحمد السيد دراج**

اشراف الدكتور يحيى حامد هويدى

(١) منظر للمنطقة قبل التنقيب ، كوم أوشيم (كرانيس)
حفائر كلية الآداب جامعة القاهرة الرسم الثلث ١٩٧٢



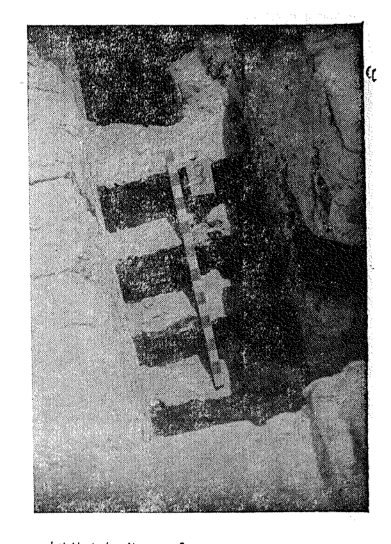
(٢) ظهور المنازل القديمة فى كوم أوشيم



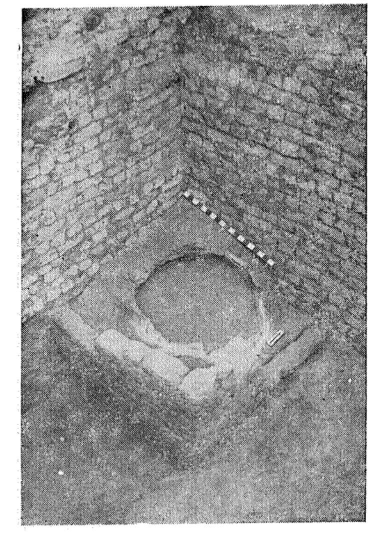
(٣) منظر للمنازل القديمة وقد ظهر معبد المدينة على ربوة قريبة



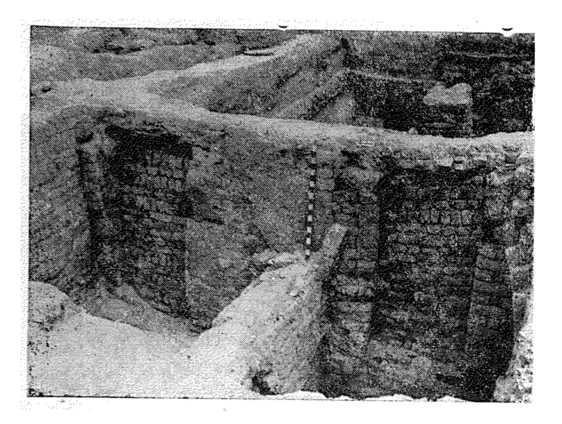
(٤)
منظر لأحد الأقبية فى المنازل



(٥) منظر لدرجات السلالم التى تقود إلى داخل المنازل



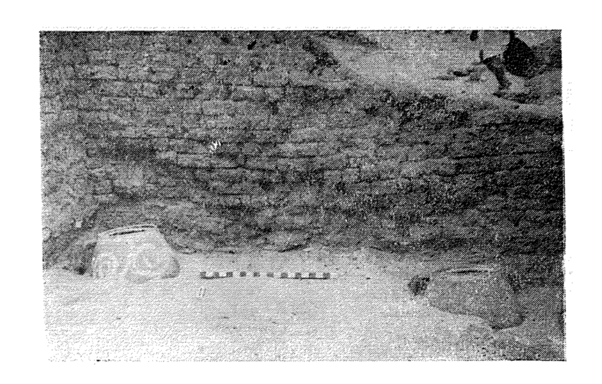
(٦) منظر داخلى لإحدى حجرات المنازل القديمة



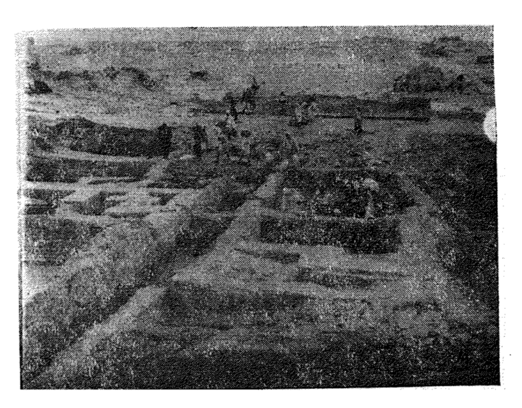
(٧) منظر لبعض المنازل وقد ظهرت أبوابها التي سدت أبوابها بالطوب لاعادة تسكينها



(٨) منظر للحوارى الضيقة فى المدينة القديمة



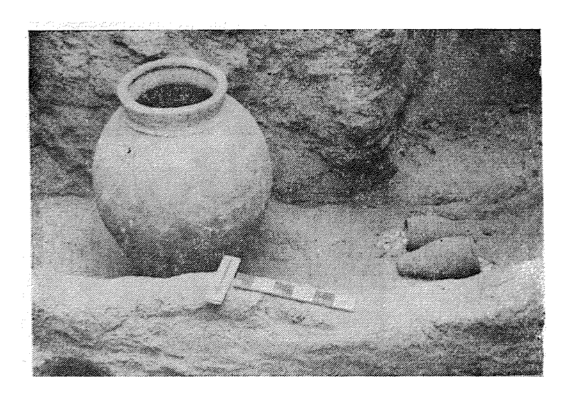
(٩) الأوانى الفخارية تظهر داخل المنازل



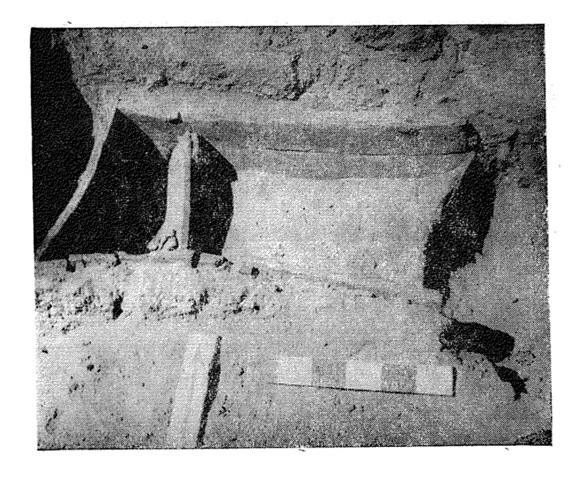
(١٠) منظر آخر لمنازل الطبقة الثانية وقد ظهر الطريق الرئيسى بين المنازل



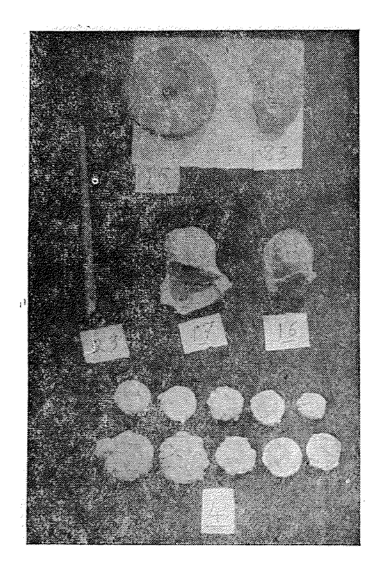
(١١) منازل المدينة القديمة وقد ظهر أحد الشوارع الرئيسية فيها



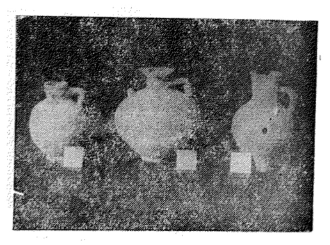
(١٢) آنيتان مملوءتان بالنقود الرومانية الطبقة الثانية



(١٣) صندوق من الخشب الطبقة الثانية



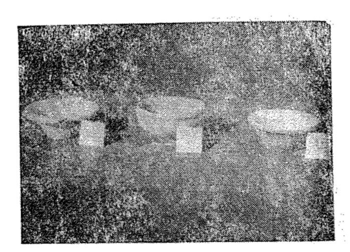
(١٤) بقايا معاول وتماثيل دينية ونقود مستخرجة من المنازل القديمة



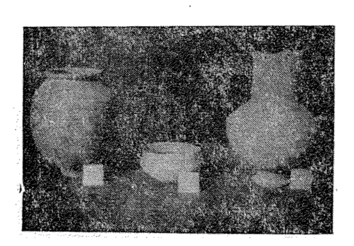
(١٥) عينات من الفخار المستخرج من المنازل



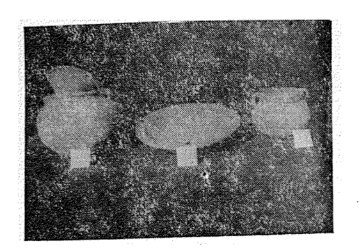
(١٦) عينات من الفخار المستخرج من المنازل



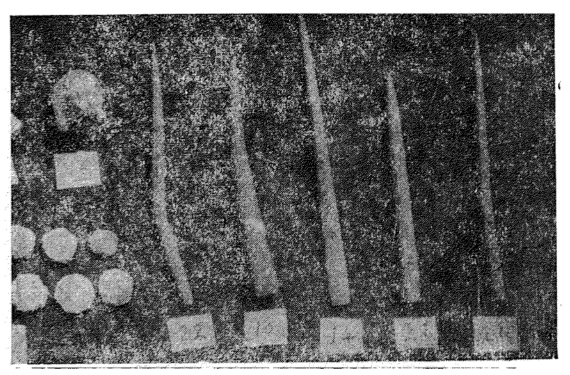
(١٧) عينات من الفخار المستخرج من المنازل



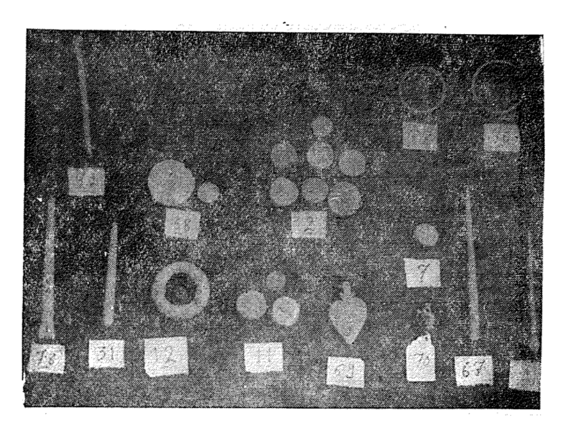
(١٨) عينات من الفخار المستخرج من المنازل



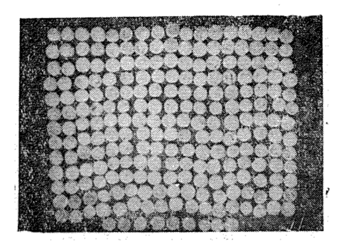
(١٩) عينات من الفخار المستخرج من المنازل



(٢٠) مخارز من العاج والعظم وعملات متآكلة



(٢١) عينات من أدوات الزينة المستخرجة من قبور المدينة



(٢٢) العملة بعد تنظيفها

Printed by Cairo University Press,
Director.
AHMED SALAMA

Cairo Univ. Press, 1940-1971-450 ex.

NATIONAL LIBRARY LEGAL DEPOSIT
No. 152—1973

Revolution had led him to contemplate the probability of the English people defending their rights against king and aristocrasy. His Scholar in the *Dialogue on the Principles of Government* offers to lend the peasant a gun and recommends that he should keep up exercising the use of arms, together with other villagers. His letters to Althorp were frank on this head :

> My own system, contained in my little Alcaick, will ever remain unaltered : I am free to own that, if peace were obtained abroad, I should prefer the horrors of a civil war (though I have much to lose) to the enormous prevalence of monarchical or Aristocratical power : and I wish to God, that every elector of Britain had as bright a bayonet as mine with as much resolution as I feel myself to possess ; ... ... [73]

Fortunately for Jones, he was spared the ordeal of Wordworth, Coleridge, "turn-coat Southey" and the wider circle of enthusiasts for the French Revolution, whose loyalties were shaken by Britain going to war with France. Would he have condemned the war as consistently as he had done in the case of the American Revolution ? Or would he have acquiesed under the pressure of the strong tide of anti-Jacobin reaction ? Many prominent 'republicans' did ; the Bishop of Landaff, for instance, "—— as a friend to peace appeared to have deprecated all intervention on -- (Britain's) -- part ; and it was not until long after the commencement of hostilities, that he gave his avowed sanction to the war". [74].

Jones died in 1794 ; his widow and his biographer did their best to make him appear, posthumously, as a stalwart supporter of the Establishment, but his works remained and were appropriated by more radical republicans, and later by militant Chartists [75] . When a complete edition of his letters is published, his reputation as a democrat, a republican in the literal sense of the term, will be fully vindicated. We might, then, conclude that the sentiments he expressed in 1790 could have remained unfixed under *all* circumstances :

> ... I heartily wish success to the French and the Flemings and should depart in peace from this world if I see an end of all tyrannies which laziness and vices of nations have suffered to be established in it.[76]

---

73. Letter to Althorp, April 6th, 1782, published in New Light ..., p. 677.
74. *Annual Biography* ..., p. 445, n.
75. *Supra* n. 26, 27 and 37.
76. Letter to John Wilmot, October, 1790 (British Musuem MS. 9828).

Dr. Price and in another letter that has never been published before. It is a letter to Mme Starck[70], an old French authoress, who had been living in England for some forty years, and whom Jones had known since he was a boy. The letter has been preserved in the Beckford Papers :

> Crishna-Nagur
> 15 Oct. 1791
>
> My good friend,
>
> I have sent you several letters, short in themselves, but long for me and have not received a line in return. If you are gone to France to enjoy freedom under the new constitution, send me at least some account of it, if you are well, let me have the pleasure of knowing it. If ill, let me at least express my hopes of your recovery.[17]

Madame Starck was seventy one at the time, and Jones apparently thought it feasible that she should return to France, after more than forty years' residence in Britain "to enjoy freedom under the new constitution there". He himself was contemplating the same course of action. A letter to Earl Spencer, written four days later, hints at such thoughts :

> ... At present the total subversion of our legal and recorded constitution, without a hope of its being restored, leaves every lover of it at perfect liberty to seek his own tranquillity in his Sabine farm ; and, if it were not for the sake of my beloved wife and a few beloved friends, I should think myself free to choose that retreat either in America or in France[72]

His contemporaries were right to complain of the distorted image presented by Jones' biographer. He was "a Republican, in the literal acceptation of the term", as Dr. Paley described him. The American

---

70. Madame Anne Marie la Cepedes de Fauques (de Vaucluse) de Starck (1720—1803) had been an acquaintance of Jones' mother and sister. She wrote a number of oriental tales and worked in her old age for William Beckford. In a MS Memoir of her life, by her husband, Henry Savile de Starck, he claims that she first inspired Sir William Jones with interest in oriental literature. The letter is reproduced in the *Memoirs* and preserved in MS, all in the Beckford Papers.

71. The letter continues, "I live in health but in constant occupation, and the glare of the sun so dazzles my week eyes, that I write nothing which I can avoid, and would not write these few lines for any other purpose than to assure you that I am, my good friend very constantly yours. W. Jones".

It is in Jones' hand. I have collated the handwriting with that of a note-book of Jones (British Museum MS 8889) and with the specimen of his handwriting in *Life*, II, facing p. 513. The MS *Memoirs* of Madame Starck and the letter of Sir William Jones were kindly lent me by Mr. Boyd Alexander, the leading Beckford scholar in whose custody the Beckford Papers were placed by the Duke of Hamilton.

72. "New Light ..." p. 678.

is couched in language reminiscent of Jones' *Dialogue* and of his *Intended Speech.* [67]

That Jones thought well of the French Revolution and did not conform to the opinions of most of his countrymen in India, can be inferred from a letter of W. Burroughs to the Earl of Charlemont :

> The flame of liberty burns very ardently in his mind, and has, I fear, consumed everything monarchical and aristocratical it found there. I do not, I own, like to part either with King or nobles, and of course differ a little with sir William as to present-European politics, but I love and respect him for his benevolence, his genius, his learning and his integrity. [68]

The barriser continues in the same vein, expressing his own support for the status quo in Britain, obviously in contrast to opinions held by Sir William Jones.

That Jones should have admired the achievements of the French Revolution is strictly in character with most of his political views. As early as 1781, the idea of a 'pure republic' had seemed attractive, " ... I agree, that men are by nature sociable ... but I insist, that, if natural propensity goes any farther, it leads to a system of perfect *equality*, and would produce a *pure republic*, the only rational and manly form of government, where manners and circumstances render it practicable". [69]

Many of Jones' contemporaries believed that he wanted to do away with the monarchy and aristocrasy. The gossip in W. Burrough's letter was not misinformed. Jones himself consistently expressed his approbation of the Revolution in France as demonstrated in his letter to

67. "Brothers and Fellow Citizens of the World, The Cordial and affectionate reception with which you have honoured our worthy Countrymen, Mr. Thomas Cooper, and Mr. James Watt, Members of the Society of Manchester and united with our Society has been communicated to us ... In offering you our congratulations on the glorious Revolution which your nation has accomplished, we speak a language which only sincerety can dictate ... It would have given an additional triumph to our congratulations if the equal Rights of Man (which are the foundation of your declaration of Rights) had been recognized by the governments around you and, tranquilly established in all ... We have beheld your peaceful principles insulted by despotic ignorance ; we have seen the right hand of fellowship which you held out to the world, rejected by those who riot on its plunder. We now behold you a Nation provoked into defence ; and we can see no mode of defence equal to that of establishing the general freedom of Europe. ... Signed by order of the Society.

John Cartwright, Chairman
D. Adams, Secretary", Ibid.

68. Historical Manuscripts Commission, *op. cit.*, p. 178.

69. Letter to Althorp, 31st March, 1781, published in "New Light on Sir William Jones", ed. cit., p. 677.

The next sentence could very well apply to Edmund Burke, "...while opposite principles have a power so repulsive that I never by my own choice associate with such as profess them". A few weeks later he wrote to his former pupil :

> I wish the name had not occurred, for it reminds me of Edmund Burke : I have not read his book, because I know it would vex me ; but very grave unprejudiced men here assure me, that it has the honour of being the wickedest, the silliest, and the worst written book in our language : If you love that man, you will never find me your rival.[64]

Had Jones been in England at the time he would undoubtedly have sided with Fox in his support for the revolution in France. He would have endorced the activities of his friends of the Society for Constitutional Information who supported Thomas Paine's *Rights of Man* (1792), in answer to Burke's *Reflections.*[65]

Jones would certainly have supported their resolution, "That the right of investigating principles and systems of government is one of these Rights (of Man) and that the works of any Author, which cannot be refuted by reason cannot, on the principle of good government, or of common sense be made the subject of prosecution"[66]. The Society's "Address to the friends of the Constitution at Paris, Commonly called Jacobins" approved for publication in the meeting of May 18th, 1792,

---

64 Letter to Spencer, October 19, 1791, published in G. H. Cannon, "Sir William Jones and Edmund Burke", ed. cit., p. 183—4.

65. Letter to Spencer, October 19, 1791, published in G. H. Cannon, "Sir Wilnewspaper invectives and caricatures etc ... They went so far as to countenante the *Rights of Man.* A meeting held on May 18th, 1792 announces a letter addressed to the Chairman from Thomas Paine, in which he thanks the Society for its support and suggests their publishing a cheap edition of the *Rights of Man* to enable people to know what the government was prosecuting the book for. The Society considered the letter and came to a number of resolutions starting with, "... this Society will contribute its utmost aid towards supporting the Rights of the Nation and the Freedom of the Press and him who has so essentially and successfully contributed to both, *Letter to Society etc.,* (British Museum Library No. 648. C. 26).

66. Loc. cit.

printed the letter, dated Sept. 14, 1790 from Crishna-Nagur, but he suppressed a most interesting paragraph, "When I think of the late glorious Revolution in France, I cannot help applying to my poor infatuated country the words which Tully formerly applied to Gaul : Ex omnimbus terris Britannica sola communi non ardet incendio". The anonymous author of the "Neglected Biography" (1817), produced the missing passage [61] in an effort to vindicate the reputation of the old republican.

Dr. Price could not have received Jones' letter, when Edmund Burke published his scathing attack on the dissenting priest and on the French people and their National Assembly. His *Reflections on the Revolution in France, and on the proceedings in Certain Societies in London Relevant to that Event :* was published, November 1790. It caused a serious rift in the Whig party, but set the tone for the anti-Jacobin tide of reaction, that swept over the country with the coalition of conservative Whigs and Tories under Pitt, in their war against revolutionary France.

Jones was decidedly on the side of Dr. Price and his friends, those "half a dozen grasshoppers under a fern (who) make the field ring with their importurate chink"[62], as Burke contemptously described radical supporters of the French Revolution. If the copy of Dr. Price's *Discourse* which Jones received in India was similar to the copy I have consulted, the Appendix with the famous Declaration of Rights, issued by the French Assembly as a preamble to the Constitution must have influenced Jones in their favour. Jones in India had not forgotten his republican sentiments. Writing to an English barrister in India, in September 1791, he was still harping on the subject of civil freedom :

> ... he (the Earl of Charlemont) knows my old attachment to the good old cause of civil freedom, the principles of which, while I live, I will live proclaiming, and when I die I will die professing. ... were I to hear of a man at the extremity of the globe, who maintained these principles and carried them into action, I should instantly find my heart struggling to unite itself with his [63]

61. *The Annual Biography* ... p. 470, n.

62. Edmund Burke, *Selected Writings and Speeches*, Anchor Books, New York, 1963, p. 463.

63. Letter to W. Burroughs, September 3, 1791, published in Historical Manuscripts Commission, *Thirteenth Report, Appendix Part VIII, The MSs and Correspondence of James First Earl of Charlemont*, Vol. II, 1784—1799, p. 177, n.

The long *Discourse* ended with a warm welcome to the French Revolution. Time was favourable "to all exertions in the cause of public librty". The American Revolution was one instance, and now the French Revolution was the crowning triumph of liberty !

> What an eventful period is this ; I am thankful that I have lived to it ; and I could almost say, *Lord, now lettest thou thy servant depart in peace, for mine eyes have seen thy salvation.* ... I have lived to see a diffusion of knowledge, which has undermined superstition and error. ... I have livd to see THIRTY MILLIONS of people, indignant and resolute, spurning at slavery, and demanding liberty with an irresistible voice ; their King led in triumph, and an arbitrary monarch surrendering himself to his subjects.[58]

The sermon ends on a triumphant note that echoes the optimism of the time :

> Be encouraged, all ye friends of freedom, and writers in its defence ! ... Your labours have not been in vain.
>
> Behold kingdoms, admonished by you, starting from sleep, breaking their fetters, and claiming justice from their oppressors ! Behold the light you have struck out, after setting AMERICA free, reflected to FRANCE, and there kindled into a blaze that lays despotism in ashes, and illuminates EUROPE !
>
> Tremble all ye oppressors of the world ! Take warning all ye supporters of slavish governments, and slavish hierarchies ! You cannot now hold the world in darkness ... Restore to mankind their rights and consent to the correction of abuses, before they and you are destroyed together.[59]

This sermon which provoked Burke's famous *Reflections on the Revolution in France* (1790), was received with different sentiments by Jones. Dr. Price sent him a copy of the *Discourse* and from India Jones wrote back his admiration and support, "I give you my warmest thanks for your friendly letter, and acceptable present of an admirable discourse, which I have read with great delight".[60] Lord Teignmouth

---

58. ibid, p. 49.

59. ibid, p. 50—51

60. *Life*, II, p. 200.

enmity to Warren Hastings, the Governer General in Bengal. By politics he certainly meant party politics. Of politics' in the wider sense his earlier letters his decided abstension.

The 'republican' ideas of Jones as well as many of his contemporaries were put to the test by the French Revolution. It set a remarkable challenge for English radicals with whom he had associated before his appointment. His biographer took care to suppress any pronouncements Jones made on the French Revolution. Contemporary writers could see the importance of this challenge. The author of the "Neglected Biography" writes,

> ... a great and singular event occurred in Europe, which from the very beginning seemed portentous ; and in a short time appeared pregnant with the most serious and important results. Different opinions prevailed as to the manner in which the French Revolution ought to be viewed by the English people ; and ministery and opposition were, as usual divided as to the nature and treatment of this national convulsion. ... [56]

Many of the 'radical' friends of Jones welcomed the French Revolution and declared their enthusiasm in uncompromising terms. Dr. Richard Price gave his famous *Discourse, On the Love of Our Country*, on November 4th, 1789. Dr. Price, a founding member of the Society for Constitutional Information was speaking before the Society for Commemorating the Revolution in Great Britain. Celebrating the anniversary of the Glorious Revolution of 1688, Dr. Price made many remarks about the nature of civil government which echoed the ideas Jones expressed in both his writings and his letters :

> Civil governors are properly the servants of the public ; and a King is no more than the first servant of the public, created by it, maintained by it, and responsible to it : and all the homage paid him, is due to him on no other account than his relation to the public ... His authority is the authority of the community ; and the term MAJESTY, which it is usual to apply to him, is by no means *his own* majesty, but the MAJESTY OF THE PEOPLE. [57]

56. *The Annual Biography ...*, ed. cit, p. 436.

57. Richard Price, *A Discourse on the Love of Our Country, Delivered on Nov. 4, 1789, at the Meeting House in the Old Jewry, To the Society for Commemorating the Revolution in Great Britain, With an Appendix containing the Report of the Society, An Account of the Population in France and the Declaration of Rights by the National Assembly of France.* London, 1789.

Franklin's death, Jones wrote from India to Dr. Price, a mutual friend,

> I had flattered myself with a hope of making a visit to our venerable friend at Philadelphia, before the retreat which I meditate to my humble cottage in Middlesex ; but God's will be done. [52]

* * * *

Jones' appointment to the Supreme Court in India marked the end of his political involvements. As early as 1781, when he had started that long wait for the post in India, he told Gibbon :

> If my politics have given offence, it would be manly in ministers to tell me so. ... I will never resign my opinions for *interest* ... though I would cheerfully abandon them on *conviction*. My reason, such as it is, can only be controlled by better reason, to which I am ever open. ... my system is purely speculative, and has no relation to my seat on the bench in India, where I should hardly think of instructing the Gentoos in the maxims of the Athenians. [53]

He could see no opportunity of applying his republican ideas in India. Writing to Lord Ashburton during his voyage to India, he thought it necessary to put his patron's mind at ease, since the prosecution of William Shipley for the publication of the *Principles of Government* had started,

> As to the doctrines of the tract, though I shall certainly not preach them to the Indians, who must and will be governed by absolute power, yet I shall go through life with a persuasion, that they are just and rational ... [54]

Jones considered it his duty to abstain from all political involvement as long as he remained in office as a judge. "... I disclaim all political connexion whatever in India, thinking them wholly inconsistent with the judicial character", he wrote to Edmund Burke in February, 1784 [55]. He was hinting at the delicate question of Burke's

52. Sept. 14, 1790, *Life*, II, p. 200.

53. *Life*, I, p. 367.

54. *Life*, II, p. 7.

55. Letter to Burke, published in Garland Cannon, "Sir William Jones and Edmunds Burke", ed. cit., p. 181.

> the power flatter the King with this project of re-union ; and it is said, have much reliance on the operation of *private agents* sent into America to dispose minds in favour of it, and to bring about a seperate treaty there with general Carleton. [48]

Six months later the Treaty of Versailles (Jan. 1783) was signed. Britain had to recognize the independence of the States and the old sage of Passy proved to be a more astute politician than the brilliant English barrister, orientalist and classical scholar. Jones' assertion in the pedantic Fragment that the " ... proud but brave citizens (of England) ... will never expressly recognize the independence of the islands : their resources are no doubt exhaustible, but will not be exhausted in the lives of us and of our children", was proved wrong. His ideas on this head were as unrealistic as his plea that the victorious party should be satisfied with the prize of virtue !

It is significant that W. T. Franklin follows the account of Jones' visit to Benjamin Franklin and the text of the "Fragment of Polybius", with examples from his grandfather's correspondence, of attempts at "persuasion and artifice to undermine his principles and awaken his fears,,. There were even a number of attempts against the old man's life by British agents in the French Capital. Such a context for his 'Fragment' would have greatly surprised the unsuspecting Jones. He directed his anger at the failure of his mission to his friend who had failed him after their arrival at Nantes. He retained his admiration and respect for the American citizens "Did you know that the Americans had flourishing settlements *seven hundred* miles from the coast ?" he had written to Althorp in March, 1782. "Every man among them is a soldier, a patriot—Subdue such a people ! The King may as easily conquer the moon or wear it in his sleave". [49] On October 5th he wrote, " ... the sturdy transatlantic yeomanry will neither be dragooned nor bamboozld out of their liberty." [50] His relations with Franklin remained cordial and friendly, especially after his engagement to Bishop Shipley's daughter [51]. On hearing of

48. ibid, p. 162—3.

49 New Light p. 679.

50. *Life*, I, p. 392.

51. See Franklin's letter of congratulations upon Jones' engagement, *Life*, I, p. 405.

He draws up a project of nine points as a "general ground-work and plan" for a treaty of peace. All the items of the proposed treaty emphasize the importance of establishing friendship and good will between all parties. The very second item proposes the abolition of slavery in the States as a preliminary condition to any agreement. To justify keeping the close bonds between Britain and the States, he has to resort to metaphorical rather than rational arguments :

> "3. 'There shall be a perfect *co-ordination* between Athens and the thirteen united islands, they considering her not as a *parent*, whom they must *obey*, but as an older *sister*, whome they cannot help *loving*, and to whom they shall give *pre-eminence of honour and co-equality of power*.

As to the practical methods of effecting this "coordination", Jones' plan seems far from realistic :

> 5. On every occasion requiring *acts* for the *general* good, there shall be an assembly of deputies from the senate of Athens and the congress of the islands, who shall fairly adjust the whole business, and settle the ratio of the contributions on both sides. This committee shall consist of fifty islanders and ffity Athenians, or of a smaller number chosen by them. [47]

He also proposes that a number of "Athenians" should sit in the congress of the Stats and a proportionable number of "islanders" have the same power in "the assembly at Athens". As the editor of Franklin's letters remarks, "This classical and ingenious communication did not divert Dr. Franklin's fixed sentiments respecting the perfect independence of his country". A letter he wrote after Jones' departure shows that the American politician was far too astute to be convinced by metaphorical rhetoric. Writing to "Mr. Secretary Livingston ... (on) 28th June, 1782" he refers to the proposals of conciliation made by the English government :

> However willing we might have been at the commencement of this contest, to have accepted such conditions, be assured that we can have no safety in them at present. *The King hates us most cordially.* If he is once admitted to any degree of power or government amongst us, *however limited*, it will soon be extended by corruption, artifice, and force, till we are reduced to absolute subjection ... those who aim at engrossing

---

47. ibid, p. 162.

> communication ... made so strong an impression upon Mr. Jay, that he took the first opportunity of writing to his friends in congress, etc. to put them on their guard against any attempts from Mr. Jones, for the purpose before mentioned.[44]

The Americans suspected Jones "under the particular influence of his friend and patron Lord Shelburne, (then minister), had really agreed to lend the assistance of his talents and exertions to the aid of this object".[45]

The "Fragment of Polybius" which Jones gave Benjamin Franklin before leaving Paris, is printed by W. Temple Franklin as conclusive evidence of Jones' intentions. He calls it a "diplomatic document of superior cast", but it could have had very little effect on deciding matters of peace and war. It is a fine piece of writing, a good specimen of classical style and erudition but not much use in practical politics. Under a thin classical disguise, the impasse between England and the revolting States is discribed as a war between Athens and the islands Chios, Rhodes and Lesbos. France is represented as the neighbouring Kingdom of Caria "whose King openly assisted the revolting islands" To his capital, "the United islands had sent a philosopher, named *Eleatherion,* eminent for the deepest knowledge of nature, the most solid judgement, most approved virtue, and most ardent zeal for the cause of general liberty", Benjamin Franklin. "An Athenian who had been a pupil of Issaeus and Demosthenes and began to be known in his country as a pleader of causes (Jones)", pleads with the philosopher for a compromise. He tries to convince him of the futility of seeking an explicit recognition of the independence of the United States :

> ... this *I* know, and positively pronounce, that while Athens is Athens, her proud but brave citizens will never *expressly* recognize the independence of the islands.

His main argument is that an express acknowledgement of independence is merely formal and will not add much to the actual status of the newly independent States. They should not seek to humiliate their mother country before other Grecian (i. e. European) nations :

> Let them be satisfied with the prize of virtue, which they have already obtained ... *liberty* ... seems more lovely ... when she comes hand in hand with *peace.* [46]

---

44. loc. cit.
45. ibid, p. 163.
46. ibid, p. 161.

his biographer was ready to admit :

> The object of this journey was professional, to procure the restitution of a very large estate of a client and friend, which had been attached by an order of the States ... This object is mentioned by Mr. Jones in his correspondence, and his own evidence will be conclusive against some surmises and insinuations which were propagated respecting the motives of his intended journey [42].

The Americans were suspicious as to the real motive of Jones' intended voyage. Benjamin Franklin's grandson who edited his *Memoirs and Correspondence* makes it clear that some of the American delegates in Paris thought the professional motive a mere pretext :

> In fact, Mr. Paradise was not in any want of a lawyer, and especially an *English* lawyer ; nor was his estate in Virginia of the magnitude supposed by Lord Teignmouth, nor his finances in such a state as to enable him to defray the expenses of the voyage intended by Mr. Jones, and much less to afford him a compensation for leaving his then increasing professional business in England.[43]

Mr. Jay, one of the American delegates in Paris was more positive that

> ... it could not ... have been a professional object which actuated Sir William Jones in this undertaking ... (for) by some expressions which escaped from him in a conversation with Mr. Jay, the latter strongly suspected. that the real purpose of this intended visit to the United States, was to endeavour to produce a disposition in persons of influence *there*, to accept a reconciliation with Grat Britain, on terms more favourable or less humiliating than those of *absolute independency* ; and this suspicion soon after received a strong confirmation in the mind of Mr. Jay, upon his accidentally noticing in a printed account of the then *recent* proceedings of the «society for constitutional information», which had been incautiously put into his hands by Mr. Jones, a commun-nication made by the latter to this society, of his intention to leave England speedily on a *mission* greatly connected with the interests and welfare of his country. ... the words of this

42. *Life*, I, p. 355.

43. *Memoirs of Benjamin Franklin*, ed. cit., vol. I, p. 160.

George the Third's obstinate oppostion to any measures of conciliation in spite of repeated defeats of the British army, convinced Jones of the danger to the constitution and to the safety of the State of the King's assuming such absolute powers.

His *Intended Speech* of September 1780 condemns in unqualified terms the American war and the conduct of the parliament, in supporting it" [39] . Jones made a number of visits to France, where he met American politicians resident in the French capital. His biographer passes over these journeys as "not of sufficient importance to engage the reader's attention"[40]. Jones, however, seems to have had some business in France connected with the American war. He wrote to Lord Althorp upon his return from a quick visit to Paris in the autumn of 1780 :

> ... having been out of England a month exactly, half of which time I spent at Paris ... the result of all I have heard and thought is, that the war, which I have invariably and deliberately condemned as no less unjust than impolitic, will continue very long to desolate the country of our brethren, and exhaust our own ... as to politics, I would rather converse than write on a subject so very serious ...... many incidents happen to letters, and in times like these, the post is hardly to be trusted ... All the intelligence that I collected, and all the observations that I made, you ... shall hear in the course of conversation when we meet. [41]

Like many of his Whig friends, Jones' opposition to the American war did not mean supporting complete independence for the Americans. He early advocated peace on terms that would give the Americans virtual independence but keep a nominal connection with Britain. In June 1782, he proposed to pay a visit to the United States in the company of John Paradise, an old friend, the owner of some property in Virginia. Jones met Benjamin Franklin in France to obtain passports for sailing to the States, but finally gave up the voyage in disgust, when his friend suddenly panicked and refused to embark. This intended voyage to the States and the visit to Franklin in Paris seem to have attracted more attention and raised more queries than

---

39. ibid, p. 333.

40. ibid, p. 336.

41. ibid, p. 337—9.

the characters were changed to A Gentleman and a Farmer. Jones believed that "... the doctrines in the tract ... (were) ... just and rational" and consequently self-evident ; that is why a peasant who had never given much thought to political problems could deduce them for himself. His peasant, thanking the scholar for making him "wiser and better" ends with, "and yet, methinks, I had some knowledge in my own mind of this great subject, and have been a politician all my life without perceiving it".

The analogy with Socrates' conversants is obvious but a more important implication is that every free individual is 'naturally' a political animal entitled to a share and an opinion in the affairs of government.

* * * *

Jones' deep distrust of absolute power whether vested in an individual (a monarch) or a group (an oligarchy), grew out of his discontent with the English government's management of the American Revolution. "... my opinion is, that power should always be distrusted, in whatever hands it is placed", he said in the same letter to Althorp in which he enclosed the Dialogue. Like many of his Whig friends he was opposed to the war against the American colonies. In the houses of his Whig friends he met American delegates trying to negociate fair terms from the mother country. Benjamin Franklin was a frequent visitor at the Shipleys. He entertained a cordial friendship for the young lawyer and scholar, which Jones prized highly. When frustrated with the delay in his appointment to the India judgeship, he often boasted that he had been offered a fine opening in the new republic where he "would make laws reposing on the banks of his own river !" Of his championing the cause of the Americans his biographer writes apologetically :

> With respect to the American war, he early adopted sentiments upon it unfavourable to the justice of the British cause, and this opinion, once formed, would naturally acquire strength from the protraction of the contest, which he lamented with the feelings of a true patriot and friend to humanity. These reflections dictated a very animated and classical Ode to Liberty, which he composed in Latin ... [38]

---

38. *Life*, I, p. 308—9.

as seditious and Jones insisted were absolutely constitutional, suggested resisting the King with arms :

> S. ...Recollect your opinion about your club in the village, and tell me what ought to be the consequences if the King alone were to insist on making laws, or on altering them at his will and pleasure.
>
> P. He too must be expelled.
>
> S. Oh ! but think of his standing army, and of the militia, which now are his in substance, though ours in form.
>
> P. If he were to employ that force against the nation, they would and ought to resist him, or the state would cease to be a state. (34)

At the end of the Dialogue the peasant undertakes to exercise regularly with fire-arms and to induce other villagers to do the same. "P. We ought always, therefore, to be ready ; and keep each of us a strong firelock in the corner of his bedroom".

Jones was on his way to India at the start of the long drawn out case. He wrote to Lord Kenyon, the Chief Justice of Chester, declaring himself the author of the dialogue, and maintaining "that every position in it was strictly conformable to the laws and constitution of England"(35). He also wrote to Lord Ashburton, during the voyage to India, defending the little tract :

> The Grand Jury of Denbigh have found, I understand, the bill against the Dean of St. Asaph, for publishing my dialogue ; but as an indictment for a theoretical essay on government was, I believe, never before known, I have no apprehension for the consequences. (36)

The pamphlet was published several times by the end of the century, occasionally "with Notes and Historical Elucidation" (37) but

---

34. *Principles of Government*, p. 6.

35. *Life*, I, p. 394, n.

36. *Life*, II, p. 6—7.

37. An edition published, for Lee & Hurst, Booksellers, No. 32, Pater-Noster-Row. London, 1797, has on the title page besides an invocation to Liberty by Gustavus Vasa, a significant line by Rousseau, "Tout honnête-homme doit avouer les livres qu'il publie". In contrast to the first edition of 1782 distributed by the Society for Constitutional Information, this one carries the name of the author, the publisher, the printer and the editor responsible for the Notes and Historical Elucidations. The price is two shillings and sixpence !

S. When a prince of the blood shall in any country be so distinguished by nature, I shall then and then only, conceive him to be a greater man than you. But might not an army, with a King or General at their head, have compelled them to assemble ?

P. Yes ; but the army must have been formed by their own choice. One man or a few can never govern many without their consent.

S. Suppose, however, that a multitude of men, assembled in a town or city, were to choose a King or Governor, might they not give him high power and authority ?

P. To be sure ; but they would never be so mad, I hope, as to give him a power of making their *laws*.

S. Who else should make them ?

P. The *whole* nation or people.

S. What if they disagreed ?

P. The opinion of the *greater number*, as in our village-club, must be taken and prevail. [32]

The Society for Constitutional Information distributed thousands of copies gratis. When William Shipley, Dean of St. Asaph and later Jones' brother in law, published an edition of it in Flintshire in 1783, it gained greater popularity because the Dean was prosecuted by the Sheriff of Flintshire for publishing a libelous and seditious work. As Jones' name was not mentioned, all the charges were directed against William Shipley as the one responsible for publication. The Society recruited a famous lawyer for the defence, who succeeded in arresting the judgement against Shiply and gave the little pamphlet greater publicity. The case is regarded as one of the causes behind the Libel Act of 1792, an important step towards freedom of the Press in England [33]. Some of the passages which the prosecution pointed out

32. *Principles of Government*, p. 4—5.

33. For a detailed account see Garland H. Cannon, "Freedom of The Press and Sir William Jones", *Journalism Quarterly*, vol. 33 (Spring 1956), p. 179—188. Of the Libel Act of 1792, in relation to the case of Jones' *Dialogue*, he concludes, "Historically, this early statute was, of course only one of several in the development toward English freedom of the press ...... From 1792 on, English juries had the right to decide whether the writing in question constituted a libel, as well as whether the defendent had published the writing. The developing movement towards freedom of the press had been given a tremendous boost by the new law...» p. 188. See also S. G. Vesey-Fitz Gerald, "Sir William Jones, the Jurist", *Bulletin of SOAS*, XI (1946). And S. N. Mukherjee, op. cit, p. 52—56.

P. He make laws ! He bind us ! No ; we have all agreed to a set of equal rules, which are signed by every newcomer, and were written in a strange hand by young Spelman, the lawyer's clerk, whose uncle is a member.

S. What should you do, if any one member were to insist on becoming *perpetual* master, and on altering your rules at his arbitrary will and pleasure ?

P. We should expel him.[29]

Such forthright language and lucid reasoning suited the purpose of the Society of Constitutional Information, which published the *Dialogue* and distributed it gratis. Jones himself did not expect the fuss that was later made over what he called *"a little jeu d'esprit"*. "I wrote (it) at Paris", he wrote to lord Althorp. "It was printed here by a society, who, if they will steer clear of party, will do more good to Britain than all the philosophers and antiquaries ...".[30] The context of the letter to Lord Althorp, shows however, that it meant more to Jones than a mere *"jeu d'esprit"*. He goes on to tell his noble friend, "... if my friends are resolved to assail one another, instead of concurring in any great or laudable effort for the general safety, I have no cause left, but to act and speak rightly to the best of my understanding"[31]. The Society for Constitutional Information found the little pamphlet very useful for its purposes, as it adequately put the case of the old fixed rights of the people :

S. Did it never occure to you, that every state or nation was only a great club ? ... you may be able to tell me why you suppose men to have assembled, and to have formed *nations*, communities, or states, which all mean the same thing.

P. In order, I should imagine, to be as happy as they can while they live. ...

S. Do you believe, that any King or Emperor compelled them to so associate ?

P. How could one man compel a multitude ? A King or an Emperor I presume, is not born with an hundred hands.

---

29. *The Principles of Government.* Printed by the Society For Constitutional Information, 1782, p. 3.

30. Letter to Lord Althorp, Oct. 5, 1782, *Life*, I, p. 393—4.

31. *ibid*, p. 394.

> of Radical Reform. ... Universal Suffrage (male), Annual Parliaments, Vote by Ballot, Equal Representation, Payment of Members and No property qualification ...

The publisher threw in Jones's Ode[27], probably as an effective argument in the campaign for the People's Charter. In fact had Jones lived to see it, he himself might have willingly put his name to "the six cardinal points", a number of which he had advocated in 1782 in his *Principles of Government.*

This little pamphlet, which gained a wider reading and made a louder noise than Jones had imagined, is the best expression of his political 'system'. Inspired by the model of Plato's Dialogues, Jones set out his ideas on government in an imaginary conversation between a peasant and a scholar. He himself was surprised at the stir it made and later explained its origin :

> I meant it merely as an imitation of one of Plato's where a boy wholly ignorant of geometry, is made by a few simple questions to demonstrate a proposition, and I intended to inculcate, that the principles of government were so obvious and intelligible, that a clown might be brought to understand them[28]

Using the analogy of the village club, the scholar in Jones' pamphlet draws out of his simple peasant, statements that demonstrate how 'natural' the principles of representative government are. Speaking of the village club the scholar asks,

> S. Did they (the parish officers), or the Squire, or the parson, or all together, compel you to form this society ?
>
> P. Oh ! no—we could not be compelled ; we formed it by our own choice.
>
> S. You did right—But have you not some head or president of your club ?
>
> P. The master for each night is chosen by all the company present the week before.
>
> S. Does he make laws to bind you in case of ill temper or misbehaviour ?

---

27. ibid, p. 4.

28. Letter from India, April 13, 1784, *Life*, II, p. 35.

The poem proceeds to gives what Jones termed his "system of government and morality too".[25]

> Not high-raised battlement or labour'd mound,
> ......
> Not cities proud with spires and turrets crown'd
> ......
> Not starr'd and spangled courts,
> Where low-brow'd baseness wafts perfume to pride,
> No : — MEN, high-minded MEN,
> With pow'rs as far above dull brutes endued,
> ......
> Men, who their *duties* know,
> But know their *rights,* and knowing, dare maintain,
> Prevent the long-aim'd blow,
> And crush the tyrant while they rend the chain :
> *These* constitute a state,
> And sov'reign LAW, *that state's collected will,*
> O'er thrones and globes elate
> Sits Empress, crowning good, repressing ill ;

This Ode gained much publicity and probably contributed to his unpopularity in certain political circles, that delayed his appointment to the judgeship in India for three years. Its popularity or 'notoriety' as Prof. Arberry chooses to describe it, spread to circles much wider than Jones could have envisaged. Almost fifty years after his death, it was still being printed in such mixed company as "What is a Chartist", "price 1s. 6d. hundred, or five for a penny" ![26] Distributed by the Finsbury Tract Society, a dialogue between a Radical and Mr. Doubtful, sets the case for the people's Charter in much the same way as Jones had done for the principles of government in his *Dialogue between a Peasant and a Scholar* (1782). Radical explains to Mr. Doubtful that the People's Charter was

> ... the outline of an act of parliament, drawn up by a committee of the London Working Men's Association, and six members of Parliament ; embracing the six cardinal points

---

25. Letter to Lord Althorp dated, April (1781), published in "New Light on Sir William Jones", ed. cit, p. 675. The Ode is signed 31st March, 1781, Jones, *Works*, X, ,p. 390.

26. *The Question 'What is a Chartist ?' Answered by the Finsbury Tract Society,* (London, 1840).

goodness ought to be the distinguished attribute of the crown, wisdom of the aristocracy, but power and fortitude of the people. ... [20]

Jones publicized his 'republican' ideas not only in private letters but in published speeches which he never had a chance to give [21] and in poems which he circulated among his various correspondents, even before they appeared in print. An Ode to Liberty[22], he composed in Latin lost him the nomination to a seat in Parliament in 1780 [23]. Even when composing an epithalamium on the occasion of Althorp's marriage, his preoccupation with the liberty of Englishmen is not forgotten. Drawing a glowing picture of the future of the newly married couple he tells the bridegroom :

While thou, by list'ning crowds approved,
......
ALTHORP, should'st emulate the fame
Of Roman patriots and th' Athenian name ;
Shouldst charm with full persuasive eloquence,
......
Th' applauding senate ; whilst, above thy head,
Exulting Liberty should smile,
Then, bidding dragon-born contention cease,
Should knit the dance with meek-ey'd Peace.[24]

The best of his political poems, however, is the Ode in Imitation of Alcaeus. The lines were addressed to Althorp, now a "Senator" from whom Jones expected great things in Parliament. Originally it started with "*Althorp,* what forms a state" ? Jones later altered it to

What constitutes a state ?

---

20. ibid, p. 377—8. My italics.

21. In reaction to Lord Teignmouth's *Memoir* of Jones' life, 1st published 1804, a correspondent of The *Gentleman's Magazine* (1804, LXXIV, pt ii, p. 1214), draws attention to Jones' *Intended Speech* (cf supra, n. 13). The speech contains some of the most scathing criticism of the English government Jones ever made. It also attacks the slave trade. Lord Teignmouth selected only the passages against the slave trade and omitted the rest of the Speech. The same volume contains *An Oration Intended to Have Been Spoken, In The Theatre At Oxford, IX July,* MDCCLXXIII.

22. *Works*, X, p. 394—400.

23. In a letter to Mr. Cartwright, Sept. 8, 1780, Jones writes, "I have been told, that the very ode to which you are so indulgent, lost me near twenty votes, this, however I am unwilling to believe", *Life*, I, p. 329—330.

24. "The Muse Recalled", celebrated Lord Althorp's marriage, March, 1781. There are numerous references to the American War and to the wish of 'patriot' Englishmen for peace with the colonies, *Works*, X, p. 344—8.

Society of Constitutional Information, both his juniors in age [18]. To Lord Althorp he wrote on February 4, 1780 :

> ... I solemnly declare that I will not enlist under the banners of a party ; a declaration which is, I believe, useless, because no party would receive a man determined as I am, to think for himself. ... although I will be jealous of the *regal* part of our constitution, and always lend an arm towards restraining its proud waves within due limits, yet my most vigilant and strenuous efforts shall be directed against any oligarchy that may arise ; being convinced that on the popular part of every government depends its laws, its welfare, its security, its permanence [19]

Two years later, writing to Thomas Yeates to thank the Society for the membership conferred upon him, he makes his point more explicitly :

> Care must now be taken, lest by reducing the regal power to its just level, we raise the aristocratical to a dangerous height ; since it is from the people that we can deduce the obligation of our laws, and the authority of magistrates.
>
> On the people depend the welfare, the security, and the permanence of every legal government ; in the people must reside all substantial power ; ...
>
> If the properties of all good government be considered as duly distributed in the different parts of *our limited republic,*

18. The Society for Constitutional Information was founded in April 1780 by a group of independent 'gentlemen' and dissenters. Like Jones they believed that the old Saxon government of Britain had insured liberty and equality among the people, that the arbitrary Normans had destroyed ancient records of such a form of government.It was the avowed aim of the Society, "to supply, as far as may be, the want of those destroyed records, and to revive in the minds of their fellow citizens, a knowledge of their lost rights ; so that knowing the value of their inheritance, and the absolute necessity of exercising their election rights as extensively and as constatly as (their) sacred Constitution and its great founders intended, they may restore Freedom and Independency to that branch of the legislature which originates from, represents, and is answerable to THEMSELVES", Address to the Public, dated April, 1780 and signed by 16 founding members, among them were some friends of Sir William Jones, Major Cartwright, Dr. Richard Price and R. B. Sheridan. In 1782 Jones was elected honorary Member of the Society.

19. *Life*, I, p. 306—7.

enjoyed by Oriental poets in addressing a ruling monarch or prince ![15] In a "Fragment of Polybius", he described himself as

> ... a pupil of Isaeus and Demosthenes, ... a man, unauthorised, unconnected ; independent in his circumstances as much as in his principles : admitting no governor, under Providence, but the laws ; and no laws but those which justice and virtue had dictated [16].

This independence which he prized so highly was no qualification for a career in parliament, for which his mother had hoped and which he contemplated in 1780. The same "Fragment" gives his conception of the government of England. Under the thin disguise of Athens, England is described as a republic with a monarch, who is merely an administrator of the laws :

> Were Athens governed by the will of a monarch, she could never be coordinate with the free islands ; ... but she is and shall be ruled by *laws* alone, that is by the *will* of *the people*, which is the *only law* ... Her archon, even when he was perpetual, had no essential properties of monarchy. The constitution of Athens ... was a republic with a perpetual administrator of its laws [17]

Jones' ideas concerning government owe a great deal to John Locke. Like many of his contemporaries, including the legislators for the new American Republic, Locke's second *Treatise of Civil Government* (1690) inspired many of the basic ideas in what Jones liked to call his "system". This system is best expounded in his letters to his former pupil, Lord Althorp and to Thomas Yeates, Secretary of the

---

15. In the "Essay on the Poetry of Eastern Nations", *Works, X*, 326—360, he quotes a passage from Sadi's *Bostan* which he translates as, "*The people are the root, and the King is the tree that grows from it ; and the tree, O my son, derives its strength from the root.*" His commentary is, "... *Sadi's* poems are highly esteemed at *Constantinople*, and at *Ispahan* ; though, a century or two ago, they would have been suppressed in *Europe*, for spreading with too strong a glare the light of liberty and reason", p. 353—4.

16. The so-called "Fragment of Polybius ..." was the work of Jones. He gave it to Benjamin Franklin, at the end of his visit to Paris, 1782. It is published in the *Memoirs of Benjamin Franklin*-Written by himself and continued by his Grandson (W. T. F. [William Temple Franklin]) ... in 2 vols. New York, 1861, vol. I, p. 161.

17. ibid, p. 162.

Jones' reputation as a 'republican' grew out of his opposition to the growing influence of the Crown, his attitude to the American war of Independance and his attitude to the French Revolution. He was a Whig in politics but belonged to what Mukherjee terms a group of Whig extremists ! "A staunch Whig", he took his stand on the Constitution and the democratic achievements of the Revolution (1688).

He was closely associated with a number of famous Whig families ; he worked in the household of the Earl of Spencer as tutor to his son Lord Althorp, and their friendship was preserved to the end of Jones's life. His life with the Spencers introduced him to the wider circle of Whig politicians and sympathizers. He was the friend of Jonathan Shipley, the Whig Bishop of St. Asaph and his son William, Dean of St. Asaph, and finally married the Bishop's eldest daughter. He was a friend of Edmund Burke, whom he helped with advice and information for the campaign for the East India Bill. He was a friend of Fox, Sheridan and Wilkes, for whose nomination he wrote a speech which he did not give, but which carries some of his most pronounced republican ideas[13]. He did not always see eye to eye with leading Whig politicians. Some were "too aristocratical for his taste". Their behaviour in office was often distasteful to his ideals of integrity and disinterestedness. His friendship with Burke came to an end when Jones refused to take sides in the impeachment of Hastings, and because of Burke's downright condemnation of the French Revolution[14]. Robert Walpole's description of Jones as "a staunch Whig, but very wrong-headed" aptly describes the attitude of Jones' friends. Jones was far too independant in character and opinions to suit practising politicians, whether Whig or Tory. He derived many of his political sentiments from the Classics. Like many of his enlightened contemporaries he was a firm believer in "Nature and Reason" His conception of liberty, say, or government was natural in the sense that it lent itself to rational induction and could be traced to antiquity, to the precedents of Greece and Rome. Even his admiration for Oriental poetry was partly derived from what he considered the freedom

---

13. Sir William Jones. *A Speech on The Nomination of Candidates to Represent the County of Middllesex, IX September, MDCCLXXX.* pp. 43—60 of *Legal Mode of Suppressing Riots, With A Constitutional Plan of Future Defense,* 2nd ed. London, MDCCLXXXII.

14. cf Garland Cannon, "Sir William Jones and Edmund Burke", ed. cit.

ted Biography" quotes the evidence of a "celebrated Divine" who objected strongly to the biography on this head :

> The late Dr. Paley animadverted with some severity on the very unsatisfactory account of Sir William Jones' political conduct and sentiments, which is given by his biographer, Lord Teignmouth :— 'He was a great Republican when I first knew him', Said Dr. Paley, alluding to a period when the accomplished barrister was distinguishing himself by his writings in defence of civil liberty, and by his exertions to procure some important reforms in the British Constitution. 'The principles which he then avowed so decidedly, he certainly never afterwards disclaimed ; and his sentiments on questions of great public importance, ought neither to be extenuated nor withheld' [10].

Based on the outhority of Jones' contemporaries the author firmly asserts that Jones "... might justly be deemed a republican, in the literal acceptance of the term".

Even Prof. Arberry seemed anxious to acquit the orientalist of what he regarded as "a serious charge" that of republicanism !

> The sum total of the forgoing evidence when collated with other of Jones's letters and writings, adds up to a verdict of NOT GUILTY [!] on the charge of being a republican in the literal sense of the term. Jones took his stand first and last on the Constitution. The Constitution envisaged a monarch as well as his subjects ... [11].

S.N. Mukherjee following the same line, takes the adjective 'republican' currently used by Jones's contemporaries in the old and rather rare meaning, cited by the *New Oxford Dictionary*, "One attached to the interests of the commonwealth or community" "... in the eighteenth century, republicanism did not exclude monarchy", he argues, "To most, the term 'republic' meant the body politic as such, and not a form of government"[12]. Dr. Johnson, however, should be the best judge as to the exact meaning of the term when used in the eighteenth century : "One who thinks a commonwealth without monarchy the best government".

---

10. *Annual Biography ...*, p. 445, n.
11. "New Light ... ", p. 678.
12. S. N. Mukherjee, *op. cit*, p. 49.

an active worker in the Abolition movement for religious rather than political motives, Lord Teignmouth was far too anxious "to make of his hero a prophet of Clapham evangelicalism, and to metigate the harshness of his uncompromising politics"[5]. Jones is now recognised as "an advanced democrat, for his time a bit of a 'radical'"[6]. The celebration of Jones' Bicentenary in 1946, was the occasion for a number of publications, rectifying the rather insipid and far from satisfactory image given by his biographer. The late Prof. Arberry who did so much to draw the attention of modern scholars to the importance of William Jones, was the first to draw our attention to the discontent of some of Jones' contemporaries at the misrepresentation of his character and opinions in Lord Teignmouth's *Memoir*. A "Neglected Biography"[7] of Sir William Jones, published anonymously in 1817 argued that a proper biography of such a great man had still to be written, for,

> ... although the political principles of the late lamented Judge constituted one of the principal features of his character ; yet they are only slightly mentioned in some instances, while in others, they are either wholly omitted or suppressed, as if his noble biographer had been ashamed of opinions that tallied so little with the times in which he himself wrote [8].

Jones himself had complained of the growing complacency towards the powers of the Crown. He wrote to his old pupil, Lord Althorp on 4th September, 1780, "Numberless causes are now conspiring to make a love of pure monarchy the prevailing passion of this country ; and when that growing disposition, which I perceive everywhere, shall have produced the fruit, which I expect ... " he would spend the rest of his life in America [9]. It did produce the fruit he expected and his biography is an instance of the unpopularity, even among those close to him, of Jones' political beliefs and ideas. The author of the "Neglec-

5. A. J. Arberry, "New Light on Sir William Jones", *Bulletin of SOAS*, XI (1946), 673.

6. Franklin Egerton, *op. cit.* p, 234.

7. *The Annual Biograph and Obituary, for the Year 1817*. vol. I, London, 1817, p. 476.

8. Ibid, p. 444—5, n.

9. Passage omitted from the letter published in vol. I of *Works* (1807), and printed in "New Light on Sir William Jones", p. 676.

publication of his collected works was first undertaken by his widow[2], who entrusted the task of editing the letters and writing the biography of Sir William Jones to one who was far from qualified for it. John Shore, Lord Teignmouth had been a friend of Sir William Jones in India, and had succeeded him as President of the Asiatic Society of Bengal, devoting nis first Discourse to the Society to the achievement of Sir William Jones as its founder and the major contributor to its work[3]. Lord Teignmouth was a very religious man who devoted many years of his retirement to the work of the Bible Society. At the time when he was engaged in editing the letters and compiling the biography of Sir William Jones, he was a resident of "the holy village" of Clapham ; the dedication of the *Memoir* to Lady Jones is dated from Clapham, 1804. He had, according to his son, long wished to find a place of residence in the neighbourhood sanctified by the Thornotons, the Wilberforces and other members of the Clapham Sect. He had very little to say on many of his friend's literary productions and seems to have been bewildered by the alien qualities of Oriental literature. A flagrant example is Jones' translation of the *Muallaqat* (1782), which earned him the praise of orientalists and of enlightened contemporaries like Gibbon. The work is dismissed with a few noncommital sentences :

> The poems present us with a curious specimen of the manners of the natives of Arabia, and on this account must be particularly interesting to those who consider the study of human nature in all its varieties, as an instructive subject of contemplation[4].

Dr. Johnson once described Jones as "one of the most enlightened of the sons of men". His works testify to the truth of the Doctor's description, and fortunately they have been preserved, whatever the private opinions of his biographer, since the majority had been printed several times in Jones' life-time. On the other hand, the *Memoir* of his Life and the editing of his *Letters* have been the subject of repeated criticism.

One aspect of Jones' character, and consequently of his work, was systematically distorted by his biographer. A conformist himself, and

2. *The Works of Sir William Jones.* ed. Lady Jones, 6 vols. London, 1799.

3. cf *Memoir of Life and Correspondence of John, Lord Teignmouth.* By his Son, 2 vols. London, 1843.

4. Sir William Jones, *Works, with the Life of the Author* by Lord Teignmouth, 13 vols. London, 1807, I, 401.

THE REPUBLICAN IDEAS OF SIR WILLIAM JONES (1746—1794)

By

FATMA MOUSSA-MAHMOUD

(PH. D. LONDON)

Sir William Jones (1946—1794), "the father of British orientalism", was a man of extraordinary talents, who contributed much to a number of apparently unrelated fields of work and study. He acquired an early reputation as a poet, a brilliant oreintalist and a polyglot linguist. He made his mark as a jurist in England. Upon his appointment to the Supreme Court in Calcutta, he turned his attention to Indian studies. He founded the Asiatic Society of Bengal in 1784 and contributed extensively to its meatings and publications for the first decade of its history. He hoped to crown his career in India with a work worthy of "the Justinian of India", *i. e.* editing and translating the major classical works of Muslim and Hindu jurisprudence, for the use of European administrators in the East. One of "the dictates of both reason and nature", Jones believed, was that the Indians should be governed by their own laws.

His sudden death at the age of 48 laid the responsibility of collecting his numerous works on relatives and friends, who could not be expected to appreciate such a wide variety of interests [1]. The

1. cf the present author, *Sir William Jones and The Romantics.* Cairo, 1962 ; G. H. Cannon, *Oriental Jones.* London, 1964 ; S. N. Mukherjee, *Sir William Jones : A Study in Eighteenth Century Attitudes to India.* Cambridge, 1968 ; R. M. Hewitt, "Harmonious Jones" *Essays and Studies,* XXVII (1942), 43-59 ; *Bulletin of The School of Oriental and African Studies* (SOAS). London University, XI (1946) for a number of papers on various aspects of his work, to mark his Bicentenary ; *Proceedings of the Sir William Jones Bicentenary Conference, Held at University College, Oxford,* 1946. London, Royal India Society ; *Sir William Jones : Bicentenary of His Birth Commemoration Volume, 1746-1946.* Calcutta, Royal Asiatic Society of Bengal, 1948 ; Garland Cannon, "Sir William Jones and Edmund Burke", *Modern Philology,* LIV (Feb. 1957), 165-186 ; — "Sir William Jones and Dr. Johnson's Literary Club", *Modern Philology,* XXXII (Aug. 1965), 20—37 ; Franklin Egerton, "Sir William Jones : 1746—1794", *Journal of the American Oriental Society,* vol. 66 (1946), 230—239.

5. Compare Karl Bühler, Sprachtheorie, Jena 1934, Page 27 ff. — Bühler's model of the linguistic sign additionally demonstrates one fact : In each communicative action all three dimensions of the sign basically work together. Everytime something is being told, the sender expresses himself as well. and the utterance is each time a signal for the receiver too. Only the relative importance of the three dimensins of the sign in the utterance vanes.

6. M. Black, The Labyrinth of Language, New York. 1969, Page 139. distinguishes in the same manner between the expressive, the presentative, and the dynamic aspects of an utterance

7. Compare W. Schmidt, Deutsche Sprachkunde, Berlin 1968, Page 52. — W. Schmidt, Lexikalische und aktuelle Bedeutung. Ein Beitrag zur Theorie der Wortbedeutung, Berlin 1967.

8. Compare H. Hörmann, Psychologie der Sprache, Berlin 1967, Page 357.

9. In the same manner—though expressed by means of another terminology — the Kleine Enzyklopädie «Die deutsche Sprache» Vol. I, Page 528 f. distinquishes within the meaning of the word between the intellectual quintessence. the secondary ideas and the associated emotions. — Compare also W. M. Boguslawski, Ubungen zur Logik, Berlin 1954. Page 7.

10. Compare G. Klaus, Die Macht des Wortes. Page 65.

11. Compare Vance Packard, The Hidden Persuaders. 1957.

12. M. Black, The Labyrinth of Language, Page 131.

13. Ibid. Page 131.

14. W. Hartung, Report at the linguistic conference of the Pedagogical University Potsdam in October 1969.

15. J. J. Rousseau, Emile ou de l'Education, Volume 1, 1. book.

16. Compare Fonagy — Magdics, Emotional Patterns in Intonation and Music, in Zeitschrift für Phonetik, Sprachwissenschaft und Kommunikationsforschung, Berlin 1963, Page 293—326.

17. After Kleine Enzyklopädie «Die deutsche Sprache», Leipzig 1970. Volume 2. Page 997.

18. M. Black, The Labyrinth of Language, Page 135.

19. Compare E. Albrecht, Philosophische Probleme in der Sprachwissenschaft, «Deutsch als Fremdsprache», Leipzig 1970, Number 3, Page 149.

20. We do not want to refer to such «words» as *ach, ah, äh, ätsch, au, ei, ih. oh, uh, na, hm, brr, hu, haha, aha, nanu* etc. These interjections — as linguistic means for the expression of emotions —form the transition from he prosodic to the lexical means. They are a primary and immediate expression of emotions. They are signs as long as they signal the speaker's emotions to the hearer. Their concrete meaning however is various and depends on the communicative situation. The same sequence of the sound therefore may vary in meaning. Consequently, *ah* may express joy, lamentotion, regret or rejection of a suggestion.

21. W. Fleischer. Wortbildung der deutschen Gegenwartssprache, Leipzig 1969, Page 167.

22. Compare W. Fleischer, Stilistische Aspekte der Wortbildung, in «Deutsch als Fremdsprache», Leipzig 1969, Number 4, Page 277 f.

23. Kleine Enzyklopädie «Die deutsche Sprache», Vol. II, Page 998.

24. Ibid.

Dr. Günther Hänse

V.—Our analysis has demonstrated the relation between language and emotions, which is not only theoretically interesting but also of great necessity for the practical use of the language. Therefore the speaker should know why and in what circumstances any particular expression is emotionally charged. He should also know how to use the emotional linguistic entities appropriately in speech.

The adequate use of emotional linguistic entities is generally not difficult for the native speaker. He becomes familiar with the language ; he learns to use linguistic entities in different situations ; and soon he is in possession of a high degree of linguistic competence — also regarding the linguistic resources for emotionality.

But the foreigner, learning a foreign language, has first to be made conscious of the emotional linguistic resources of the language he is learning. Yet if modern language teaching and practical experience in the use of the foreign language work as one it might and should be possible to overcome the difficulties in unterstanding and using the emotional resources of a foreign language within a short time.

Dr. Günther Hänse

Annotations

1. Compare Georg Klaus, Die Macht des Wortes, Berlin 1969.—Georg Ferdinand Meier, Wirksamkeit der Sprache, in : Zeitschrift für Phonetik, Sprachwissenschaft und Kommunikations-forschung, Berlin 1969, Pages 474—492.
   Wilhelm Schmidt und Hanna Harnisch, Zum linguistischen Aspekt der pragmatischen Kategorien, Wissenschaftliche Zeitschrift der Universität Rostock, 1969, Pages 513—523.

2. Compare Philosophisches Wörterbuch, Berlin, Volume I, Pages 273, 392.—S. L. Rubinstein, Grundlagen der allgemeinen Psychologie, Berlin 1959, Page 571.

3. The examples demonstrate the polarity existing in the sphere of emotions. Emotions have a positive or a negative character. The basic polarity which forms the basis of the couples of opposite emotions mentioned, is the opposition between what is pleasant and what is not.
   Naturally this is not the only possibility of discerning emotions. Emotions may be of different qualities and intensities. For instance we may distinguish-regarding the polar opposition between tension and relaxation-between intense pain and calm pain, excited joy and calm joy. The emotion of jealousy, compromising hate and love, proves that polar emotions may form new units.

   Compare H. Bober, Die Rolle des Affektiv-Emotionalen im Erkenntnisprozess, in : Deutsche Zeitschrift für Philosophie, Berlin 1965, Page 960, too.

4. Compare Kleine Enzyklopädie «Die deutsche Sprache», Leipzig 1969, Vol. I, Page 25 f.

infinitives used for challenges (*Aufgepasst !*, *Aufpassen !*) are morphological means of challenge too. The exclamations also have emotional components : *Wir grüssen die Gäste der Leipziger Messe !* According to the rules dealing with the structure of sentences with emotional function, the so-called expressive position plays a great role in German sentences. The expressive position is a divergence from the typical structure of sentences used in neutral speach. In this type of speech «the information proceeds from the known to the unknown», that is, «the parts of the sentence are arranged in such a manner, that the part with the most important communicative power is transferred to the end of the sentence if possible» : [22] *Ich habe dieser Firma schon dreimal geschrieben.* The most important part of the communicative contents of this sentence is the transmitter's hint to the fact that he has already written to the firm three times. In a steadily spoken utterance the most important part stands at the end of the sentence.

«In a state of irritation however the flow of steady speech is often interrupted. The intensified urge to express oneself does not allow a normal development of the utterance proceeding from the known to the unknown. In such sentences the tendency to immediate utterance of the communicatively important parts dominates. These are put at the beginning of the sentence — into expressive position — therefore, and are principally stressed» [23] : *Geschrieben habe ich dieser Firma schon dreimal, doch geantwortet hat sie immer noch nicht !*

Finally the socalled syntactical figures belong to the grammatical means which the linguistic system contains for the utterance of emotions. We have to remember such combinations of words like the rhetorical question, repetition, syntactical tautology, the anapher und epipher, the climax and anticlimax and the other so-called rhetorical figures. Such special combinations of words are not seldom in emotive speech. They help the speaker who is emotionally disturbed to stress specific parts of his utterance. They express connotations and enable him to signallize emotions. The grammatical means for uttering emotions mentioned above are parts of the resources of expressive speech which are found in all kinds of emotionally emphasized speeches — as well as in poetry and in everyday speech. These grammatical means are actually based on a divergence from the norm of neutral speech ; but they are, however, socially fixed, codified and can therefore be learnt by foreigners too.

b) The lexical entities mentioned above already have emotional meaning components as elements of the langue. Besides them, there are still words with connotations existing only in a definite linguistic context or in a certain situation. Therefore many words which are seldom or never emotional, may acquire strong emotional components, if used metaphorically. See the sentences : *Der Puppenspieler handhabte die Marionetten meisterhaft. Die imperialistischen Kolonialmächte fanden immer wieder einheimische Marionetten, die ihrem Willen bedingungslos gehorchten.* In the first sentence *Marionetten* contains no emotional connotations. In the second sentence *Marionetten* utters a strong emotional valuation in relation to the referent imagined. Such a word as *Marionette* does not contain emotional meaning components as an element of the lexicon. Its emotionality is developed in suitable conditions in a text. The same case can be easily seen in the headline of an item dealing critically with colonialism : *Volkswiderstand gegen Marionetten.* The same is applicable to the headline *Gegen alte und neue Kolonialhyänen.* An emotional metaphor for the *nazism* is the *brown pestilence.* Such an emotional metaphor may be a complete sentence too. The sentence *Die braune Bestie setzte zum Sprung auf Polen an* mentioned in an item dealing with the invasion of Hitlerite fascist armies of Poland in 1939, is therefore a very strong emotional metaphor for the emotionally neutral utterance *Der faschistische Staat bereitete den Überfall vor.*

The emotional power of such metaphorical utterances is generally the more powerful the less usual the metaphors are. The fact that the unusual things are more effective than the usual ones is also applied to the use of emotional metaphors. The divergence from the norm is an essential means of emotional expression.

3. The emotional power of an utterance not only depends on its intonation and on the words it consists of. Grammatical means participate in the emotional power of utterances too. Syntactical and morphological means for the expression of challenges mainly belong to this group. Challenges are mostly parts of an effective speech and therefore symptoms and signals of emotions too. Consequently, imperative sentences (*Komm Her ! Bleib stehen* !) are very often means of emotional expression. Sentences as *Kommst Du her ! Willst Du herkommen* ! formed according to the pattern of alternative questions have very strong emotional meaning components. The subjunctive phrases (*Möge er doch herkommen !*) and the perfect participles and

mensch, Gazette — Zeitung. Both words in each case signify the same referent. They differ by the existence of connotations in the meaning of the synonyms first mentioned.

We can state the same from the emotional expressions of negation : *nimmer, in keiner Weise, nicht eine Zeile (er hat mir nicht eine Zeile geschrieben)*, etc. They differ from the words *nicht* and *kein* which are objective, by the existence of emotional meaning components. Sentences with hyperbolic intensity adverbs also belong to this group : *schrecklich heiss, entsetzlich müde, furchtbar langweilig, sich ungeheuer anstrengen, durch und durch korrupt.* In these examples the intensity adverbs *schrecklich, entsetzlich, furchtbar, ungeheuer, durch und durch* in their meaning get near to the semantics of the word *sehr.* Yet they differ from *sehr* by their emotional coloration. By the same token we have to evaluate such hyperboles as the following : *Das habe ich Dir schon tausendmal gesagt, ein Meer von Tränen, eine Welt von Gedanken, Berge von Heften korrigieren* etc.

Such emotional words are mainly found in colloquial speech. The emotionally excited speaker prefers them to their emotionally neutral equivalents.

Within the lexical entities with stable emotional meaning components special types of word formations take an important place. Thus the diminutives do not by any means utter only a diminuition.

Let us compare : *Ländchen — kleines Land, Städtchen — kleine Stadt, Tälchen — kleines Tal, Wölkchen — kleine Wolke, Summchen — kleine Summe, Männchen — kleiner Mann, Häschen — kleiner Hase.* The diminutives formed with the suffix «*chen*» utter emotional connotations in addition to the denotative meaning «smallness» as well [20]. The pejorative nouns with the affixes *Ge—* + *—e* (*das Geregne, Geschreibe, Gesinge, Getanze, Gelaufe*) or with the suffix *—erei* (*die Schreiberei, Singerei, Lauferei, Tanzerei*) have an emotional connotation too.

But such types of word formation with emotional coloration are not suitable for each context. Thus the diminutives with *—chen* mentioned above are hardly suitable within neutral-scientific contexts, and the pejorative types of word-formation above mentioned are to be used only in colloquial speech [21].

Such intonatoric ways of uttering emotions may be represented, if spoken sentences are noted down, by graphic signs : exclamation mark, question mark, dash, certain ways of printing letters as signs of an particular intonation.

2. The intonation of an utterance may tell us about the speaker's emotional state ; but yet it does not state anything about the referent itself. The listener at first knows the causes of the emotions through the words and verbal sequences, to which the prosodic attributes of the language are bound. For he interprets the emotions, signalled by the prosodic attributes, on the basis of the words and verbal sequences composing the utterance (9). Words and their combinations into sentences are the basis for the uttering and the producing of emotions.

Words and verbal sequences may also utter the transmitter's emotions to the referent in their written form — that is without the hearable prosodic characteristics of the oral communication. This is clearly demonstrated in the examples above mentioned.

The following survey indicates how manifold the stock of lexical means, containing emotional components, is.

a) In each language there is a large stock of lexical entities which are already emotionally charged as elements of the langue. That means that they have a stabilized emotional meaning component. To this group the words mentioned above *Geregne, Mond, Profit* belong. The emotional compounds in these words are as stable as the intellect notion is. Consequently the emotional components are present, if the word is uttered in isolation — without any verbal context. Such emotional components belong to the linguistic system (the langue) and have to be looked at as emotional meaning components within a lexicographical explanation of the word. Here we have to mention the large stock of words, with which referents man has an emotional evaluating relation because of ethical motives : *Vaterland, Heimat Frieden, Heldentum, Patriot, Kameradschaft, Ruhm, Ehre Kühnheit, Verrat, Feigheit, Imperialismus, Knechtschaft, Kolonialismus, Dummheit, Dummkopf, verlogen, schwätzen etc.* including the words derived from them. This group also includes words which are emotionally strong expressive synonyms in comparison with emotionally neutral or less relation because of ethical motives : *Vaterland, Heimat, Frieden, schaftsbande — Freundschaft, Skribent — Schreiber, Renegat — Abtrünniger, Visage — Gesicht, Journaille — Journalist, Bestie — Un-*

IV.—Up till now we have proved the ability of the language to express emotions. Meanwhile we have restricted our studies to prove the existence of the emotional components of the meaning of the *word*. But the signalizing of emotions is not only affected by the lexical entities of the language, but also by the entities of other partial systems of the language.

Principally in signalizing emotions all linguistic entities forming an utterance work together. Now we will try to describe in a survey the groups of linguistic entities taking part in the signalisation of emotions.

1. To begin with there are — if we disregard gestures and mimic signals — prosodic means announcing the speakers emotions. Diderot and Rousseau already referred to the fact, that psychical experiences may be expressed by intonation qualities of a certain utterance. Rousseau wrote in his novel «Emile au de l'Education» (15) : «The tone is the soul of the utterance ; the tone expresses emotion and truth». From such intonatoric attributes of an utterance as the height, the length and the intensity of the tone, the sound volume, the timbre of the voice, the tempo of utterances, pauses, stress etc., we may recognize which feeling the utterance expresses, and therefore how it should be understood

Thus the listener understands and interprets an utterance in a certain way. This is explained by such comments as «He sounded irritated, he seemed angry, nervous or full of happiness».

The prosodic attributes of an utterance correspond directly to the speaker's affective condition. They have physiological causes and serve to discharge emotion. Every emotion is uttered in a special arrangement of the intonatoric means. The connection of particular prosodic means with particular emotions is not limited to a definite linguistic community. Members of different linguistic communities utter the same emotions by the same prosodic means. «Therefore the listener, even not being master of a foreign language, may feel the emotional contents of the sentences through the tone» (17).

Consequently, prosodic means are not only a sign of emotions (although they can be considered as such by the conversation partner), the truth is that they are also ways of being emotionally excited (18).

component of the word *profit*. This is, why a trade journal addressing businessmen, advises its readers : *Instead of saying profit and loss account say income account. Instead of saying profits say income* or *earning* [13].

These examples demonstrate the importance of research into connotations for the practical use of language. Briefly we can state the following : There are lingustic entities, which transmit objective information, express the transmitter's emotions and cause a certain emotional state in the receiver. The communicative efficiency of these linguistic entities is not limited to the materialization of abstract ideas ; it also includes emotional components.

5. So far in our explanations of the emotional components of linguistic entities we have not taken into consideration a necessary distinction. Not every emotional linguistic entity expresses or provokes emotions which are the same for everyone, be it in quality or in quantity. It depends upon the speaker's sociological position which emotional meaning components he attaches to a linguistic entity. The emotional meaning components however are not the same for all members of the linguistic community.

Bearing this in mind we may divide the emotional meaning components of linguistic entities into three groups. There are emotional meaning components :

a) Which are the same for all members of the linguistic community.

b) Which are only the same for special groups of the linguistic community.

c) Which are only valid for certain individuals [14].

It can be clearly seen that the word *Mond* for instance has the same emotional meaning components for the majority of the linguistic community (silence, longing, dreaminess). We also notice that certain components are valid for special social groups or individuals. Therefore the word *Mond* has certainly a different emotional atmosphere for the social groups of the astronomers or astronauts than for the majority of the linguistic community. And special emotional meaning components will also be caused for some astronauts by their individual experiences associated with their journey to the moon.

emotions associated with the word «Mond» consist of silence, longing and dreaminess. 8) Goethe portrayed these emotions in his poem *«Lied an den Mond»*.

Therefore the meaning of a word is composed of three main components : the intellectual contents, the secondary associations and an emotional atmosphere. 9)

4. Modern research on the meaning of words differentiates between the denotative and the connotative meaning. The denotative meaning is the intellect contents of the word, while the connotative meaning consists-according to Erdmann's terminology-of the secondary associations and of the emotional contents of the word.

The American semiologist C. Morris deals at length in his book «Signs, Language and Behavior» (New York 1955) with these connotations. The words, which imply by their connotative components a certain evalution of the objects designated, are called by Morris appraisors [(10)].

Selection of suitable appraisors takes the first place in advertising [(11)], which has to use linguistic means known for their strong positive connotations. Textbooks on advertising present many exam-- ples proving this fact.

Such pragmatic reflections do not only exist in advertising. They are a principle everywhere applied, where linguistic means are selected according to their influence on the receiver. This is demonstrated by such a common humorous example as in choosing different synonymous verbs according to their contexts in the three following sentences : *Animals sweat, men perspire, women glow* [(12)]. The verbs *sweat, perspire* and the contextual synonym *glow* refer to the same referent, but differ as far as the connotations are concerned. Because of the negative connotations in the verb *sweat,* we choose the verb *perspire* in connection with *men* and we prefer the euphemistic term *glow* in connection with *women.*

The emotional coloration supplies a regular motive for euphemism when conventionally unpleasant subjects are in question. Let us compare the words *profit, income* and *earning*. They refer to the same referent and are equal in their objective meaning. The semantic difference between the three words is caused by the negative emotional

about the referent of the utterance, and also express the emotional relation | TRANSMITTER | — | REFERENT | and produce the emotional relation | RECEIVER | — | REFERENT | [6].

3. From the point of view of a semasiologist, the German linguist Otto Erdmann has studied the relation between language and emotions. His aim was the exact description of the meaning of words. The starting-point of his reflections was the question : What is the meaning of a word and of which parts is it composed ? In his research on «Die Bedeutung des Wortes» (Leipzig 1925) he found the meaning of a word to be a whole, consisting of three components :

— the intellectual contents.

— the secondary associations

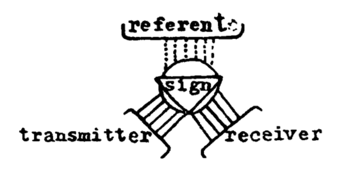
— the emotional contents.

The intellectual contents is the most important part of the work's meaning, it forms its base. The intellectual contents consists of the sum of the general and essential characteristics of an object or a phenomenon of reality, or — as the case may be — of a class of objects or phenomena of reality. For instance the meaning of the word «Mond» consists of the following components : celestial body, orbiting around the earth, reflecting of the sun's light, lightening a part of our nights.

The secondary associations are defined by O. Erdmann as the impressions associated with the basic idea of the word. The secondary associations are caused in the form of subjective pictures of the object or of the phenomenon through immediate sensual perception. For instance the secondary associations of the word «*Mond*» are as follows : The moon's surface bears a slight resemblance to human face, the moon waxes and wanes, and the moon rises and sets.

O. Erdmann defines the emotional contents of a word by the emotions and mood a word expresses or produces, i. e. «the different nuances of pleasure and depression, consent and refusal, appreciation and distain a word may signalize in addition to its intellectual contents»[7]. The emotional contents is closely related to the secondary associations of the word and is aften their immediate consequence. The

2. Karl Bühler, a German psychologist in the first decades of the 20th century, has referred to the capacities of linguistic signs for informing about the referent as well as expressing the emotions of the transmitter and causing these same emotions in the receiver. Bühler describes in his organon-model of the linguistic sign the relations, in which the word stands as a basic element in communication. Starting with Plato's sentence «Language is a mean and an organism, by which one may inform another about certain facts» Bühler refers to the three—sided linguistic sign and designs the following diagram :



In this diagram the circle in the centre symbolises the concrete sound phenomenon of the word. The word is a sign based on the three following relations :

— It is a symbol in its relation to the referent, which it represents.

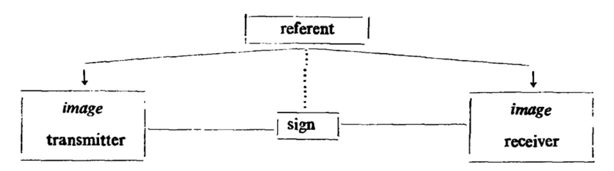
— It is a symptom in its dependence on the transmitter expressing his inner condition.

— It is signal by virtue of its appeal to the receiver whose behaviour it steers [5].

Regarding the emotional components of the sign, the relations TRANSMITTER — SIGN and SIGN — RECEIVER are significant among the three relations of Bühler's conception of sign. For the relation TRANSMITTER — SIGN includes the expression of the transmitter's émotions as well. And the possibility of evoking the receiver's emotions is based on the relation SIGN — RECEIVER (the signal function). Therefore Bühler's diagram of the sign already implies the following : The linguistic sign may tell objective facts

In connection with this we have to mention the following : A direct relation exists between the transmitter and the linguistic sign produced by him. For he has selected it out of the sum of the linguistic available means — out of his competence — and he has realized it acoustically by the means of his organs of speech. In most cases the receiver understands the linguistic sign and thus direct relation exists between him and the linguistic sign.

But no direct relation exists between the sign and the referent. For this relation includes both partners of the conversation, in whose consciousness the referent is reflected. Our model of communication takes this into consideration by demonstrating both partners reflecting the refent as well as being transmitter and receiver. Consequently the relations between the four elements of communication are illustrated in the following diagram [4] :



«Es regnet» («It rains») is an objective neutral utterance. Comparison between the following utterances shows that these utterances contain other information as well. They express also the transmitter's relation to the fact of being raining.

(1) *Ah, Regen !* (*Ah, rains !*)

(2) *Endlich Regen !* (*Rain at last !*)

(3) *Gott sei Dank, es regnet !* (*Thanks heaven, it is raining !*)

(4) *Immer noch Regen !* (*Still raining !*)

(5) *Furchtbar, dieser Regen !* (*Horrible, this rain !*)

(6) *Dieses verdammte Geregne !* (*This damned rain !*)

These utterances express also the transmitter's immediate relation to the rain — that is a certain emotion. In the utterances (1) — (3) it is pleasure because it is raining, in the utterances (4) — (6) it is disgust. The utterances are capable of transmitting emotions to the receiver and of exerting the same effects on him.

to the object [2]. Neuro-physiologically speaking emotions are processes based on hormones and secretions, i.e. on the sources of irritation of the human body. Essential emotions are pleasure, depression, delight, sorrow, happiness, grief, love, hate, courage, fear, pride, enthusiasm, jealousy e.t.c. They may be caused by a certain situation (happiness because of a success, being proud of a certain deed ; they also can be of a complex character (pride of the native land, love for our own country e.t.c.) [3].

Emotions are fundamental elements of psychic experiences and therefore relatively autonomous. But they are closely related to the perceptions, imagination and thoughts, because they are reactions to these factors and thus causally related to them. they are closely related with human behaviour too. Emotions play an essential part in bringing about man's needs, and they constitute the motives for his behavior. Thus they form stimuli causing man's reaction to his natural and social environments. Finally emotions lead to the change and development of these environments.

III.—It concerns us in this context an easy noticeable fact, that emotions may be expressed through language. Because of this linguistics have to deal with the problem, of how language can signalize emotions. Before dealing with this question, we will explain the basic situation of human daily linguistic communication by a simple example.

1. Two men — A and B — are sitting together in a room. A looking through the window, perceives that it rains. He speaks to B : *«It's raining»*. B, hearing that, looks through the window too. From this we deduce the following model of the communication : The basic communicative situation is the conversation between two persons. The transmitter A tells the receiver B a fact, using linguistic means. He sends out sound waves, which are understood by the receiver as linguistic signs with a certain meaning. We have to add to the three above mentioned elements of the conversation (TRANSMITTER — LINGUISTIC SIGN — RECEIVER) the emotional words. This is demonstrated by the word pairs : *Freund-* REFERENT as the fourth element. It is a nonlinguistic phenomenon, but it is symbolised by the linguistic sign.

LANGUAGE AND EMOTIONS

By

Dr. GÜNTHER HÄNSE

I.—Since the beginning of modern mass media the linguistic communication has reached great dimensions. Due to this fact the problems of the efficiency of the language are being researched more and more. Philosophy, psychology, sociology and linguistics each participate in exploring the efficiency of linguistic signs on human thinking, feeling and behaviour and in exploring the function of language in steering the individual and the society [1]. A special scientific branch, pragmatics, deals especially with the efficiency of language.

An important point regarding the efficiency of the language is — without doubt — the question of the relation between language and emotions. It has been perceived for a long time and proved as well in practise, that linguistic signs can express as well as provoke emotions. Unfortunately grammar books, dictionaries and manuals for the learning of foreign languages have paid little attention to this point up till now. There are no systematic representations of linguistic entities with components of emotional meaning with the exception of some research papers dealing with the emotionality of single texts — mostly parts of poetic works. Here is an important task for the linguistic research in the future. We will now try to explain in an introductory survey some of the problems concerning the relation between language and emotions. The examples are derived from the German language essentially ; but they can be chosen from any other language as well. For the relation between language and emotions is in principall the same in every language.

II.—Emotions are basic phenomena of human existence. Psychology defines them as the subjective means of the individual's reaction to the object of his experience, i.e. his perceptions, imagination and thoughts. The emotions therefore are a relation of man's attitude to the world — to all he sees, thinks or does — in the form of immediate experience. Emotions express the subject's condition and its attitude

Reviews of *Erewnon* and *Erewhon Revisited*

Erewhon (1971) :

Echo, No. 1039 (9 April '72), p. 2.
Pall Mall Gazette (12 April '72), pp. 1373-4.
[Collyer], *Athenaeum*, No. 2321 (20 April '72), p. 492.
Saturday Review, XXXIII (20 April '72), p. 507-8.
[R. H. Hutton], "The New Gulliver", *Spectator*, LXV (20 April '72), pp. 492--4.
Daily News (22 April '72), p. 2.
Examiner, No. 3352 (27 April '72), pp. 432-4.
Sidney Colvin, *Fortnightly Review*, N. S. Vol. XI (May '72), pp. 609-10.
Vanity Fair, Vol. VII (4 May '72), p. 140.
Scotsman (17 May '72), p. 3.
[Miss E. M. A. Savage], *Drawing Room Gazette* (8 June '72), p. 11.
British Quarterly Review, Vol. LVI (July '72), pp. 261-3.
R. S. Copleston, *Academy*, Vol. III (1 Aug. '72), pp. 282-3.
Annual Register (1872), Vol. II, pp. 282-3.

Erewhon, Revised Edition and *Erewhon Revisited* (1901) :

Clarence Rook, "A Son of Hudibras", *Daily Chronicle* (9 Oct. '01), p. 3.
Times (9 Oct. '01), p. 5.
Academy, *Announcement* of publication, Vol. XVI (12 Oct. '01, p. 332.
[R. Steele and editor : Vernon Rendall], "*Erewhon :* New & Revised", *Athenaeum*, No. 3860 (19 Oct. '01), p. 517--8.

Literary World, Vol. LXIV (25 Oct. '01), p. 294.
A. T. Quiller-Couch, *Daily News* (30 Oct. '01), p. 8.
"A Miracle in Utopia" *Academy*, Vol. LXI (9 Nov. '01), pp. 424-6.
Guardian (13 Nov. '01), p. 1585.
"A Modern Gulliver", *Outlook*, Vol. VII (30 Nov. '01), p. 600.
T. E. Page, "Erewhon After Thirty Years", *Bookman*, Vol. XXI (Dec. '01), pp. 86-7.

Edith Sichel, *Monthly Review*, Vol. VI (Jan '02), pp. 14-6.
A. J. Church, *Spectator*, Vol. LXXXVIII (8 Feb. '02), p. 23.

Relevant Articles on Samuel Butler :

L. E. Holt, "Samuel Butler and his Victorian Critics" *Journal of English Literary History* Vol. VII (1941), pp. 146-59.

"Samuel Butler's Rise to Fame", *PMLA*, Vol. LVII (1942), pp. 86-78.
"E. M. Forster and Samuel Butler", *PMLA*, Vol. LXI (1946), pp. 804-19.

"Samuel Butler Centenary", *TLS* (6 May '60), p. 289.

man's religious inconsistencies from an attack upon the essentials of Christianity".[99] This was sufficient reason not only to give offence to many contemporaries but also to impair the universality of the satire. Only as a humorous fantasy could *Erewhon Revisited* be unreservedly praised, even by its defenders.[100]

---

(99) *Daily News* (30 Oct. 1901), p. 8.

(100) When the editor of the *Athenaeum* chose, as we have already pointed out, to add a final paragraph to the review of the two *Erewhons* in defence of Butler, he wrote :

> It requires a great deal of courage to write a humorous book, much more a humorous fantasy, although such presentment seems the only way in which a large number of persons can be reached. That Mr. Butler had this courage we are glad, and we may add that the persons who stamp a man's other works as fantastic or subject to ridicule because he has written a book of humour or fantasy are as stupid as they are inconsiderable. They are irritating, but they really do not matter (*Athenaeum*, 19 Oct. 1901, p. 518).

Butler himself was satisfied with the reception of *Erewhon*, and he did not aim solely at the intellectuals, a fact which is often overlooked by critics. In a letter to Longman in connection with the publication of *Erewhon Revisited*, he wrote these emphatic words: "I must aim at the general public whom I really do wish to please".[96] Later when the two *Erewhons* were out, he at least twice in his private (unpublished) correspondence described their reception as "excellent".[97]

Despite its strongly intellectual quality, *Erewhon*, like most successful utopian novels, possessed sufficient popular appeal to recommend it to many a common reader. The narrative framework with its tale of adventure and love interest, the picturesque setting of the new world and its handsome inhabitants who are likeable despite their intellectual and moral "perversions", are all part of the utopian tradition. The double nature of the utopian novel as an intellectual medium which has to be entertaining in order to be effective is as well represented in *Erewhon* and *The Coming Race* as in more recent examples like *Brave New World* and *Nineteen Eighty-Four*. Jowett's remark to Butler: "You know how heartily we all laughed over your *Erewhon* -- and moreover there was a great deal of truth in that book",[98] aptly describes the nature of the utopian novel. It entertains and stimulates thought, but it does not always make people laugh. More often it thrills them by revealing the horror of the shape of things to come, and occasionally bores them by presenting a picture of ideal but static perfection which, it is hoped, will never be realised.

Unlike *Erewhon*, *Erewhon Revisited* entertained some of its early critics and shocked others, but it failed to achieve a permanent success. As a sequel it was bound to lack originality and power, but it also had other faults. The irony is too obvious and purposeful, the theme unpleasant and the tone decidedly less reverent. As Quiller-Couch has put it, Butler "no longer distinguishes clearly an attack upon

---

(96) Unpublished letter from which Butler quotes in a letter to H. F. Jones, *Memoir*, Vol. II, p. 339. The whole letter can be seen in M. S. in the British Museum collection of Butler Correspondence.

(97) Unpublished Letters to Signora Bonafede (30 Oct. 1901), and to G. S. Cassi (11 Nov. 1901), British Museum, M. S., General Correspondence, Vol. XV, p. 117 and 188.

(98) *Samuel Butler's Notebooks* (1951), p. 36.

a best-seller. Novels of this intellectual character very rarely do. But it does not seem to have been too intellectual to reach a non-intellectual reading public. The little statistical information available would rather indicate that, shocking and intellectual as it was, it did reach a fairly wide public. We already know how quickly the first two editions sold and that between 1872 and 1890, it went through eight editions. The Revised Edition sold 480 copies between 9 Oct. and 31 Dec. 1901, which the publisher considered "very satisfactory".(92) In 1908 A. C. Fifield issued a New Popular Edition of Bulter's works, of which there were 12 reprints of *Erewhon* to 11 reprints of the much newer *Way of All Flesh,* between 1908 and 1920. The Harkness Bibliography lists no less than thirty nine editions up to 1945.(93) The compiler draws special notice to the repeated republication of *Erewhon :*

> It took on a new lease of life after Butler's death ; and in the twenties and thirties was republished in a great variety of formats, some elaborately illustrated, with introductions by distinguished critics. It has appeared in many 'library series', was translated into French, German, and Italian, and twice translated into Spanish. There is also a Braille version. (94)

The number of editions alone can be taken as a sufficient indication that there must have been a fairly wide demand for the book. That such a popular edition as Penguin should sell 40,000 copies between 1935 and 1959, in spite of there having been intervals when it was not available,(95) would also suggest that *Erewhon had* a market among other than intellectuals.

---

(92) *Memoir,* Vol. II, p. 369.

(93) See S. B. Harkness, *The Career of Samuel Butler, 1835-1902 : A Bibliography* (1955), pp. 32-5.

(94) Ibid., p. 24. See also L. E. Holt, "Samuel Butler up to Date", *English Fiction in Transition,* Vol. III, No. 1 (1960), pp. 17-21.

(95) Information kindly supplied to the present writer by the Penguin Books Sales Manager.

strictly followed. Utopists have, in different measures, taken the liberty to break it. With critics the issue remains an object of controversy.

In *Erewhon*, Butler seems to outrun all his predecessors, but, he did not entirely want for defenders. The *Daily Chronicle* admits that sometimes "it is difficult to decide what was satiric and what was Utopian", but it emphatically protests that this is far from being a fault in method ; "it had the sanction of 'Gulliver's Travels', where the meanness and grossness of mankind are exposed by examples of better things as well as by pitiless representation of the truth".

With a more penetrating insight, critics nowadays perceive and appreciate the complexity of *Erewhon* far better than their predecessors. Ellen Douglass Leyburn writes :

> Often the same comment on *Erewhon* must be applied both by parallel and by reversal, or by a more complicated re-adjustment of viewpoint. This is partly what makes the satire cut so incisively in several directions.[88]

If we agree with her that it is "the element of insoluble dilemma which gives substance to *Erewhon* and makes it deeply disturbing", then we will have admitted that *Erewhon* has fully realised Butler's aim. He sought to shock, disturb and make people think.

Judging by the reviews (and sales) of *Erewhon*, Butler must have reached a large public. With the exception of the *Guardian*, all the periodicals which hazarded a prophecy in 1901, assumed that the novel would be popular with the reading public. In the author's lifetime, it "reached a wide public",[89] and later we are told, Butler "did catch the taste of a substantial public".[90] G. D. H. Cole holds that *Erewbon* was "too shocking to become a best-seller, and also too intellectual to be read except by intellectuals. But among intellectuals it was read quite widely, with a sense of novelty and of a number of caps fitted very neatly to the correct heads".[91] *Erewhon* did not and could not become

---

(88) *Satiric Allegory*, op. cit., p. 97.

(89) *The Essential Samuel Butler*, selected by G. D. H. Cole (1950), p. 11.

(90) G. D. H. Cole, *Samuel Butler* (1952), p. 37.

(91) Ibid., p. 38.

generally used. In one case it figures conspicuously in the title.[87] This seems to indicate that now that the utopian novel is more generally established as a literary form than in 1872, when its rise was still being witnessed, the book is placed in its proper category. Butler is compared not only to Swift, but also to More, Plato and Morris. *Erewhon* is thought by the *Academy,* to deserve "a notable place in the long list of apocalyptic works which stretches from Plato's *Republic* to Campanella's *City of the Sun,* and from Lytton's *Coming Race* to William Morris's *News from Nowhere*". The *Daily Chronicle* remarks that "Butler, like all true satirists, was an idealist as well". In *Erewhon,* "satire and counsels of perfection were mingled".

The difficulty arises when any attempt is made to relate the novel to one of the classified kinds of utopia. Not only does it seem unclassifiable, but it also appears technically faulty. The *Academy,* for example, begins by noting that the conditions of existence in a utopia must stand in some kind of intellectual relationship to those which actually prevail in the real world :

> They may, for instance, hold up an ideal which the writer desires to press upon the attention of the real world. Or they may offer a satirical and exaggerated picture of the follies and inconsistencies of the real world. Or, again, they may caricature in a similar spirit, but with a different intention, the follies and inconsistencies not of the real world but of the reformed world which revolutionaries and dreamers would substitute for it. The *Republic* may stand as a model for the first type of *Utopia,* Swift's *Lilliput* for the second, the Cloud-Cuckoo-Land of Aristophanes for the third.

It proceeds to emphasise that if literary unity is to be maintained, a utopia should belong to the same type throughout. It is the weakness of *Erewhon,* therefore, that it fails to conform to this canon.

It is significant that the *Academy* critic makes one notable omission, More's *Utopia* - another work which does not adhere so closely to his canon. Nor does he realise that "Lilliput" is not such a perfect example of his second type. He seems to overlook the fact that Swift, too, fails to maintain that literary unity, when he changes his technique in the sixth chapter of his famous voyage. Theoretically his canon is quite sound. In practice, however, it is hardly ever

(87) "A Miracle in Utopia", *Academy,* op. cit.,, p. 424.

It is the *Daily News,* however, which makes the best case for the book. Quiller-Couch holds that "the tale keeps its freshness marvellously", although it belongs unmistakably to its period, a time of "brusque individuality" and "waywardness", because "it found its theme, not in the follies of the sixties (which we have exchanged for different follies), but in the roots of human unreason". We are reminded of Swift's letter to Des Fontaines, in which he wrote that "an author who writes only for a single town, a province, a kingdom or even a century, deserves little to be translated or even read".(84)

Butler does not attain the full height of the giants of satire, but much of his work "remains surprisingly relevant".(85) Much of his criticism of the treatment of crime, of education and of religious complacency might have lost its edge, but his satire on false reasoning or the power of convention is just as relevant now as it was in the seventies.

In the later, as in the early reviews, Butler is congratulated on the felicity of his satire on the topsy-turvy attitude towards crime and disease, as well as on the Musical Banks. Like "The Book of the Machines", the two additional chapters containing "The Views of an Erewhonian Prophet on the Rights of Animals" and "Concerning the Rights of Vegetables", were a stumbling block to most reviewers. They carry the argument of the original treatise more than one step further and should therefore help the reader to understand it better, but they lack the originality of the earlier chapter. All three parts, however, bear the stamp of a powerful intellect. Only discerning critics like Quiller-Couch could perceive that "as a tour de force in wit they can searcely be excelled". To most others their superb reasoning was a closed book.

The most debated question in the later reviews was the "utopian point of view". It should be noted, in the first place, that in the 1872 reviews, *Erewhon* was generally described as an allegory, an allegorical romance, a 'jeu d'esprit', a fable, or,, most frequently, a satire. Only twice was the new world described in the book referred to as a "Utopia"(86) In the later reviews, the word "Utopia" is more

(84) *The Correspondence of Jonathan Swift,* D. D., ed. F. E. Ball (1910), Vol. III, p. 407.

(85) James Sutherland, *English Satire* (Cambridge, 1958), p. 103.

(86) In the *Athenaeum,* op. cit., p. 492 and the *British Quarterly Review,* op. cit., p. 261.

The 1901 reviews are, on the whole, more understanding and appreciative in tone, and more analytical in method. *Erewhon* is treated as a long-established work which is "now more understood and more appreciated than it was" before.[77] The *Athenaeum* supposed readers to be already acquainted with it. "If not, they should be", it emphatically declares in a fairly representative review. With the exception of the *Spectator's* and *Guardian's* all the other reviews were highly favourable. Both the *Athenaeum* and the *Academy* show a marked change in their estimate of the book.

Several reviews began by recalling the immediate and favourable impression *Erewhon* had made in 1872. The *Times* states that Butler, "then a young and unknown writer, surprised and captivated the literary world with his whimsical apologue".[78] The *Daily Chronicle* notes on the same day that "It is close upon thirty years since the world was first delighted with 'Erewhon' and perceived that a new satirist had arisen".[79] In the *Daily News*, A. T. Quiller-Couch explains that *Erewhon* "made what in those days was called a sensation".[80] Even the *Guardian* which represents Butler's unrelenting detractors refers to the "immediate and extraordinay success" the book met with, though it goes on to add that the cause of its original popularity - the boldness of conception - will possibly be the cause of its failure to-day".[81] Such a prophecey could not, however, alter the fate of *Erewhon*. Its original popularity suffered no eclipse. On the contrary it steadily mounted thenceforth.

Most reviewers agreed that *Erewhon* survived chiefly on account of its pungent yet kindly satire. The *Athenaeum* points out that "As a criticism of life it has passed beyond the author's control". The *Monthly Review* remarks that Butler "has something to say and he says it - with sincerity, with simplicity, with considerable subtlety".[82] The *Literary World* claims that the success of the book "consists mainly in the originality of Mr. Butler's aim, an originality so striking and so invulnerable that it has sufficed to defend *Erewhon* from the flattering attentions of plagiarists".[83]

---

(77) *Athenaeum*, No. 3860 (19 Oct. 1901), p. 518.

(78) *Times* (9 Oct. 1901), p. 5.

(79) *Daily Chronicle* (9 Oct. 1901), p. 3.

(80) *Daily News* (30 Oct. 1901), p. 8.

(81) *Guardian* (13 Nov. 1901), p. 1585.

(82) *Monthly Review*, Vol. VI (Jan. 1902), p. 14.

(83) *Literary World*, N. S. Vol. LXIV (25 Oct. 1901), p. 294.

This "vein of genuine fun" was an additional attraction of *Erewhon*. The point is a favourite one with reviewers. A novel is nearly always recommended, if it is thought entertaining as well as instructive. The old Aristotelian axiom seems to hold sway particularly where the utopian novel is concerned. In this case, the book was expected to have a wide appeal, despite its philosophic or satiric content. Contrary to George Meredith's early opinion, *Erewhon* was thought to contain enough "genuine fun", "comedy", and "amusement" to attract many a reader to some good purpose. "Not a few who will be drawn to the book for amusement only will find concealed under the mask of comedy not a little wholesome truth and wisdom".(73)

It seems reasonable to claim now that *Erewhon* was warmly received. The unstinted praise of the *Examiner*, the *Drawing-Room Gazette*, *Vanity Fair*, the *Echo* and the *Scotsman*, together with the predominantly favourable reviews of the *Spectator* and *Daily News* more than make up for the mixed reception of the *Saturday*, the *Athenaeum* and the *Academy*.

Moreover *Erewhon* continued to be faveurably referred to by reviewers of later utopian novels throughout the seventies. In 1875 it was still talked about as "the finest book that had been written for years".(74) In 1883 Miss Savage sent Butler an article which showed that *Erewhon* had taken "a good root".(75) Above all the reception of the Revised Edition at the beginning of the new century shows very clearly that its success was by no means short-lived. *Erewhon* was to be an immediate as well as a lasting success, because it owed its success neither to its anonymity nor to its association with *The Coming Race* or its author but to its intrinsic merit.

The 1901 reception of the Revised Edition of *Erewhon* (76) is of particular interest because it throws light on the literary merit of the novel as seen nearly thirty years after its publication, as well as on its place in the utopian tradition.

(73) *Examiner*, op. cit., p. 434.
(74) Miss Savage to Butler, 27 March 1875, *Letters*, p. 104.
(75) 19 July 1883, Ibid., p. 292.
(76) The revisions consist of the elimination of what the author calls "literary inelegancies" and the addition of about sixty pages, "*invita Minerva*", so as to secure a new lease of life for the copyright (See preface to the Revised Edition). The additions vary from sentences here and there to a number of paragraphs at the end of chapters (e.g. five paragraphs at the end of Chapter XV, one paragraph at the end of Chapter XVI and three at the end of XVII), besides two new chapters on the "Rights of Animals" and the "Rights of Vegetables" (XXVI and XXVII). For a detailed account of these revisions see L. E. Holt, "Samuel Bultler's Revisions of *Erewhon*", *Papers of the Bibliographical Society of America*, Vol. XXXVIII (1944), pp. 22-28.

One of the most popular themes of the book was the Erewhonian topsy-turvy attitude towards crime and disease. The inversion of Victorian notions drew considerable notice and discussion in the reviews. An almost perfect example of "visualised satire", it was praised because it was "described at great length and with considerable power of grave and subtle satire" and was "illustrated by many ludicrous details".[67]

"The Book of the Machines" was either highly praised or unequivocally damned. It was described as "one of the cleverest elements in the satire", "skilful beyond measure"[68] and "an ingenious speculation"[69] by some reviewers, and as a "long, elaborate, and ... foolish treatise"[70] by others. Its primary design of showing the danger of argument by false analogy was lost on most reviewers. Only such perceptive critics as R. H. Hutton realised its full significance. A few others read in it a warning to a machine-ridden age.

On the whole it was those critics who recognised the power of *Erewhon,* who had no illusions about its proper place in the literary scale of values. Though it was seen to belong essentially to the same literary kind as *Gulliver's Travels,* "it falls rather short of that remarkable book", wrote the *Examiner:*

> It is too abstract, too thickly studied [sic] with argumentative expostulations, and not sufficiently transmuted into the concrete forms of daily life to rival the world-wide reputation of Swift's satire; but as an example of the same kind of work, it may hold an almost equally high place among those whose previous reading prepares them for the topics of the book.[71]

The *Scotsman* claimed that there "will be a general agreement that *Erewhon* should take a prominent place after Swift". It enthusiastically claims that "There are passages in it of great power, and the satire is throughout pungent. ... There is not a page that has not point, sparkle, humour, and satire". Its final judgement is that such a book "cannot be read and put dwon; it affords abundant material for thought; and it is none the less valuable that a vein of genuine fun runs through it".[72]

---

(67) Ibid., pp. 261-2.
(68) *Spectator,* op. cit., p. 494.
(69) *Academy,* op. cit., p. 283.
(70) *British Quarterly Review,* op. cit., p. 262.
(71) *Examiner,* op. cit., p. 432.
(72) *Scotsman,* op. cit., p. 3.

The *Daily News* commends the "circumstantial and Defoe-like minuteness",[61] with which the author describes the customs and the appearance of the inhabitants. The *Fortnightly Review* remarks that compared with *The Coming Race, Erewhon* is "in truth the more original book of the two".[62] Though well aware of its "faults", the reviewer readily praises its merits. He criticises the story for its lack of structure and unity, which he thinks the author could have easily remedied if he had taken the pains : "The various threads of parable and satire seem to have little to do with one another, and the result is an impression of plenty of good points in detail, but no particular point on the whole".(Few critics at this early stage could perceive that the book was closely held together by the author's satiric treatment of his numerous themes. However, they were sufficiently impressed by its "satiric power", "unmistakable ingenuity" and "humorous vividness" as to forgive what they considered its structural faults. The general feeling seems to have been, "It is a pity that he could not give more time and pains to get structure and coherency into the fabric in which he has interwoven [his inventions], and picturesqueness".[64]

A significant proof of the success of *Erewhon* is that it was almost as highly thought of by some of those critics who frankly disapproved of its views as by those who were willing to defend or agree with them. The *Echo* critic, for example, thinks it his duty to point out that "the author is what it is the fashion to call an 'advanced thinker', of an extreme type", and that "his views lead him sometimes into decided unfairness - as, for instance, in the chapter on Birth-Formulae, which is meant as a sneer on Baptism".[65] But he goes on to add, "Of the ability displayed in the book, there can, however be no question". This reviewer, was, in fact, one of the few writers who in comparing *Erewhon* to *The Coming Race,* as early as April 1872, fearlessly claimed that it was "in every way far superior to that rather tedious volume". The *British Quarterly,* a staunch defender of religion, also conceded that the representation of the national bank was "a very clever satire" and that some of the author's strokes were "just and salutary".[66]

---

(61) *Daily News* (22 April 1872), p. 2.

(62) *Fortnightly Review,* N. S. Vol. XI (1 May 1872), p. 609.

(63) Ibid., p. 610.

(64) Ibid.

(65) *Echo* (9 April 1872), p. 2.

(66) *British Quarterly Review,* Vol. LVI (July 1872), p. 262.

The whole controversy proves that the utopian novel, which is essentially a novel of ideas, is apt to be judged by other than literary standards. Current beliefs and prejudices have frequently influenced the critical appreciation of such novels. *Erewhon* suggests that when there is real merit it can surmount such beliefs and prejudices. Yet reviews like the *Spectator's* indicate that not all the author's satiric power could completely reconcile the critics to the satiric implications of his book. It will be noticed from a study of other reviews that the author's most fervent admirers could not help writing rather apologetically of his misdirected satirical powers.

In one of the most laudatory reviews of *Erewhon,* Miss Savage writes :

> It is a satire sharp and caustic enough, but tempered throughout by fun so irresistible that we laugh while we wince, and even when we might think the author's satirical powers misdirected we feel disposed to forgive.(58)

She remarks that there are passages in the book that "could make Molière writhe with envy", and in a final attempt to justify the satire she adds that it is enough that the lash of the author's fiercely falls on so many of our religious hypocrisies and unrealities".(59)

The *Vanity Fair* review also runs along these lines. It is appreciative but also cautiously defensive. The reviewer writes :

> Whatever one may think of the satire the book is extremely well written, the imaginative parts are fresh, the descriptions well painted, and the sentiment tasteful and even those who would dislike its attacks on our religious institutions would find, should they repose to examine their consciences on this point, a great deal they would be sorry not to have read".(60)

Such reviewers realised the bad impression the author's attacks on religion would create, but they were willing to throw in their weight in his defence. Others discreetly avoided the religious satire and concentrated almost entirely on the more literary aspects of the book, where they found a great deal to praise.

---

(58) *Drawing Room Gazette* (8 June 1872). Reprinted in the *Memoir,* Vol. II, pp. 439-42. Reference to p. 439.

(59) Ibid., p. 442.

(60) *Vanity Fair,* Vol. VII (4 May 1872), p. 140.

The later *Spectator* review certainly marks a change of attitude towards the author of *Erewhon*. In the interval between the publication of the novel and its sequel, Butler had made himself notorious by openly attacking both religion and Darwin. Moreover *Erewhon Revisited* was such a direct satire on Christian doctrine that it would be correct to assume that the *Spectator's* change of attitude was produced by other than literary considerations. Indeed no one at first disputed Hutton's generous praise of the author's "very remarkable literary power", of the "skilful" account of the adventures of the narrator of the fable, the "graphic minuteness" with which it is told and which "lends a good deal of external interest to the satire", the well-directed attack on the churches, and the account of "The Book of the Machines", "one of the cleverest elements in the satire".[57]

In a letter to the editor, Butler stated that although he had described the early review as favourable, he did not endorse everything in its four columns. "On the contrary, I disliked extremely the passages quoted by your reviewer in your issue of February 8th". He then takes the reviewer to task :
Your reviewer does not say that his predecessor in 1872 had also written as follows :

What the author of 'Erewhon' seems to want to impress upon his readers is ... the wisdom of quietly taking your notions of what is best from the society round you. In one page the author confesses that the high Ydgrunites - i. e., the higher worshippers of Ydgrun (Mrs. Grundy ... have got about as far as it is in the right nature of man to go,' - a judgement which he only modifies by saying that they ought to speak out more clearly what they think. Of course this too might be veiled satire ; but if it is, the book is without definite drift - which no one who reads it carefully - will readily believe.

Butler's own comment is :

I should hope not. The above passage comes to this that my "object" and "intention" was sufficiently plain, - viz., to uphold the current conscience of man's best peers as his safest moral guide. I intended this, intend it, and, I trust shall intend it. What sane man will uphold any other guidance as generally safer, - *exceptis*, of course, *excipiendis* ?

He adds that his "object" and "intention" having been clearly and correctly expressed, he disregarded the subsequent passage quoted in the later issue, "as merely a reviewer's parting kick, and as rendered comparatively harmless by the fuller one had gone before", " 'Erewhon' and the 'Spectator' ", *Spectator*, Vol. LXXXVIII, 15 Feb. 1902, p. 253).

(57) *Spectator*, Vol. XLV (20 April 1872), p. 492, 3 and 4.

It would be hard to match, or undermine, such praise, from such a quarter. No wonder Butler thought the review sold a few copies of the book.

Hutton's criticism of *Erewhon* is particularly important because he was one of the few contemporary critics who showed a thorough understanding of the fundamental object of the book as well as of its satiric machinery. He begins by drawing an objective comparison between Swift and the author of *Erewhon* :

> While Swift ... in his voyage to the country of Houyn-hyms [sic] and voyage to Laputa, directed his satire chiefly against the vices of man and the degeneration of human manners and intellect ... the author of "Erewhon", on the other hand, directs all the force of his satire not against the practical life of men as they are, but against the morality and the religion of men and the higher workings of their intellect. His satire is at bottom a philosophical attack veiled in fable, on the prevalent notions of human responsibility, on the personal forms of human faith, and on the capacity for intel-lectual perversions.(55)

Then he underlines the latter writer's exalted object :

> His object, - if, as we feel no doubt, the book *has* an object beyond the fanciful exhibition of a topsy-turvy sort of moral and intellectual world, - is to make men blush not for what they do, but for what they think and feel, and not for what they think and feel in their lowest, but in their highest moods.

In 1902 this review became an object of controversy between Butler and the *Spectator*. Butler described it as "favourable" in the Preface to the Revised Edition, only to find himself contradicted by the *Spectator* which alleged in the course of a review of *Erewhon Revisited* that it was "anything but favourable".(56)

---

(55) Ibid., pp. 492—3.

(56) Professor A. J. Church. "Erewhon Revisited Twenty Years Later", *Spectator*, Vol. LXXXVIII (8 Feb. 1902), p. 223.

Ignoring the best part of what Hutton had written, the later reviewer quoted the last sentence as indicating the tone of the whole review : "If any one will accept the implied satiric teaching of the book, he will find himself intellec-tually and morally 'nowhere' - i. e. in Erewhon - when he has done". *(cont.)*

> The Erewhonians worship the goddess Ydgrun, who differs in no way, except in the arrangement of the letters, from Mrs. Grundy; indeed, by an amusing slip, the name is once printed Grundy.[53] They profess an attachment, which they do not feel, to certain institutions, of which no definite conception is presented to the reader, called "musical banks" ; these are, in plain English, churches, and their "cashiers" are ministers of religion. The Erewhonians subject their children to what is called the "birth formula": under this *alias* the usual arguments against infant baptism are adduced. They worship personifications of justice, strength, etc: by this device the belief in the personality of God is somewhat feebly satirised.

Though other critics might agree with the *Academy* critic that the imaginative quality of *Erewhon* is rather slight, they would certainly dispute his view that its satiric content is "commonplace". Nor would many readers support his final judgement that "here and there we meet a poor joke, or a bit of doubtful Latin, but it is a dull book throughout". Many worthy contemporaries expressed very different views.

The unfavourable reviews have been deliberately discussed first, because it is my object to show that despite its faults, which the critics magnified, *Erewhon* was, in fact, warmly received.

The *Spectator* for example, reviewed it in a sub-leader, nearly four columns long, under the complimentary title of "The New Gulliver". The editor himself, R. H. Hutton, is known to have written the article and he spoke very highly of the book and its author. R. H. Hutton went straight to the point, when he began by dealing with its satirical power :

> It is obvious that we have amongst us a satirist of very remarkable literary power, as well as of a very cynical turn of mind. Since the days of Swift nothing has been written abler in its peculiar way, & certainly nothing more thoroughly bitter and contemptous in its drift, than the little book called "Erewhon: or, Over the Range".[54]

---

(53) This occurs on p. 143 of the first edition. The mistake was rectified in later editions.

(54) *Spectator*, Vol. XIV (20 April 1872), p. 492.

of definite imagination which give reality". The land of Erewhon is too familiar and indefinite. "In short, the fiction is so slight that, instead of stimulating interest it overlays the satire with an irritating vagueness".[52] The *Academy* rightly points out that to make such "jeu d'esprit" effective, "a writer must have, not only satiric power but also a vivid and accurate imagination".[53]

Butler's new world lacks at times the vivid imaginative quality which is essential to the utopian novel. The satiric power seems to supersede the vivid imagination. In the first chapters of *Erewhon*, where the "raconteur" has full play, the vivid imagination is very much in evidence, as many reviewers were quick to note. The description of the narrator's adventures on his journey to Erewhon is both vivid and fresh. Once in the new world, however, the satirist takes over, often to the discomfiture of the artist. After the vivid introductory description of Erewhon and the Erewhonians, the picturesque country, its handsome inhabitants and the first scenes in which the topsy-turvydom of the new world is established, the imaginative quality of the novel begins to dwindle. This becomes particularly noticeable when the author somewhat impatiently takes to alternating narrative chapters with chapters of straight information on "Current Opinions", "Birth Formulae" or "The World of the Unborn". As a result the Erewhonians tend to lose their distinctive individuality and become mere shadaws of the Victorians. The *Academy* picks its illustrations with ease from the bulk of Erewhonio-Victorian equivalents :

---

(52) The imaginative effort needed for the creation of the new world has been rather debatable since Dr. Johnson made his famous remark as regards *Gulliver's Travels* : "When once you have thought of big men and little men, it is very easy to do the rest *(Boswell's Life of Johnson*, ed. G. B. Hill and L. P. Powell, Oxford, 1934, Vol. II, p. 319).

Though the remark seems to exaggerate only one aspect of the imaginative process, the invention of a new pattern, it is difficult to believe that Johnson was unaware of the equal importance of the ability to give the new pattern concretion and detail as well as to sustain its plausibility and interest, particularly in the light of the rest of what he thought of *Gulliver's Travels*. He was evidently praising Swift's supreme power of visualising the smallest detail of his imaginary world, when he "allowed very great merit to the inventory of articles found in the pockets of the Man Mountain, particularly the description of his watch, which it was conjectured to be his God, as he consulted it upon all occasions". This is exactly where *Gulliver's Travels* is so much greater - in the sense that it is much more convincing and pleasing - than any other satire of the kind, and where *Erewhon* falls rather short of the best.

something else, it must have enough resemblance to let us know what is signified as well as enough resemblance to engage us imaginatively.[49]

It is in the interrelations of the two levels of meaning, or what Ellen Douglass Leyburn describes as "tenor" and "vehicle" that the peculiar interest of allegory consists :

> There must be likeness enough to make the reader feel that the use of the one to stand for the other is legitimate, and also to guarantee that the elect will perceive the hidden meaning. The riddle which is never guessed, is no pleasure even to the propounder.[50]

This is an excellent plea for clarity, but it is not to be forgotten that too much clarity will spoil the "specific allegorical pleasure", which consists in "engaging both the imagination and the intellect".

Butler puzzled his readers not merely by the interaction of "vehicle" and "tenor" but by the multiplicity of levels on which they interacted. The relationship between the Victorians and the Erewhonians was too complex for them. The 1872 reviewers were, therefore, mostly satisfied with pointing out the difficulty and deploring what they thought to be the ineffectiveness of the satiric allegory. It was in the 1901 reviews that the critics came to grips with this technical aspect of *Erewhon.*

The *British Quarterly Review's* criticism of this aspect of the book is typical of early critical opinion. Representing the extreme right, it compares *Erewhon* unfavourably with *The Coming Race,* which in contrast, is found almost worthy of Swift. It admits that *Erewhon* is "very able" and that "there are in it some charming bits of description and some clever individual hits" but "the effect of the whole is disappointing, where it is not unintelligible".[51]

The third major attack on *Erewhon* was launched by the *Academy,* and conducted on purely literary grounds. The *Academy* objects chiefly to the lack of vivid and accurate imagination in the book. The invention is said to be "slight" and to want "those touches

---

(49) Ellen Douglass Leyburn. *Satiric Allegory : Mirror of Man* (New Haven, 1956), p. 6.

(50) *British Quarterly Review,* Vol. LVI (July 1872), p. 261.

(51) *Academy,* Vol. III (1 Aug. 1872), p. 282.

as the review of the Revised Edition testifies.[47] The early review shows that highly sound as the *Athenaeum* criticism generally was, it was not infallible.

The *Saturday Review* doubted whether any very intelligible moral was to be derived from the general notion of substituting physical for moral diseases, adding :

> Considered as mere play of fancy and a whimsical upsetting of old associations, such as may take place in Looking-Glass Land or other similar regions, it is quaint and amusing enough; and some of the consequences are worked out with considerable ingenuity. We have a suspicion, however, that the author intends to be profoundly satirical.[48]

The *Saturday Review* attitude of accepting the book as "a mere play of fancy" and refusing to consider it as a profound satire is typical of many periodicals, towards the utopian novel at this early stage. In this case the *Saturday* refuses to be drawn into the regions of the author's positivist attacks on religion - an indication that he is treading dangerous ground. Instead it makes an attempt to criticise the book safely from a literary point of view. It declares that there are "a good many ingenious remarks and caustic hints" in it, but "elsewhere it degenerates into somewhat commonplace and easy satire; and on the whole the allegory seems to be rather too far-fetched and complicated to have the desired brilliancy of effect".

The *Saturday* was not the only periodical to complain of the difficulty of the satire. Not only Butler's detractors but also some of his admirers were puzzled by the complexity of his satire. The question of how difficult satire can be without losing its effectiveness is an interesting one. According to an expert, the first criterion of a sound allegory is this :

> The surface level should be clear and interesting on its own plane ; but since its reason for being is its illuminating

---

(47) Indeed the *Athenaeum* was so eager to praise Butler in 1901 that the editor deemed it necessary to add a final eulogistic paragraph to the highly favourable review already written by the reviewer. According to the marked file of the periodical the review was written by R. Steele except the last paragraph which is marked "Editor".

(48) *Saturday Review*, XXXIII (20 April 1872), p. 508.

In the periodicals, discussion of *Erewhon* took various directions. The *Athenaeum* began its attack on the book by criticising its form and ended by condemning what is evidently the main cause of its objections; its attacks in "Revelation and Christianity". In the reviewer's opinion :

> Nothing is so dangerous as the attempt to write an allegory of any length ; for of those who do attempt it few are able by the charm of their style to make their readers overlook the inconsistencies which this style of writing can hardly escape.[45]

The author of *Erewhon* is seen to have failed in this difficult undertaking. *Erewhon* is condemned as "a slovenly result" and many inconsistencies are detected. No doubt these are partly the result of the reviewer's own misinterpretation of the satiric argument. The final judgement is thus vicious and hardly merited :

> The author is evidently far more in his element when sheep-farming in Australia, or exploring snowy mountains, than when he attempts to revolutionise sociology or theology ; even when he has "got hold of the right end of the stick" we had rather see it out of his hands, for he does not know what to do with it, and to his attacks on Revelation and Christianity we fancy the most convinced materialist would say, *non tali auxilie.*

Butler was evidently right when, years later, he complained that the *Athenaeum* "attacked *Erewhon* savagely"[46] when it first appeared. There is, perhaps no better evidence of the intrinsic merit of the novel than its survival after such bitter attacks. The *Athenaeum* itself later relented and completely changed its attitude towards *Erewhon*

That there was a new (third) edition in July 1872 after the announcement of the author's name may be taken as an indication that demand did not entirely cease, nor drop so sharply.

In the periodicals no evidence of a change of attitude can be traced because most periodicals had already reviewed the book.

(45) *Athenaeum* (20 April 1872), p. 492.

(46) *Memoir*, Vol. I, p. 49.

The Preface to the Second Edition contains no indication that Butler had Lytton in mind when he was refuting the alleged imitation of the earlier novel. Nor does he mention the matter in his private correspondence, before the author of *The Coming Race* became publicly known. Afterwards, he does mention it, rather proudly, at the first opportunity. In a letter to his sister May, he points out that "the book which *Erewhon* was allowed to have equalled, if not more, was by Lord Lytton".(41) This shows that he was so flattered by the association with the veteran novelist that he would have referred to it before, if it had been possible. The next part of the letter is interesting because it states in the author's own words that the success of his novel was not "indifferent", as it has since been described :

"I thought my father and mother would be proud of my having met with the approbation of the most intelligent classes of my countrymen, and that not in half measure, but in whole measure".

With the reading public, *Erewhon* seems to have been as successful as with the critics. Sales were considerable. The first edition of one thousand copies sold out in a few weeks.(42) So great was the demand that the book had to be set up again. Trübner who did not expect the book to be a great success, had neglected to advise the author to take moulds after the printing of the first edition. He seems to have persistently underestimated the book commercially. When a second thousand was being printed, he did not expect, according to Butler, that a third would be called for. More copies were in fact called for. By July 1873 *Erewhon* had achieved a fifth edition.(43) Yet the number of copies of later editions must have been reduced, for by 1898 when an eighth edition was reached, only 3842 copies had been sold.(44)

---

(41) 24 March 1873, Mrs R. S. Garnett, *Samuel Butler and his Family Relations* (1926), p. 208.

(42) Butler stated that this period was three weeks, but according to Jones it was nearer eight. See *Memoir*, Vol. I, p. 159.

(43) The first edition to bear the author's name.

(44) *Memoir*, Vol. I, p. 155.
Butler asserted that there was a drop in the sales after the announcement of the author's name in the *Athenaeum* and the *Drawing Room Gazette*. The former wrote, "It is said that 'Erewhon' ... is the production of Mr. Butler, who was for some years a settler in New Zealand, and who is tolerably well known in London artistic circles" (22 May, 1872, p. 655). The latter wrote, "Mr. Butler, a gentleman well known in London society, and an artist of some reputation and great promise, is the author of 'Erewhon', the new book which has lately created so much sensation, and has received such favourable notice from the press" (25 May 1872, p. 10).
According to H. F. Jones, the demand fell "90 percent" *(Memoir*, p. 155). Unfortunately there is no way now of verifying this estimate, as the exact sales figures are not available. *(Cont.)*

Butler attributed the unlooked-for success of *Erewhon* "mainly to two early favourable reviews", the *Pall Mall Gazette's* and the *Spectator's* and secondly to its anonymity and the charm of "a new and unhnown voice." Later he amplified this statement by adding that the reviewers "did not know but what the book might have been written by a somebody whom it might turn out very well to have praised". (37) Unfortunately this led to a conjecture which in turn became the basis of the long-established assertion that "*Erewhon* had some temporary success because it was rumoured to be by Lytton". (38) As I have already shown in a previous article, the authorship of *The Coming Race* remained a secret until Lytton's death in January 1873. There were, of course, many conjectures about the possible author of the novel, but there had been no rumours connecting it with Lytton. The disclosure of Lytton's name was a surprise to everyone. (39) Lytton himself attributed the popularity of his own book to its anonymity. Above all no one who knew anything about Lytton could have ascribed such a subversive book as *Erewhon* to him. Moreover, there seems to have been no suggestion in the numerous reviews we have been able to trace that *Erewhon* was rumoured to have been written by the author of *The Coming Race.* It was only thought by one or two reviewers to owe its existence to that book, which probably meant that it was an imitation of it. (40)

---

(37) H. F. Jones, *Samuel Butler, Author of Erewhon, A Memoir* (1920), Vol. I, p. 155. Henceforth this book will be cited as *Memoir.*

(38) E. Baker, *A History of the English Novel*, op. cit., p. 244.
In an attempt to interpret Butler's words, H. F. Jones claims that in writing those words, Butler was thinking of *The Coming Race* and Lord Lytton. He adds that the *Dictionary of National Biography* speaking of the author, Lord Lytton, said that the book made a great success though he kept the authorship secret until his death, or after Butler had announced his authorship of *Erewhon.* "Nevertheless", he concludes, "it is quite likely that Butler was right in supposing that the reviewers of *Erewhon* had Lord Lytton in their minds, for there must have been rumours as to who had written *The Coming Race* long before January 1873 (*Memoir,* op. cit., p. 155).
Later, Jones seems to have been followed not only by Baker but by such scholars as F. N. Furbank, who as late as 1948, writes that "*Erewhon* for a time was attributed to Lytton" (*Samuel Butler,* Cambridge, 1948, p. 83).

(39) See the present writer, "Bulwer Lytton and the Rise of the Utopian Novel", op. cit., pp. 20—23.

(40) The *Daily News*, for example, wrote, "Probably. if 'The Coming Race' had never been written, 'Erewhon' would never have seen the light ; but this in no way detracts from its merits" (22 April 1872, p. 2).

point supplies a unifying factor and holds the book together. In making this remark which is immediately followed by the hope that these "defects" had been in great measure avoided in *Erewhon Revisited,* Butler seems to have been simply making an appeal to the reviewers not to repeat the old senseless criticisms. It is worth insisting that where the utopian novel is concerned neither story nor character is really the point. More important is the quality of the make-believe, the impression of authenticity of the new world, and above all the convincing quality of the utopian content.

Looking back at the reception of *Erewhon,* we note that it was widely and prominently reviewed. In fact, there were so many favourable reviews that Butler inserted extracts from eleven of them in his Second Edition. Besides those there were at least five more.(34) Seven of these reviews, including those of the *Athenaeum, Saturday Review* and the *Spectator,* all authoritative organs of literary opinion, appeared in April or within three weeks of the publication of the book, five during the following month and the rest not long after. In most of them, *Erewhon* was described as "striking", "very remarkable" and "very clever and entertaining." The *Spectator* referred to the author as "the New Gulliver." Although there was a great deal of praise in these reviews, it would be wrong to claim that there was no criticism. The satire on religion and churches was so ruthless and so thinly disguised that it inevitably prejudiced and antagonised some reviewers. (35) A careful study of the early notices will reveal that *Erewhon* had its admirers as well as its detractors. There was a considerable amount of criticism, but praise was preponderant. Two at least of the earliest reviews were strictly unfavourable. Of these two, that of the *Athenaeum* was the most unjustly demolishing. Elsewhere there was more enthusiasm than is generally allowed by critics.

Butler himself was satisfied with the "warm reception" of his book, and Miss Savage talked about the critics setting themselves "to sing his praises in chorus". (36) In the Preface to the Second Edition,

---

(34) See list at the end of this article.

(35) *Erewhon* is known to have shocked and pained Butler's family so much that at Langar, the family home, it was "thought unfit to be seen on the drawing-room table of any happy, united, God-fearing family" (*Memoir,* op. cit., Vol. I, p. 274).

It is even alleged to have caused the death of Butler's mother. (Ibid., Vol. I, p. 18).

(36) 10 March 1873, *Letters,* p. 39.

on which to hang his views, but he also realised the full importance of making it as workable and as convincing as possible. In any case he chose the kind of novel that was most suited to his purpose.

The introductory chapters of *Erewhon* show, beyond a doubt, the importance he attached to the fictional framework of his utopian picture. Butler does not waste more than one fifth of the book in writing a tale of adventure, however superbly he could do it. These chapters, which were thought by some reviewers to be the best part of *Erewhon*, have - besides supplying part of the mildly sensational coating of the intellectual pill - a more important function still. The realistic description of the traveller's adventures, with its "neat dodges to induce belief" is the corner-stone of the utopian picture- a praiseworthy effort to establish "the first lie". Butler invests the account of the utopian journey and the introduction into Erewhon with such a vivid air of reality that nothing which follows seems incredible. "The sheer energy which is communicated in the brisk, matter-of-fact beginning propels the reader straight through to the end",[31] rightly claims a modern critic.

Butler is evidently so aware of the importance of the verisimilitude and credibility of the utopian picture as well as of the best way to achieve them, that when he deems it necessary to change his technique, he stops and explains to the reader the necessity of doing so. Nearly halfway he decides to deviate "from chronological order" so as to convey to the reader an idea of the entire perversion of thought which exists among the extraordinary people" of Erewhon. He will not keep to "a strictly narrative form", or "detail the infinite absurdities" [32] with which he daily comes in contact. Thenceforth, he makes more use of the quicker method of reporting, as the headlines of the chapters indicate : "Malcontents", "The Musical Banks", "The World of the Unborn" and "Birth Formulae."

This change of method does not impair the unity of the book, though it tends to give the impression of a series of rather disconnected treatises. Butler's apology for the lack of literary technique in it is hardly necessary : "There is no central idea underlying 'Erewhon' ... there is hardly any story, and little attempt to give life and individuality to the characters".[33] The utopian or satiric view-

---

(31) Ellen, Douglass Leyburn, *Satiric Allegory* (New Haven, 1956), p. 92.

(32) *Erewhon*, p. 95.

(33) Preface to the Revised Edition (1901), pp. XV-XVI.

"The Book of the Machines", though it proved the most controversial, is perhaps the most powerful part of *Erewhon*. Though essentially a satire on false analogy, it was widely regarded as a satire on the Darwinian Theory of Evolution. It is Butler's attitude towards the machine and machine civilization, however, which is worth noting. Its influence on later utopian novelists has been almost completely overlooked by critics. Except in a passing mention in the course of an article on "E. M. Forster and Samuel Butler", by L. E. Holt, none of the other critics of utopian fiction seems to have perceived this influence. It seems very likely that "The Book of The Machines" supplied the germ of some of H. G. Wells's earlier stories, of the Martians in *The War of the Worlds* and the Grand Lunar in *The First Men in the Moon* as well as of E. M. Forster's almost deified Machine in "The Machine Stops". Wells's all-head and hardly-any-body Martians, who attack the earth and spread terror in the heart of England, seem to be a surprisingly close realisation of the Erewhonian philosopher's fear that "the whole body might become purely rudimentary, the man himself being nothing but soul and mechanism, [an intelligent but passionless principle of mechanical action]." (29) In E. M. Forster's excellent story, the complete subordination of man to the Machine, which is prophesied in *Erewhon* seems to have been fulfilled. Forster himself testified to Butler's influence in his own case. He frankly admits that *Erewhon* influenced him. (30)

Erewhon is often described as badly constructed and loosely thrown in, and Butler accused of using the novel merely as a peg on which to hang his views, regardless of any artistic considerations. This is a view that badly needs revising. Butler was more aware of the artistic requirements of the utopian novel as a literary form than is generally supposed. We have already drawn attention to the effort he put in the reconstruction of his novel, and to which the finished article bears witness. He might have regarded the novel chiefly as a peg

---

(29) *Erewhon*, pp. 221-2. The phrase between brackets was added in the Second Edition, p. 220.

(30) In a B.B.C. series called "Books that influenced Me," Butler chose to discuss *Erewhon*, saying "I do think (quite erroneously that I could have turned out this little skit of *Erewhon* if the idea of it had occurred to me. Which is strong evidence that it has influenced me". He also said. "I like that idea of fantasy, of muddling up the actual and the impossible until the reader isn't sure which is which, and I have sometimes tried to do it when writing myself" *New Statesman and Nation*. N.S. Vol. XXVIII, 15 July, 1944, p. 43.

know where they get that which does them good." (27) However such passages are often "in character" - a mitigating factor.

A glaring exception occurs in his treatment of the Musical Bank officials. The cashiers and managers are aptly described in the Erewhonian idiom : "they lacked, with few exceptions, the true Erewhonian frankness and an equal number from any other class would have looked happier and better men." "When I met them in the streets", the stranger observes, "they did not seem like other people, but had as a general rule, a cramped expression upon their faces which pained and depressed me." (28) The satire retains its power and interest as long as it is conveyed imaginatively, in the framework of the original conception of the Musical Bank and through the eyes of the outside observer. Its quality begins to deteriorate when, letting his own prejudices or grievances intrude into his imaginative picture, Butler begins to say things that sound unmistakably his and not the narrator's. Listen, for example, to his reflection on the hardships and sacrifices of the Musical Banks officials :

> In fact it was a career from which retreat was impossible, and into which young men were generally induced to enter before they could be reasonably expected, considering their training, to have formed any opinions of their own. Few indeed were those who had the courage to insist on seeing both sides of the question before they committed themselves to either. One would have thought that this was an elementary principle, - one of the first things an honourable man would teach his boy to do ; but in practice it was not so. (28)

However interesting such reflections may be in themselves - in this case they are not entirely impartial - they are out of place in an imaginative picture. In the utopian novel which, in a way, is a novel with a purpose, reflection, abstract speculation and axe-grinding constitute a constant menace to the unity and plausibility of the utopian picture. It is a good utopist who never succumbs to the temptation of a short cut to his target. In *Erewhon*, Butler's reflections are generally redeemed by a strong intellectual quality. In the works of intellectually inferior writers the tendency to reflect or speculate becomes manifestly deplorable.

---

(27) *Erewhon*, p. 128.

(28) Ibid., pp. 129—30.

It was to such passages of religious satire, no doubt, that the reviewers took exception. Those written in the true utopian manner were more generally accepted.

The satiric treatment of English Churches under the guise of the Musical Banks was described as original, ingenious and above all effective and salutary. The reason is that having wittily rechristened them as the Musical Banks, in distinction to the other commercial institutions, or in other words, having conceived a new pattern in which to present his object of criticism, Butler proceeds to create it imaginatively. Thin though the imaginative disguise may be, the Musical Banks are vividly and convincingly depicted. In these buildings which are decorated in the most profuse fashion, all mercantile transactions are accompanied by music. They have a "code" which is so complicated that the narrator could never attain a full comprehension of it. They have their own currency which has no direct commercial value in the outside world. The managers and cashiers are not paid, he learns, in their own currency. He is shocked to discover that a verger would not accept a tip in his own coin. To combat the general indifference of the public towards the Banks not only had the Managers put fresh stained-glass windows into all the Banks in the country, repaired the buildings and enlarged the organs, but also the presidents had taken to [riding in omnibuses and] "talking nicely to the people in the streets, and to remembering the ages of their children and giving them things when they were ill".(26)

The choice of detail in the above passage is reminiscent of Dickens's satirical description of the election campaign in *Pickwick Papers*. The wealth of detail assists the writer of a utopian novel to create and maintain the illusion of the imaginary world, which in turn, adds point and interest to the satire. In *Erewhon*, however, such passages are far too rare. Not unlike Dickens at times, though with a much greater frequency and a more shattering effect, Butler throws off the mantle of the artist and puts on that of the preacher. Passages of description and reporting soon give place to "passages of musing" and "passages of commentary". After discussing the indifference of the Erewhonians to the Musical Banks with his hostess, the stranger is made to say, for example. "I could say nothing ; but I have ever been of opinion that the greater part of mankind do on the whole

---

(26) *Erewhon*, p. 126.
The phrase between brackets was added in the Revised Edition.

him into a good man is an illustration. Throughout the passage, it is impossible to avoid the feeling that the narrator is speaking with his tongue in his cheek. Take these lines, for example :

> I used to catechise him by our camp fire, and explain to him the mysteries of the Trinity and of original sin, with which I was myself familiar, having been the grandson of an archdeacon by my mother's side, to say nothing of the fact that my father was a clergyman of the English Church. I was, therefore, sufficiently qualified for the task ; and was the more inclined to it (over and above my real desire to save the unhappy creature from an eternity of torture), by recollecting the promise of St James, that if any one converted a sinner (which Chowbok surely was) he should hide a multitude of sins. I reflected, therefore, that the Conversion of Chowbok might, in some degree, compensate for irregularities and shortcomings in my own previous life, the remembrance of which had been more than once unpleasant to me during my recent experiences. [22]

The next paragraph is even more flippant. The traveller proceeds to say, "I baptized him at once from one of the pannikins (the only vessels I had) reverently, and I trust efficiently".[23] Soon, however, he throws doubt on the efficacy of the operation : "Indeed, on the same night that I baptized him, he tried for the twentieth time to steal the brandy, which made me rather unhappy as to whether I could have baptized him rightly".[24] His reflection on the reward of converting "the ten lost tribes of Israel to a knowledge of the only faith" is no less ironical :

> Here would be indeed an immortal crown of glory : my heart beat fast and furious as I entertained the thought. What a position it would ensure me in the next world ; or perhaps even in this ! What folly it would be to throw such a chance away ! I should rank next to the apostles, if not as high as they - certainly above the minor prophets, and possibly above any Old Testament writer except Moses and Isaiah. For such a future as this I would sacrifice all that I have without a moment's hesitation could I be reasonably assured of it.[25]

---

(22) *Erewhon*, pp. 35-6.

(23) Ibid., p. 36.

(24) Ibid.

(25) Ibid., p. 51.

that in Erewhon illness of any sort is considered highly criminal and immoral, whereas crime is regarded as an ailment to be deplored and sympathised with.[19] The theme is explored in every possible way. Butler reports what the stranger gathers about current opinions only after presenting several dramatic and vivid glimpses of these opinions in action. The stranger recalls the physical fitness and beauty of the Erewhonians and the good impression he created on them by his handsome face and fair hair. He notes that they never asked after his health nor enquired whether he was fatigued with his journey, "but their first question was almost inveriably an enquiry after my temper, the naiveté of which astonished me till I became used to it".[20] Later he witnesses the indulgent attitude towards Mr. Nosnibor and learns about Mahaina's feigned dipsomania.

Butler's wilful turning of things upside down is a clever, though not an entirely new trick. It is his ingenious and ample "rendering" of his theme which is worth noting. It is an aspect of his utopia which is vividly conceived and ably executed. How far it has contributed towards our present, more understanding attitude towards moral ailments, can hardly be estimated with any precision. That Butler at least partly disturbed one Victorian complacency can scarcely be doubted after reading the reviews. George Bernard Shaw has paid Butler the compliment of exhorting us to "diligently read [his] Erewhon [sic], and accustom ourselves to regard crime as pathological, and the criminal as an invalid, curable or incurable".[21]

Another equally successful, though less popular, part of *Erewhon* is Butler's treatment of the Musical Banks. Religious satire is always tricky and Butler has been blamed for assailing a good deal more than the circumstancial follies of religious faith. The traveller in the story is represented as a keen young Anglican, resolved on converting not only his native guide Chowbok, but also the Erewhonians, whom he suspects of being the ten lost tribes of Israel, to the Christian religion. The author, however, makes no serious attempt to conceal his views. From the beginning everything the narrator says seems to carry a double connotation. Things apparently said simply and naively convey a subtle irony which is impossible to ignore. His account of the baptism of Ghowbok and its possible failure to change

---

(19) See *Erewhon*, chapter X.

(20) *Erewhon* (1871), p. 76.

(21) Preface to *English Local Government* by Sidney and Beatrice Webb, in *Prefaces by Bernard Shaw* (1938), p. 308.

who has brains - read it through from end to end twice : beginning again as soon as be had done : he told me it had not fetched him anywhere for want of interest, and I think from his manner that he meant it.[18]

The main point which these verdicts bring out is that *Erewhon* did not drag and did not lack interest. A utopian writer who wants to be read, and by large numbers - which is essentially why the novel is used for utopising - must see that he can interest his readers. Whether by presenting a concrete and plausible new world, by exploiting the eternal love for a story, or by dipping into the unknwn and arousing a thrill of fear and wonder, the utopian novelist must engage the reader's imagination before he can address his mind. Butler was right when, justifiably flattered by the simple praise of his friends, the business man, the artist and the intellectual, he began to see his way to "a few reviews".

Before examining these reviews, it might be helpful to recall the main features of *Erowhon.* In form, it is tale of advenure, a utopian journey, leading into the topsy-turvy land of nowhere or Erewhon. In essence it is a satirical representation of Victorian life and human weaknesses in general.

Butler spares none of the complacencies, foibles or accepted standards of judgement of his contemporaries. Religion, Grundyism, family relations, classical education, intellectual stagnation and scientific fallacies all successively pass through the author's distorting mirror.

One of the most representative as well as the most popular themes of *Erewhon* is the Erewhonian topsy-turvy attitude towards crime and disease. Presented as a sign of the "extraordinary perversions of thought which existed among the Erewhonians", it is rich with implications about the unreasonableness of actual treatment of both sorts of defect in Butler's own world. The wealth of illustrations not only prepares the way for the discovery of what seems to be an unusual perversion, but also suggests the possible illogicality of accepted standards. Like the stranger, the utopian visitor, we are puzzled by Yram's scandalised protests, when he shows signs of having a cold, and by the pathetic condition of Mr. Nosnibor, his host, before and after the visits of his straightener or spiritual doctor. We gradually learn

(18) About April 3rd or 4th, 1872, *Letters,* pp. 24-5.

Trübner's second judgement delighted Butler, as another of his letters to Miss Savage, early in 1872, indicates : "I write a line to say that I have just had from Trübner and Co. a very favourable report of my MS. I could wish nothing handsomer".[13] What the report said nobody seems to know. All efforts to trace it have been fruitless. It would have been interesting to compare it not only with Meredith's report but also with the reviews.

Erewhon was finally published anonymously by Trübner, at the author's own expense, at the end of March 1872.

As the first copies came out and reports from Butler's friends and their friends began to reach Butler's ears, his confidence of the book, of which the only indication so far had been the rather arrogant remark at the end of his Dec. letter to Miss Savage, proportionately mounted :

> Even Pauli [14] who has been the most freezing critic hitherto (in so far as he could be got to listen to a passage here and there) thawed a little as he read : the fact is he is frightened out of his wits about it, and expects my father to cut me off with a shilling, but he dares not say this because he knows I should fly at him if he advised me to let my father's will enter into the matter at all [15].

Apart from showing that the book could thaw such a freezing and practical critic, this ineresting extract from one of Butler's letters foreshadows the impressions *Erewhon* was expected to make in religious circles. It also shows Butler's determination not to compromise, however detrimental to his interests this might prove. In other quarters, however, praise was forthcoming :

> Mr. Heatherley [16] said it did not drag and that it interested him throughout. I lay great stress on Gogin's [17] liking it ; he would not stand being bored beyond reasonable limits. - A friend of Pauli's, one of the proctors this year, read it and satisfied Pauli of his approval handsomely. Giles -

---

(13) *Letters*, p. 22.

(14) Charles Paine Pauli was ex-sub-editor of the *Press* and a friend of Butler's

(15) Probably about Feb. 1st 1872, *Letters*, p. 23.

(16) Thomas Heatherley kept a school of art where Butler studied for some time

(17) Charles Gogin was another of Heatherley's students and, according to H. F. Jones, "one of the very few men who really understood Butler" *(Memoir*, op. cit., Vol. I, p. 139).

of readers,[10] but also by Trübner, who later changed his mind and consented to publish it. A closer examination of the facts of the case will be necessary to show where exactly The *Coming Race* might have influenced the fate of *Erewhon*.

The MS. was first taken to Chapman and Hall on the 1st May 1871. It is not precisely known when Butler took it first to Trübner, but it would not be long after that. Butler's dates for this period are rather uncertain and his acceunt of the publication of the book in the prefaces to the Second and Revised Editions makes no reference to its first rejection by Trübner. In the Preface to the Second Edition all he says is that he took it to a well-known firm of publishers on the 1st May 1871, and left it in their hands for consideration. "I then went abroad, and on learning that the publishers alluded to declined the MS., I left it alone for six or seven months". In the Preface to the Revised Edition he adds that he took it to Trübner and Co. early in 1872 and that it appeared with the last day or two of March 1872. In effect they had the book on 18 Dec. 1781 as Butler informed Miss Savage :

> Trübner and Co. have my book again. They never so much as looked at it before, and said they supposed it was something to do with the contagious diseases act. Now I am to pay their reader a guinae for reading it and giving an opinion: I shall then have the right to bully him and tell him he is a fool if he does not like it. [11]

It is,, therefore certain that their first rejection of it occurred some time between May and December 1871 when *The Coming Race* was still being reviewed. By the end of the year the book was so established that any resemblance to it might have been thought sufficient to launch any other book. I suggest that this might have been the reason why Trübner and Co. changed their mind about *Erewhon*. In the absence of concrete evidence, this can only be a matter of inference. However, considering how Trübner later sought to make use of the popularity of *Erewhon* to launch *Colymbia*, another utopian novel[12], it does not seem unlikely that he should have been influenced in this way be the popularity of *The Coming Race*.

---

(10) See Preface to the Revised Edition.

(11) *Letters*, p. 22.

(12) Butler states that "Trübner got *Colymbia* up as like *Erewhon* as he could — evidently in order to make people think that the book was written by me" (*Letters*, p. 43).

That *Erewhon* was reconstructed from a number of earlier articles for the New Zealand paper, the *Press* is suffuiciently known. [7] What is far less known is the amount of work Butler put in this reconstruction. In fact, he spent a long time on the MS., rewriting, correcting and improving it. His correspondence with Miss Savage during the period extending from about March 1871 to the date of publication of *Erewhon* (March 1872) is almost completely dominated by discussion of the book. After another spell of work on the MS. already submitted to Miss Savage, Butler writes to her : "I have condensed, cut out, transposed, amended, emended, and otherwise improved the MS., but there are a few points about which I am still in doubt, and should be thankful for a little further advice". [8] Butler was an indefatiguable worker. Although he declared once that he wrote his books because they cried to be written and not because he wanted to write them, he took great pains with them. In the case of *Erewhon,* not trusting solely to his own judgement, he repeatedly appealed to Miss Savage for advice.

It is remarkable that in its finshed form, *Erewhon* had so much in common with *The Coming Race.* In form they are almost identical. Butler himself confessed that he was "indeed surprised at the many little points of similarity between the two books, inspite of their entire independence of one another". [9] Any resemblance between the two books was purely accidental, in so far as the circumstances which inspired so many writers, in complete independence of each other, to adopt the same literary form can be called accidental. The few charges of plagiarism in the reviews were completely unwarrented. In addition to Butler's own denial, in the Preface to the Second Edition that he saw the earlier book before he gave his own to the publishers, his correspondence with Miss Savage shows that he had been working on the MS. of *Erewhon* before *The Coming Race* began to be advertised. There may be something, however, in the assertion that *Erewhon* was affected by the success of its predecessor.

Unlike *The Coming Race* which was immediately accepted by Blackwood, *Erewhon* was at first rejected not only by Chapman and Hall, at the too-well-remembered advice of George Meredith that it was a philosophical book, little likely to be popular with a large circle

---

(7) For a full acount see J. J. Jones, *The Cradle of Erewhon* (Austin, University of Texas Press, 1959).

(8) End of April, or first day or two of May, 1871, *Letters*, p. 18.

(9) Preface to the Second Edition, p. vi.

entitled "Samuel Butler and his Victorian Critics", L. E. Holt attempts to show that in his own day Butler was almost universally condemned and that all his works not excepting *Erewhon,* were unfavourably received. He insists that *Erewhon* was not enthusiastically received, despite his awareness of its popularity with the reading public and of Butler's satisfaction with its reception. He maintains that "Compared with the praise and understanding given it since 1900, its first reception was icy cold".(4) Those critics who are willing to allow *Erewhon* a certain measure of success, attribute it to the wrong cause. "*Erewhon* had some temporary success", writes Baker, "because it was rumoured to be by Lytton".(5)

A closer study of the reviews which greeted the first appearance of *Erewhon* as well as the appearance of the Revised Edition almost thirty years later in 1901 may help us to make a better estimate of the reception of *Erewhon.* In the course of this article I hope to show, with reference to these reviews, that *Erewhon* did make more than "very little noise" and that its first reception was far from being "icy cold". I also hope to make it clear that it was never attributed to Lord Lytton, though it was thought to have possibly "owed its existence" to his anonymously-published novel, *The Coming Race.*

Butler once wrote that he never hoped for immediate success and that his aim was to secure "lasting credit". In the case of *Erewhon,* however, he took great pains to write a book that would be entertaining and not too shocking. In a letter to his friend, Miss Savage, he wrote :

> I have nearly finished my book, and am rewriting and correcting the whole. It is meant to be entertaining, and is more than 200 printed pages. I am not at all sure I shall publish it, and you may save me from committing a grave indiscretion.(6)

Butler goes on to ask his friend to read the MS., adding that he would be "very glad" of her opinion. In a later letter, he asks her to make a cross in pencil, wherever she disapproved. Miss Savage read the MS. and made some shrewd criticisms which Butler generally accepted.

---

(4) *Journal of English Literary History,* Vol. VIII (1941), p. 149.

(5) *A History of the English Novel,* op. cit., Vol. X, p. 244.

(6) End of Feb. or beginning of March, *Letters between Samuel Butler and Miss E. M. A. Savage, 1871-1885,* ed. Geoffrey Keynes and Brian Hill (1935), p. 17. Henceforth this book will be cited as *Letters.*

"hit" and came to be more generally regarded as having initiated the utopian vogue. It had a longer lease of life than most other utopian novels of the period,[2] but it is hardly remembered now except by the specialist.

Erewhon, in contrast, is marked by its lasting interest. It is still alive. Of all the utopian novels of the seventies, it is the only one that is still being reprinted, read and enjoyed on its own merit.

Unlike *The Coming Race* and most of the others, it was not concerned with questions of the hour. Democracy, equality and Women's Rights did not interest Butler. Nor was he attracted by such stock utopian themes as "The Parliament of Man and the Federation of the World", Universal Peace or the Regeneration of the Human Race. *Erewhon* stands out by its complete neglect of questions of passing interest and by its deeper insight into such questions as the significance of machinery and the uncontrolled use of the mind. This, together with its fundamental irreverence for conventional morality, conventional religion and conventional law, lends it a more permanent interest.

In 1872, however, *Erewhon* was almost as big a success as *The Coming Race*, inspite of the fact that owing to a mistake of judgement, as we shall see, it was published almost a year after that book and was not therefore such a novelty. Nor was its fearless satire on its thinly-disguised readers to be compared with Lytton's gentle irony which flattered rather than provoked. It is more significant, therefore, that this first, imperfect and startling book of Butler's achieved a success and popularity that none of his later books approached. He continued to be called "Butler of *Erewhon*" even after the publication of *The Way of All Flesh*.

Published anonymously, *Erewhon* shocked some reviewers, pleased others, but it impressed them all. Judging by how widely and favourably it was reviewed and how well it sold, it would be fair to claim that existing accounts of its early reception are inadequate.

In his account of the rise of the utopian novel, Baker, for example, states that "*Erewhon* at first made very little noise".[3] In an article

---

(2) Ibid., p. 7.

(3) E. Baker, *A History of the English Novel* (1939), Vol. X, p. 252.

BUTLER'S *EREWHON* AND THE UTOPIAN TRADITION. A CENTENARY TRIBUTE

By

ANGELE BOTROS SAMAAN

A hundred years have now passed since Butler's *Erewhon* (1872), published shortly after Bulwer Lytton's *The Coming Race* (1871) and making an almost equal sensation, contributed to the initiation of a new literary vogue, which has ultimately become established as one of the varieties of the modern English novel.[1] Yet not only is the part it played in initiating this vogue hardly ever remembered now, but its early success has been almost completely forgotten. Indeed it seems never to have been adequately estimated. It is worth recalling therefore, that unlike so many other utopian novels, *Erewhon* was both an immediate as well as a lasting success. Its present fame is not inconsistent with its early reception.

As in the case of all such vogues, the novel of sentiment, the Gothic romance or the oriental tale, the ultimate fate of the works produced varies greatly. The worthless specimens are soon mercifully committed to oblivion. The better ones achieve longer or shorter periods of life, but they too are ultimately forgotten, or only remembered as period pieces. Only very few, those of true worth, survive the temporary vogue. They live and endure.

Thus of the unprecedented profusion of utopian novels produced in the seventies as well as later decades, only very few can still boast of a continued life.

Even *The Coming Race* which combined novelty and timeliness with a certain degree of literary merit could not entirely stand the test of time. Preceding *Erewhon* in publication and appealing more to the conventional beliefs of most Victorian readers, it was a bigger

---

(1) See the present writer, "Bulwer Lytton and the Rise of the Utopian Novel", *Bulletin of the Faculty of Arts, Cairo University*, Vol. XXVI. (1969), pp. 1-4.

9. FARID (I. A.), The Population of Egypt : Some Aspects of its Growth and Distribution, Cairo, 1949.

10. HUSSEIN (H. M.) & others, Population Trends in U. A. R, Central Committee for Statistics, Cairo, 1962.

11. ISSAWI (C.), Egypt in Revolution : An Economic Analysis, Oxford, 1965.

12. JAMES (L.), The Population Problem in Egypt, Economic Geography, Vol. XXIII.

13. KISER (C.), The Demographic Position of Egypt, in «Demographic Studies of Selected Areas of Rapid Growth New York, 1944.

14. MBORIA (L.), La Population de l'Egypte, le Cairo, 1938.

15. NAMIK (S.), Overpopulation and Economic Development in U. A. R., Cairo, 1966. (in Arabic).

16. Said (G.), Analytic Study of Statistics and Population Growth in Egypt, Cairo, 1952. (in Arabic).

TABLE 4

Population, Cultivated area & Crop area in Egypt (1897—1960)

Year	Population in million	Cultivated area in million feddans	Cultivated area Per capita in feddan	Crop area in million feddans	Crop area per capita in feddan
1897	9.7	5.1	.52	6.8	.70
1907	11.3	5.4	.48	7.7	.68
1917	12.8	5.3	.40	8.7	.68
1927	14.2	5.5	.39	8.7	.61
1937	15.9	5.3	.33	8.4	.52
1947	19.0	5.8	.30	9.2	.48
1957	24.0	5.8	.24	10.2	.42
1960	26.0	5.8	.22	10.3	.41

REFERENCES

1. ABDALLAH (H.), Population and Economic Resources in Egypt, Cairo, 1953. (in Arabic).

2. ABDEL-HAKIM (M. S.), Population of Egypt : A Demographic Study, Cairo, 1957. (in Arabic).

3. Cairo Demographic Centre, Demographic Measures and Population Growth in Arab Countries, Cairo, 1970.

4. CLELAND (W. A.), The Population Problem in Egypt : A Study of Population Trends and Conditions in Modern Egypt, Lancaster, 1936.

5. CLELAND (W. A.), The Necessity of Restricting Population Growth in Egypt, Journal of Egyptian Medical Association, Vol. XX, 1937.

6. CLELAND (W. A.), A Population Plan for Egypt, in «Demographic Studies of Selected Areas of Rapid Growth», New York, 1944.

7. EL-DALY (E. A.), Vital Elements of Population Problem in Egypt, Cairo, 1954. (in Arabic).

8. EL-GRITLY (A.), Population and Economic Resources in Egypt, Cairo, 1962. (in Arabic).

TABLE 3

Population and Density in Egyptian Governorates according to 1966 census

Governorate	Population	Density/ Squ. K.
Cairo	4,219,853	19,594
Alexandria	1,801,056	6,221
Port-Said	282,977	712
Suez	264,098	860
Ismailiya	344,789	416
Damietta	431,596	722
Dakahliya	2,279,040	658
Sharquiya	2,102,353	452
Kalyubiya	1,214,444	1,283
Kafr El-Sheikh	1,118,495	321
Gharbiya	1,905,226	949
Menoufiya	1,458,048	969
Beheira	1,978,889	431
Giza	1,650,381	1,526
Beni-Suef	927,910	711
Fayoum	940,918	519
Minya	1,705,602	749
Assiut	1,418,164	912
Sohag	1,696,442	1,094
Quena	1,470,812	812
Aswan	520,567	519
Egypt	29,731,660*	845

* The population of desert governorates (351,759) is not included.

TABLE 2

Births, Deaths and Natural Increase Rates

(1917—1970)

Year	B. R.	D. R.	N. I. R.	Year	B. R.	D. R.	N. I. R.
1917	40.1	29.4	10.8	1944	41.0	26.8	14.2
1918	38.9	39.6	— 0.7	1945	43.9	28.6	15.4
1919	37.7	29.4	8.4	1946	41.2	25.0	16.2
1920	42.2	28.0	14.3	1947	43.7	21.4	22.3
1921	41.8	25.0	16.8	1948	42.7	20.4	22.3
1922	43.1	25.1	18.0	1949	41.8	20.6	21.2
1923	43.1	25.8	17.3	1950	44.2	19.0	25.2
1924	43.8	24.9	18.9	1951	44.6	19.2	25.4
1925	43.5	26.5	17.1	1952	45.2	17.8	27.4
1926	44.2	26.7	17.4	1953	42.6	19.6	23.0
1927	44.0	25.2	18.8	1954	42.6	17.9	24.7
1928	43.6	26.3	17.3	1955	40.3	17.6	22.7
1929	44.2	27.6	16.6	1956	40.7	16.4	24.3
1930	45.2	24.9	20.6	1957	38.0	17.8	20.2
1931	44.5	26.6	17.9	1958	41.1	16.6	24.5
1932	42.5	28.5	14.0	1959	42.8	16.3	26.5
1933	43.8	27.5	16.2	1960	42.9	16.9	26.0
1934	42.2	27.8	14.4	1961	43.9	15.8	28.1
1935	41.3	26.4	14.9	1962	41.2	17.8	23.4
1936	44.2	28.8	15.3	1963	42.8	15.5	27.3
1937	43.5	27.2	16.3	1964	42.0	15.7	26.3
1938	43.3	26.4	16.9	1965	41.4	14.0	27.4
1939	42.2	26.0	16.2	1966	41.0	15.8	25.2
1940	41.6	26.5	15.1	1967	39.2	14.2	25.0
1941	40.8	25.9	14.9	1968	38.1	16.1	22.4
1942	38.2	28.7	9.5	1969	36.8	14.4	22.4
1943	39.6	28.3	11.3	1970	35.6	15.0	20.6

First : Restricting the over-growth of the government machinery and the administration of institutions and companies in Cairo, by applying a system of decentralization, and by consolidating the system of local administration and developing it, in order to achieve local government.

Second : Declaring Cairo a closed city before any new industrial project, and being satisfied with economic expansion in existing industries and adding complementary industries within the narrowest possible limits, and making a regional industrial plan, aiming at the gradual decentralization of industry.

Third : Restricting the expansion of university & higher education in Cairo. We may even reduce it, if necessary. Meanwhile, we should continue to establish provincial universities that can absorb big numbers of students that would otherwise go to Cairo. We should also do our best to develop a cultural life in the provinces that would «pull» the university graduates to live in provincial towns.

TABLE 1

Population Growth in Egypt

(1882—1966)

Census	Population (in thousands)	Annual rate of growth %
1882	6,806	—
1897	9,715	2.40
1907	11,287	1.58
1917	12,751	1.28
1927	14,218	1.12
1937	15,933	1.14
1947	19,022	1.78
1960	26,085	2.38
1966	30,083	2.70

best to reduce the increase in population through birth control. In 1966, the government established the Executive Agency for Family Planning, and it is expected that the efforts exerted by the Agency should reflect on the birth rate, by reducing it gradually within the coming few years.

This is concerning coping with the problem of overpopulation in the Republic as a whole ; but concerning the problem of migration to Cairo, we can divide the migration factors into «pull» factors latent in Greater Cairo, and «push» factors latent in the rural sending governorates especially the rural ones sending the migrants.

The solutions for the problem of migration to Cairo should aim at reducing the differences in the standard of living between Cairo on one hand, and the rural governorates on the other. This can be achieved through regional planning of the various regions of the Republic, with the aim of creating opportunities for work and for earning a living in these regions and of supplying them with services and utilities.

It is taken for granted that to prepare regional planning for the whole Republic is a strenuous process that requires a long time and huge investments. Therefore, we can start planning for some regions of the Republic. In this case, we should give priority to the governorates that contribute much to the migration to Cairo, namely, Menoufiya & Gharbiya in Lower Egypt, and Assiut, Sohag and Kena in Upper Egypt.

It is worthwhile noting that the regional planning for such governorates would include planning the principal towns in them. It goes without saying that planning such towns would enable them to absorb some migrants who move from the countryside of these governorates to Cairo. It may even lead to the return of some of those who have actually migrated to Cairo from these governorates. This means that planning these towns would eventually lead to the creation of regional urban «pull» centres, which can compete with Cairo «pulling» the migrants from the country. Consequently, this may reduce the acuteness of migration to Cairo.

Besides, we may offer some subsidiary suggestions to start with, until the regional planning is put into effect :

Second : Economic Development

Third : Birth-Control.

As regards the first means, namely, Emigration, we may notice that the Egyptians have recently know emigration to some Arab countries, and since a few years only, to foreign countries. However, emigration has been attempted only by a very small proportion of the population, for the maximum figure of emigration to the foreign countries was in 1969, when 5645 emigrated to the U. S. A., Canada and Australia. in particular, whereas the Arab countries, especially Kuwait, Saudi Arabia and Libya have «pulled» slightly bigger numbers than those who have emigrated to foreign countries.

We should bear in mid, while discussing emigration as a remedy for the problem of population in Egypt, that the Egyptians in general are reluctant to emigrate, and that the Egyptian farmer is more reluctant than others to emigrate. In fact, when we think of emigrating the Egyptians, we are but thinking of emigrating the farmers in particular, in order to absorb the surplus of population in the Egyptian countryside on one hand, and to stop its flow into the towns, on the other.

We then have two more means, namely, economic development and birth-control. The second means is not less important than the first, for, notwithstanding the care, efforts, investments and plans earmarked for the economic development, it will never keep pace with the rapid increase of population.

We cannot afford the space to deal in much detail with the various economic projects that have been actually carried out, or that are going to be carried out, whether they are related to developing agricultural production both horizontally and vertically, or to developing industrial production with its various sectors. The Aswan High Dam ranks first among the projects that have been carried out. The Iron and Steel Complex at Helwan ranks first among the projects that have recently started to be carried out. Besides , there are also the serious attempts to search for mineral resources in general, and for oil in particular.

It goes without saying that the economic development contributes to the solution of the problem of population, but it is not the decisive solution for the problem. Hence, it is essential that we should do our

Another illustration of the population pressure on the agricultural land, is the inadequacy of most of the food crops to cope with the needs of population. Despite the considerable increase in wheat production, for example, imports of this crop are constantly increasing and wheat has come to rank first among the imports in Egypt's foreign trade, and has come to form a big proportion of it, after Egypt had once been supplying the Roman Empire with its needs of wheat.

If the population pressure on the agricultural sector is not a reliable evidence, industry despite its rapid growth in the recent years and despite its potentialities for growth in the coming stage will, most likely, fail to cope with the surplus population, and will also fail to keep pace with the rapid increase of population in the coming period.

If we were to use the national income, and the per capita income as a statistical measure of the standard of living, we could say that the rapid increase in population would hinder the rise of the per capita income in spite of the increase of the total national income.

As regards the social effects of the problem of population, the most outstanding one is the inadequacy of health and educational services for the needs of the population. Notwithstanding the strenuous efforts and the huge investments earmarked by the State for the establishment of hospitals and schools, all these efforts and investments have no clear effect, because of the rapid increase of population which reduces the effects of these efforts.

If Egypt as a whole suffers from over-population, Cairo suffers from a more acute and more serious one, as a result of the endless flow of migrations from the rural areas. This over-population reflects strongly on the public utilities in Cairo, rendering them incapable of coping with the needs of the rapidly increasing population, in spite of all the efforts exerted to solve the problem of housing, communication and other utilities and services.

This is the problem, and these are its economic and social effects. Now, let us discuss the means for remedying it, and for coping with and overcoming it.

We can distinguish three means for remedying it :

First : Emigration.

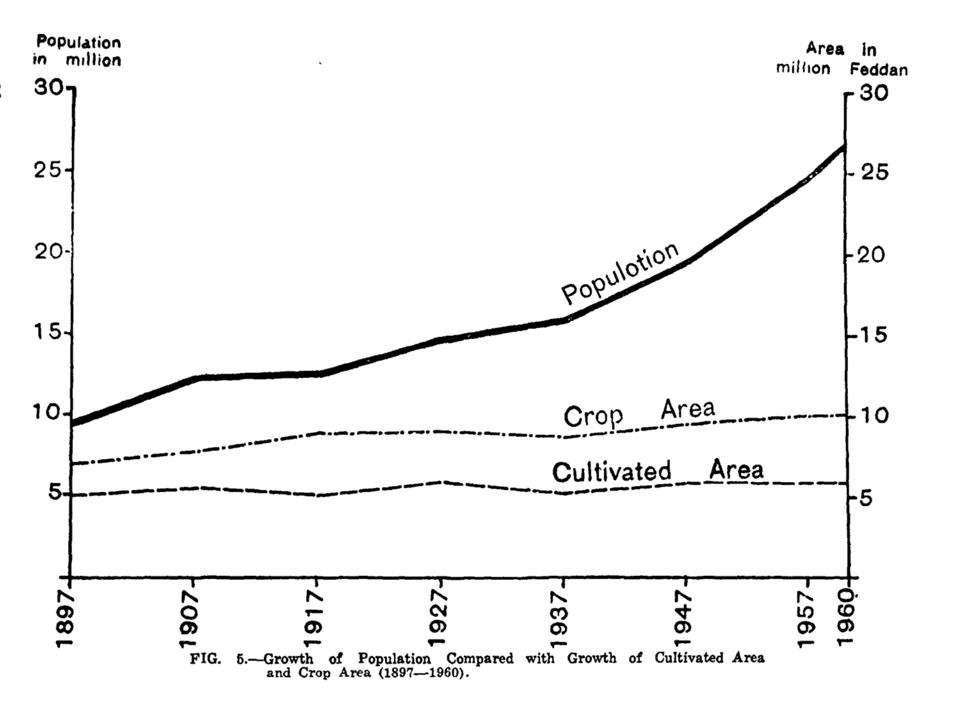


FIG. 5.—Growth of Population Compared with Growth of Cultivated Area and Crop Area (1897—1960).

Second : The overgrowth of population in Cairo as a result of the ever-increasing migration to it, thus rendering it incapable of holding this increasing flow of in-migrants. Besides, the various utilities, such as the means of transport and communication, water supply, electricity and sewage, become incapable of satisfying the needs of the inhabitants.

We can realize the size of the problem of overpopulation in Egypt, when we study the economic and social effects of the population problem. If we follow the cultivated area and the crop area from the beginning of the present century, we can realize that the cultivated area has not increased, during sixty years or so, except by about 14% only, and that the increase in the crop area has not exceeded 52%. Meanwhile, the population has increased, within the same period, by about 168%. As a result of the disequilibrium between the increase of the cultivated area and the crop area on one hand, and the population growth on the other, an individual's share of the cultivated area has dropped in the same period from less than half a feddan (*N.B.* A feddan = 4200 square metres) to less than a quarter of a feddan. Besides, an individual's share of the crop area has dropped from .7 feddan to about .4 feddan. This means that, a feddan of cultivated land used to sustain two persons sixty years ago, but it has come to sustain four and a half persons at present, and that a feddan of the crop area used to sustain one and a half persons and has come to sustain two and a half persons. Consequently, there has been a heavy population pressure on the agricultural lands.

One of the effects of the population pressure in rural Egypt is the fragmentation of agricultural holdings, for 70% of the total landowners hold less than one feddan with an average of less than half a feddan for each owner. These pygmy holdings are considered the prevailing pattern of land holding in rural Egypt.

Besides, another effect of the population pressure on agricultural land in Egypt is unemployment with its various aspects, such as : complete, seasonal and hidden unemployment. This has led to the flow of rural-urban migration as we mentioned before in the hope of finding better chances for work and earning a living.

Second : As far as Menoufiya is concerned, more than 20% of the births in Menoufiya live outside the governorate are considered migrants from it. Most of the migrants from Menoufiya go to Cairo and change from farming to working in various urban occupations. Other governorates that «pull» migrants from Menoufiya in big numbers are Alexandria, Beheira, Kafr El Sheikh and Giza. The conditions pulling these migrants to Cairo are the same conditions pulling them to Alexandria and Giza, for Alexandria ranks second among the Egyptian towns, and Giza is an extension to Cairo. On the other hand, Beheira and Kafr El Sheikh have vast areas of agricultural reclamation lands both in north and west Delta. All these lands always need agricultural workers to migrate to them. It is quite natural that the inhabitants of Menoufiya should be at the head of these migrants, because of the fact that Menoufiya has a dense agricultural population. It is extremely significant that Menoufiya was of prime importance while choosing the inhabitants of Mudiriet El Tahrir (The Tahrir Province), which is one of the agricultural reclamation areas in west Delta.

To sum up, we can distinguish two principal currents in internal migration in Egypt :

First : The migration current from the country to the towns in general, and to Cairo, Alexandria and the towns of the Suez Canal area, in particular.

Second : The migration current from the over-populated rural areas to the new areas of agricultural reclamation. This current is naturally smaller in size than the first one.

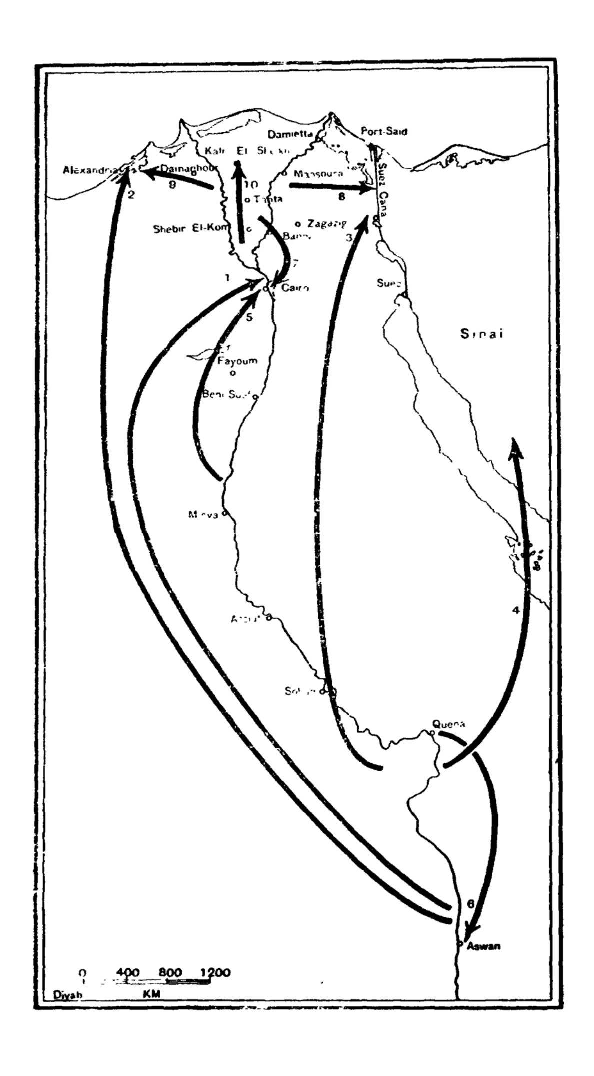
V.—*Population Problem in Egypt :*

Egypt suffers from a two-fold population problem : *First* : The disequilibrium and lack of balance between the population and economic resources. This disequilibrium is due in the first place to the population explosion witnessed by Egypt since the end of the Second World War ; this explosion which obliterates the effect of the strenuous investment and the huge effort exerted in the field of economic development to cope with the increase in population, and to combat the lowering of the standard of living.

←——

FIG. 4.—Streams of Internal Migration in Egypt.

1. From South Upper Egypt to Cairo.
2. From South Upper Egypt to Alexandria.
3. From South Upper Egypt to Suez Canal Area.
4. From South Upper Egypt to Red Sea Coast & Sinai.
5. From North Upper Egypt to Cairo .
6. From Kena to Aswan.
7. From the Delta to Cairo.
8. From East Delta to Suez Canal Area.
9. From West & North Delta to Alexandria.
10. From South Delta to North Delta.



Damietta
Port-Said
Alexandria
Mansoura
Shebir El-Kom
Cairo
Sinai
Fayoum
Quena
Aswan
1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
0
400
800
1200
KM
Diyab

1. A current from the Delta, going to Greater Cairo.

2. A current from East Delta, going to the Suez Canal area.

3. A current from West and North Delta, going to Alexandria.

4. A current within the Delta, from south to north.

If Cairo is the biggest «pull» area, Menoufiya in the south Delta is the biggest «push» area. where do the in-migrants to Cairo come from ? And where do the out-migrants from Menoufiya go to ?

First : As far as Cairo is concerned, according to the 1960 census, the in-migrants to Cairo amounted to about 1,200,000 persons, representing about one-third of the population of Cairo at that time. Menoufiya is the biggest governorate sending migrants to Cairo. Second to Menoufiya, are the governartes of Gharbiya, Sharkiya, Kaliubiya and Dakahliya, respectively, in Lower Egypt. On the other hand, in Upper Egypt, there are Assiut, Sohag and Kena.

This means that the south Delta region is considered the biggest «push» region of migration to Cairo. On the other hand, the north Delta region sends only limited numbers of its inhabitants to Cairo, for the «pull» factors in this region are stronger than the «push» factors, to the extent that it generally wins in-migrants from the south Delta region.

It goes without saying that the differences in the economic and population conditions between the regions of north and south Delta lead to a disequilibrium in migration between them on one side and Cairo on the other. We can also that the distance factor also plays its part in making Cairo «pull» the migrants from south Delta, whereas most migrants move from west and north-west Delta to Alexandria.

This is concerning Lower Egypt, but there is a slight difference concerning Upper Egypt, for most of the migrants coming from there, come from south and not from north Upper Egypt. There is no doubt that the economic and demographic «push» factors in south Upper Egypt are generally stronger than in north Upper Egypt. Cairo is considered the nearest «pull» area for the migrants from south Upper Egypt.

Second : Push Regions, including the other Egyptian governorates at the top of which are the governoratesof Menoufiya & Gharbiya in Southern Mid-Delta, and the governorates of Sohag and Kena in Upper Egypt.

It is quite evident that the pull regions are represented by the governorates including the biggest Egyptian towns, except Giza, as the town of Giza is considered an extension of the city of Cairo ; it is even a part of Greater Cairo. Besides, there is Aswan where the conditions of building the High Dam and the ensuing industrial expansion have led to the «pull» of tens of thousands of workers. Hence, Aswan was soon changed from a «push» to a «pull» region.

The principal «pull» factor for the rural-urban migration is the attraction of the fields of industry and services for them, because of their higher wages compared to the agricultural labour market which is too limited for the new generations which have been motivated by education to aspire to higher economic standards, and which have enjoyed the taste of a better life during their military service, in which they came to learn new occupations. Consequently, they came to prefer staying in the town to returning to a life of deprivation in the village.

In the light of the statistical data, we can distinguish clear migration currents coming from Upper Egypt, namely :

1. A current from South Upper Egypt (the governorates of Assiut, Sohag, Kena and Aswan) going to Cairo.

2. A current from South Upper Egypt, going to Alexandria.

3. A current from South Upper Egypt, going to the Suez Canal area.

4. A current from South Upper Egypt, going to the Red Sea coast and the Sinai Peninsula.

5. A current from North Upper Egypt (the governorates of Minia, Beni Suef and Fayoum), going to Greater Cairo.

6. A current within South Upper Egypt, from the governorate of Kena, going to the governorate of Aswan.

As regards Lower Egypt, we can distinguish the migration currents leaving it, as follows :

This is concerning the Delta, whereas in Upper Egypt, the low density of population in Fayoum is due to the bad quality of the soil, for its fertility is reduced by deficiencies in its mechanical formation and chemical composition. The soil in Fayoum is heavy black-muddy in some areas, and light-sandy in others, not to mention the high salinity of the northern parts of the Fayoum depression. The irregularity of the surface in Fayoum has led to the existence of high lands which drain into neighbouring low lands, thus subjecting the soil of the latter to the danger of pooling all the harmful substances in it.

In the light of the above-mentioned survey, we can divide Egypt, as far as the density of population is concerned, into the following :

First : Urban Regions, including the cities of Cairo and Alexandria, as well as the capitals of the governorates and other small towns (Marakaz).

Second : Rural Regions, including the rural areas in the Valley and the Delta of the Nile.

Third : Desert Regions, including the Western Desert, the Eastern Desert and the Sinai Peninsula.

IV.—*Internal Migration* :

Internal migration plays an important part in the redistribution of population in Egypt. The dominating trend in internal migration in Egypt is an individual spontaneous one. The only exception is the re-settlement of the Egyptian Nubians from their original homeland into Nasr District at Kom Ombo. This process was planned and carried out by the government and has taken a collective and planned form. The reason for this migration was the inundation of the Nubia by the Nile waters stored by the Aswan High Dam.

We can depend on the information about the birth places mentioned in the population censuses from 1917 to 1960, in order to trace the currents of internal migration inEgypt on a statistical basis.

On the basis of these statistical data, we can divide the Egyptian governorates into :

First : Pull Regions, represented by the governorates of Cairo, Alexandria, Suez, Ismailia, Port Said, Giza and Aswan.



FIG. 3.—Population Density in Rural Egypt.

Second : Average Density Areas, where the density ranges from 600 to 900 per square kilometre. These are represented in the governorates of Dakahlia and Damietta in the north east Delta, and in the governorates of Beni Suef and Minia in Middle Egypt.

Third : Low Density Areas, where the density ranges from 300 to 600 per square kilometre. These are found in the northern parts of the Delta represented by the governorate of Kafr El Sheikh (321), the eastern parts of the Delta represented by the governorate of Sharkia (452) and the western parts of the Delta represented by the governorate of Beheira (431). On the other hand, these areas are represented in Upper Egypt by the governorate of Fayoum (519) and the governorate of Aswan (591).

As regards the Delta, it can be said that the high density areas are those nearer to the two branches of the Delta, because of the factors of agricultural settlement. These areas have the most fertile soil, abundance of water and the greatest communication facilities. On the other hand, the low density areas are those farther from the Delta branches, for they are the least fertile, and the ones that are in the greatest need of irrigation and communication.

In the light of this fact, we can interpret the low density of the northern, eastern and western parts of the Delta, and the high density in the southern half of the Delta. In this connexion, we can add that the soil in the northern parts of the Delta is not so fertile because of its high salinity, whereas in the eastern and western parts of the Delta, this is due to its high sandiness.

The boundaries between the northern low density parts and the southern high density parts in the Delta almost coincide with 7 metre-countour. This means that there is a clear correlation between the type of the soil and the distribution of the density of population. The soil of the areas lying north of the 7-metre contour has a high salinity in the north and a high sandiness in the east and west. In these areas, the inhabitants have to exert an effort in order to be able to obtain a production that will satisfy their needs, for the agricultural production here is obtained after a severe struggle with nature, unlike the situation in the southern half of the Delta where the soil is free, to a great extent, from salt and sand. All this has led to the considerable difference between the density of population in the south of the Delta and that in the north, east and west.

The two cities of Cairo and Alexandria include together about seven million, that is, about 23% of the total population of Egypt. On the other hand, the population of each of the other Egyptian towns, numerous as they are, is much less than that of Cairo or Alexandria.

The total urban population, according to the 1966 census, is slightly more than 12 million, that is, about 40% of the total Egyptian population. It is worthwhile noting that the rate of the urban population is constantly increasing from one census to another. This rate was 21% in the 1917 census. This means that the urban population has doubled in about fifty years.

If there is a strong variation between the density of population in the Valley and the Delta on one hand and that of the Egyptian deserts on the other, there is yet another notable variation in the density of population inside the Valley and the Delta between the towns on one hand and the rural areas on the other, for the density of population in Rural Egypt is comparatively less than that in the towns, due to the fact that most of the areas in the towns are occupied by houses, whereas agricultural lands occupy the areas in the countryside. However, the density of population in the Egyptian countryside is considered one of the highest rural densities in the world, for it has an average of about 750 per square kilometre. It has also exceeded one thousand per square kilometre in most areas of the south of the Delta.

We can divide the rural areas in the Valley and the Delta, as regards the density of population into :

First : High Density Areas : where the density exceeds 900 per square kilometre. These are represented in the southern half of the Delta as well as the area surrounding Cairo. The density increases very much in the areas surrounding Cairo for it amounts to about 1500 in the governorate of Giza and about 1300 in the governorate of Kaliubia, whereas it ranges from 900 to 1000 in the governorate of Menufia and Gharbia which occupy the southern half of Mid Delta. Besides, the areas of high density in Mid Upper Egypt are represented particularly in the governorates of Assiut and Sohag, where the density in the former slightly exceeds 900, and is about 1100 per square kilometre in the latter.

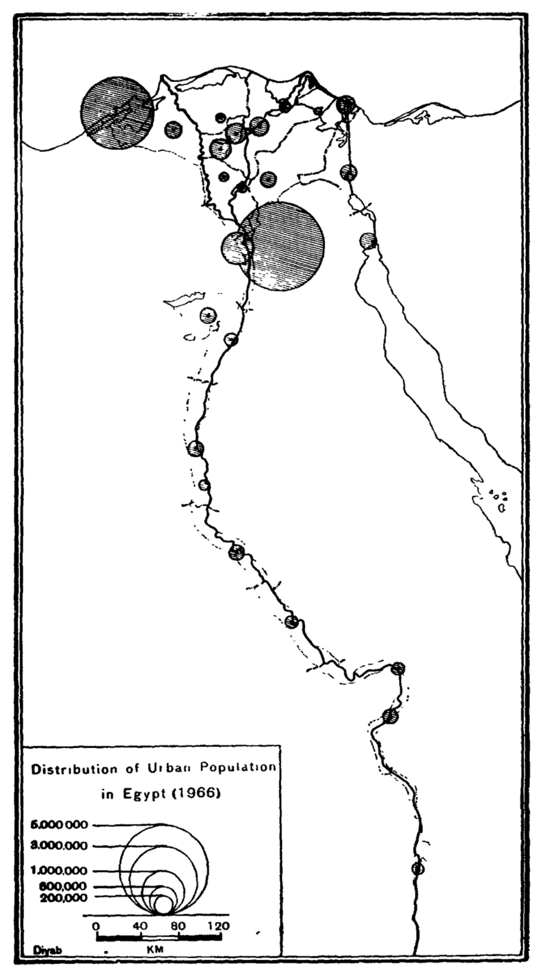


FIG. 2.—Distribution of Urban Population in Egypt.

(c) Where the mineral resources have been discovered, thus enabling settlements to exploit these resources, as on the coast of the Red Sea and the eastern coast of the Gulf of Suez in the Sinai Peninsula. These resources are represented by oil, phosphate and manganese. The most important settlements on the Red Sea coast are Ras Ghareb, Horgada and Koseir, and, in the south west of Sinai are Abu Zeneima, Abu Rodeis and Balaem. It is worthwhile noting that the discovery of the oil field south of Alamein a few years ago, and the oil fields of Abu El Gharadik and El-Razzak recently in the north of the Western Desert, and the expected discovery of oil in the area of the Siwa oasis, will eventually create some settlements, and «pull» numbers of inhabitants to exploit this oil.

This is concerning the Egyptian deserts. On the other hand, concerning the Valley and the Delta, where there is the real Egyptian «Oekumene», the most outstanding thing about the distribution of population, is that the inhabitants of the governorate of Cairo have amounted, according to the 1966 census, to more than four million, that is, about 14% of the total population of the Republic. If we add Giza which is the extension of Cairo on the western bank of the Nile, as well as Shubra El Kheima, the extension of Cairo northward, the population of Greater Cairo will amount to about five million, that is, about 16.5% of the total population of the Republic. This means that about 1/6 of the Egyptian population is concentrated in Greater Cairo. This qualifies Cairo to rank seventh among the biggest cities in the world as regards population, for it is outnumbered only by Tokyo, New York, London, Moscow, Changhai and Pekin.

The density of population in the governorate of Cairo has risen considerably, for this density amounts to about 20,000 per square kilometre. The density of population varies strongly from one district to another within the governorate of Cairo. It is at its highest at Bab El Sharia (135,000 per square kilometre) ; it also increases notably in the districts of Rod El Farag, Saida Zeinab and Bulak, whereas it declines in the districts of Heliopolis, Maadi, Kasr El Nil and Mataria.

Egypt also includes another «Million» city besides Cairo, namely, Alexandria, the population of which amounts to about two million. In fact, Cairo and Alexandria are not the only two «Million» cities in Egypt, but also in the Arab World and in Africa as a whole.

total population of Egypt live in an area of 35,000 square kilometres, that is, about 3.5% of the total area of Egypt.

Thus, there is a strong contrast in the density of population between the Nile Valley and the Delta, on one hand, and the Egyptian deserts, on the other. The density of population in the Valley and the Delta is considered one of the highest densities in the world, whereas the density in the Egyptian deserts is considered one of the lowest in the world.

We can thus say that the Egyptian «Oekumene» is in the Valley and the Delta, and this «Oekumene» looks like a lotus, with the Valley as its stem, and the Delta as its flower, and the depression of Fayoum as its bud. This «Oekumene» does not represent more than 1/30 of the total area of Egypt.

On the other hand, the Egyptian deserts which form most of the area of the country, are not inhabited except by 350,000 of the total population of Egypt, estimated according to the 1966 census at about thirty million.

The limited number of the desert population is distributed among the three Egyptian deserts : the Western Desert, the Eastern Desert and the Sinai Peninsula. The inhabitants of these deserts gather in small numbers, in the following way :

(*a*) Where there is surface water resulting from the little rainfall, which provides for poor agriculture or pasture, as on the coast of Mariut between Alexandria and Sallum in the north of the Western Desert. and the northern coast of the, Sinai Peninsula. There have risen the two biggest settlements in the Egyptian deserts, namely, Mersa Matruh on the western coast of the Mediterranean, and Arish in the north of Sinai. These two represent the capitals of two of the four desert governorates, namely thl govlrnoratls of Matruh and Sinai.

(*b*) Where there is underground water, as in the depressions of the Western Desert, where the five big oases in the Egyptian deserts have come into being, namely, Siwa, Bahria, Farafra, Kharga and Dakhla. In the last two oases, an agricultural project has been made with the time of exploiting the underground water gathered in the underground store in the south of the Western Desert, known as the project of the New Valley.

this stage, after the meand of reform prevail in the various aspects of society, and the standard of living continues to be high, Consequently, the birth rate tends to decline after the death rate has declined to the minimum. This usually ranges from 7 to 10 per thousand. Thus the gap between the birth rate and the death rate gradually narrows down, and the rate of the natural increase drops accordingly, This stage is characterized by the increase of the average lifetime, amounting to 70 years or more, as well as the rise in the standard of living.

It can be seen that these three stages indicate general population trends. Each stage may vary in its details. Besides, the geagraphical distribution of these stages in the world is not constant, for it varies from time, according to the dynamics of population.

If we want to know how far the transitional demographic theory applies to Egypt, we say, in the light of the previous disussion that Egypt has moved right into the heart of the transitional stage, or the stage of demographic explosion, since the end of the Second World War, and is still living in this stage. The death rate is expected to continue its decline in the coming years. If the birth rate remains constant, we expect the rate of the natural increase to rise from 27 per thousand, at present, to 32 or 35 per thousand, in the near future.

In order to illustrate the rapid increase of the Egyptian population we may point out that Egypt receives at present 1, 400,000 new births every that is to say, 117,000 every month, i. e. 4000 every day, or about i 65 every hour, or 2.7 every minute (i. e. 8 new children every three minutes). On the other hand, the deaths amount to about half-million every year. This means that the net increase in the Egyptian population amounts to about 900,000 every year. We need not say that this figure is not constant, for it increases according to the increase of the general size of population.

If the population in Egypt is estimated at present at about 35 million, it is expected to rise according to the estimation of some researchers to about 39.7 million in 1975, to about 45.7 million in 1980, and to about 52.5 million in 1985.

III.—*Distribution of Population :*

The most outstanding characteristic of the distributionof population in Egypt, is the strong concentration of the population in the valley and the Delta in a limited area of land ; for about 99% of the

Thus, the results of the census almost agree with the vital statistics, when we analyse the trends of the population growth in Egypt in the last fifty years.

It is useful in this connexion to refer to the most up-to-date poulation theories related to the population growth, namely the Demographic Transitional Theory, to realize how far it canbe applied to the population growth in Egypt.

This theory may be summarized thus : the peoples of the world pass through three demographic stages, namely, the Primitive Stage, the Transitional Stage and the Maturity Stage.

The Primitive Stage is characterized b ythe increase in the birth rate, ranging from 40 to 50 per thousand, and the increase in the death rate, ranging from 30 to 35 per thousand. At this stage, the people are subject to epidemics and famines, during which the death rate increases. Besides, the infant mortality increases considerably, amounting even to 400 per thousand. Accordingly, the rates of the population growth are low during this stage.

On the other hand, the Transitional Stage is characterized by a rapit constant increase of population due to a considerable decline in the death rate, while the birth rate remains high. Hence, the gap between the births and deaths widens, and the natural increase rises accordingly. The birth rate ranges, during this period, from 35 to 45 per thousand, whereas the death rate ranges from 15 to 25 per thousand, Accordingly, the average natural increase amounts to about 20 per thousand.

The societies begin to pass through this Transitionaal Stage when the government system reaches a stage of stability and security, when the people enjoy a constant livelihood, when education begins to spread and when health welfare develops. Consequently, there is a constant decline in the death rate, while the birth rate is not considerably affected and almost remains high.

This stage is called the Demographic Revolution, or the Demographic Explosion. This stage is considered the critical stage in the history of population of any country, and is also considered the dangerous spot in the population situation in the world.

As regards the third stage , the Stage of Maturity, it is characterized by the reasonable growth of population. The nations move into

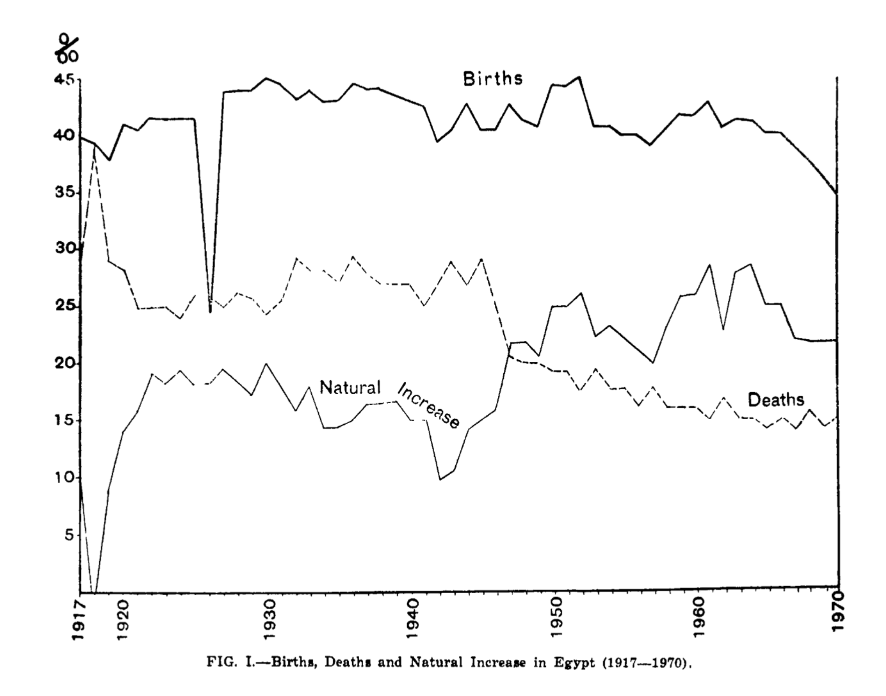


FIG. I.—Births, Deaths and Natural Increase in Egypt (1917—1970).

growth is less than the general rate in the rural governorates both in Upper and Lower Egypt. It is worthwhile noting that the annual population growth in Upper Egypt, is generally less than that in Lower Egypt, for it amounts to about 2.1% in Upper Egypt, whereas it is about 2.6% in Lower Egypt.

The big differences in the rates of population growth in the urban and rural areas are due to the internal migration flowing from the country into the towns, as we are going to see later on.

II.—*Births and Deaths* :

The population growth in Egypt is due to the natural increase, that is, the difference between the births and deaths, for the external migration does not play a considerable role in the population growth, whether that role be negative or positive.

In Egypt, we have reliable vital statistics on which we can greatly depend in our studies, starting from 1917.

If we examine the vital statistics since that date, we notice that the birth rate has ranged from 40 to 44 per thousand, that is, with an average estimated at 42 per thousand. No decline has been marked in this rate except since 1968. We can hardly attribute this decline to the efforts exerted in the area of family planning since 1966, whereas the war conditions may account for it.

On the other hand, the death rate had fluctuated around the figure 26 per thousand, until the end of the Second World War. Since 1946, it has shown constant decline and has amounted lately to about 15 per thousand, that is, it has dropped from 26 to 15 per thousand in the last twenty five years. As a result of the stability of the birth rate, and the decline of the death rate, the gap between them has increased. In other words, the rate of natural increase has risen from 16 per thousand in 1946 to about 27 per thousand in the recent years.

This means that the Egyptian population had continued to increase according to the vital statistics at a rate of 1.6% every until the end of the Second World War, and has then increased at a rate of 2.7% every year.

Afterwards, we find many estimates of the population of Egypt in some books and reports made by the consuls and travellers. However varied these estimates may be, they throw light on the population growth in Egypt during the period 1821-1836, from 2.5 to 3.5 million.

There were also four estimates of the population in 1846, 1848, 1872 & 1877. From the figures of these estimates, we can infer that the Egyptian population increased by about two million in less than thirty years, for, according to the latest of these four estimates, the number amounted to about 5.5 million.

The first census of the population in Egypt was undertaken in 1882. However, the results of this census are open to suspicion, for it was undertaken under most unfavourable and chaotic conditions, due to the outbreak of the Orabi Revolution and the occurrence of the British Occupation. Hence, the results of this census were so much less than the real ones, that some writers attempted to correct their figures. The second census was then undertaken in 1897. It is in fact the rst reliable cenusu. Then census was regularly undertaken every ten years until 1947. The following census was not undertaken until 1960, and it has been the latest comprehensive census ever undertaken. Another sample census was undertaken in 1966.

From the estimates of population undertaken during the nineteenth century, we learn that the population of Egypt increased four times within that century, for it increased from 2.5 million in 1800 to about ten million at the end of the last century.

We also learn that the population in Egypt doubled during the first fifty years of the twentieth century, for it increased from ten to about twenty million. According to the 1966 census, the population in Egypt amounted to about thirty million. It is estimated at present (1972) at about 35 million.

According to the results of the censuses of population from 1897 to 1966, we realize that the annual percentage of increase has risen considerably since 1947, for it has amounted to about 2.7% every year, whereas it had not exceeded 2% before that date.

The rates of the population growth vary from one region to anotheir inside the United Arab Republic. In the big cities such as Cairo, Alexandria and the towns of the Suez Canal area (Suez, Ismailia and Port-Said), they vary from 3.3% to 4.7%. However, the population

THE POPULATION OF EGYPT
A DEMOGEOGRAPHIC STUDY

By

Dr. MOHAMED SOBHI ABDEL HAKIM

Professor of Human Geography, Cairo University

I.—*Population Growth in Egypt :*

Several attempts have been made in different ages to estimate the population of Egypt ; at the times of the Pharaohs, the Ptolemies and the Arabs. More often than not, such estimates were rather inaccurate, for some were based on guesswork, and others were based on the tax estimates. Estimates were sometimes made according to the number of soldiers, assuming that there was a certain proportion between the number of solidiers and the population in general. In other cases, estimates were based on the agricultural production of the country in general, and the wheat production of the country in particular. All such bases underlying these estimates were open to suspicion, and subject of the exaggeration of the historians.

On the other hand, we have in modern times more accurate and more certain information. The first modern estimate of the population in Egypt is that of Jomard, one of the scientists of the French Expedition in 1800. According to this estimate, the Egyptian population amounted to about 2.5 million.

The estimate of the population of Egypt, following that of Jomard, was made in 1821 on the basis of the tax list, and it fixed the number at approximately the same figure of the 1800 estimate. This means that the population in Egypt did not increase during the first twenty years of the nineteenth century. This stability of the population in Egypt may be accounted for by the fact that during that period the country had not yet fully awakened after the regin of the Mamelukes and Ottomans. Besides, Mohamed Ali had not inaugurated his agricultural revolution until 1823 when he established the Barrages.

Les Turcs pensaient que le feu est capable de tout purifier, qu'il chasse les mauvais esprits. Les ambassadeurs byzantins, au VIIe siècle, durent passer à travers deux feux pour chasser les mauvais esprits qui auraient pû les accompagner.

(40) Les chamanistes adoraient l'eau. Ils interdisaient à leurs fidèles de se laver avec de l'eau ou d'y laver leurs vêtements. Gardizi relate que les Kimaks qui vivaient aux bords de la rivière Irtich au XIe siècle, l'adoraient. Ils disaient que l'eau est le dieu des Kimak.

(Jnan, p. 9)

(41) Mircea Eliade, le Chamanisme, p. 17.

(42) Radloff pensait que le mot Baksi ou Bakši était dérivé de l'infinitif turc Bakmak qui signifie «voir». Il aurait été synonyme du mot Bakici, celui qui voit. Il est maintenant attesté que ce mot n'est pas turc. C'est un terme bouddhique signifiant «guide». Les Turkmènes le prononcent «bagsi». Dans la langue turque orientale, il désigne celui qui écrit la langue ouigours (Inan, p. 75).

(43) A. Inan, op. cit., p. 86.

(44) Köprülü, influence du Chamanisme turco-mongol sur les ordres mystiques musulmans, Istanbul 1929, p. 8.

(45) La lévitation et l'ascension au ciel étaient connus des anciens Iraniens. La légende d'Arada Viraf le prouve explicitement : *cf. Mircea Eliade, p. 359.*

Bouddha s'est aussi déplacé dans les airs. N'ayant pû traverser le Gange d'une manière normale, il le survola. Cette légende, dit Ruben, peut avoir une origine historique. Walter Ruben : Bouddhism Tarihi, traduit en turc par A. Itil, Ankara, 1947, p. 66. Voir aussi Samancigil, Bektasilik Tarihi, p. 10.

(46) Les Saints des Derviches Tourneurs, Récits traduits du Persan et annotés par Cl. Huart, Paris, 1922, Tome II, p. 83.

(47) Ibid., p. 101.

(48) A. Gölpinarli, Yunus Emré Hayati, p. 40, note 2.

(49) G. Nicordaz, Der Schamanismus bei der siberischen Völkerne, Stuggart, 1925, p. 47.

(50) Velidi, op. cit., p. 26-27.

(51) Qaraquaš Zade, Nur ul-Huda li men Ihtada, p. 98-99.

(52) Köprülü, Qiyam ud Dewlat-il Osmaniyye, traduit en arabe par Ahmad Soliman, Le Caire, 1967, p. 176.

(53) Puech, Le Manichéisme, p. 65.

(54) Ibid., p. 66.

(55) Köprülü, Islam Medeniveti Tarihi, p. 165.

(56) Rif'at Effendi, Mirat al-Maqasid, p. 268.

(57) Bleichsteiner, L'Eglise Jaune, p. 63.

(58) A. Velidi : Yesevilige dair, dans Mélanges Köprülü, p. 524.

Selon Gerdizi, les anciens Turcs croyaient que la montagne était la résidence du dieu. La plupart des montagnes de l'Asie Centrale ont dans les deux langues turques et mongoles, des attribus signifiant la bénédiction, la sainteté et le titre dupere vénéré et quelquefois de magnifique roi, tels que : Han Tanri, Bayan-Ula, Buztag-Ata, etc. Alors que chaque clan possedait une montagne sacrée, l'ensemble des Turcs (formé de la réunion de plusieurs clans) possédait des montagnes sacrées communes. Les inscriptions des Turcs célestes et celles des Ouigours prouvent que la montagne Otugen était considérée comme sacrée au VIIe siècle par tous les clans turcs, par les Turcs célestes et par les clans étrangers qui leur étaient assujettis. La montagne Otugen est mentionnée dans les ouvrages écrits après l'islamisation des Turcs, tels que Kutatgu Bilik et Divan-u-lugat-it-Turk de Mahmud Kasgari. Les Ouigours, d'après Djuweyni, avaient des montagnes sacrées qui leur assuraient l'abondance. Une fois ces montagnes tombées aux mains des Chinois, les Ouigours se sont dispersés. Quand les chinois s'emparaient d'une montagne sacrée, les Turcs de l'Asie Centrale en faisaient l'élégie et lui consacraient des poèmes de louange. Les montagnes, aussi bien que les lacs sont, d'après les croyances chamanistes, des êtres vivants qui parlent, sentent, épousent et qui ont des enfants. Les Turcs et les Mongols qui professent le chamanisme ont aussi le culte d'Oba, c'està dire, de la montagne artificielle faite par l'accumulation de cailloux entassés. Les Urenhas et les Mongols bouddhistes ont pratiqué ce culte depuis le XVIe siècle. Les moines boudd-histes font de leur mieux pour venir à bout de cette innovation, mais vu leur échec, ils ont été obligés de faire la part du feu et de s'adapter à ces survivances de chamanisme *(Abdul Kadir Inan, op. cit., p. 49-50 et 60).*

(38) Sous le règne des Turcs célestes et des Ouigours, les bois de la montagne Otüken étaient considérés comme sacrés par les Turcs. Ce caractère sacré était, sans doute, un souvenir de l'époque où les primitifs vivaient de ceuillette et de chasse. Les chasseurs yakoutes croyaient que le dieu du bois avait neuf âmes qui protégeaient les chasseurs et leur assuraient une bonne chasse. En outre, les Turcs considéraient comme sacré le hêtre. Aussi cet arbre était-il dessiné sur le tambour du Chaman, à côté du soleil, de la lune et de l'éclair. Sous cet arbre, on offre le sacrifice et les femmes stériles viennent s'y réfugier. Les légendes des Ouigours relatent que les rois ouigours sont sortis d'un arbre. Dans l'épopée de Dede Korkut, figure un héros appelé Basat qui déclare : Si tu me demandes le nom de mon père, je te dirai qu'il est le gros arbre.

Les Kıpčak partagent cette sroyance (Inan, op. cit., p. 65).

(39) La légende turque, concernant la production pour la première fois du feu, a été étudiée par Verbitski. Quand Adam, connu chez eux sous le nom de Targin Neme, est sorti du paradis, le dieu Ulgen lui a montré arbres et les fruits et lui a dit : Fais ton experience et mange ce qui te plaît. Targin Neme les a trouvés tous utiles et en a mangé. Mais l'hiver suivant il a trop souffert. L'été revenu, il a mangé mais a aussi mis de côté des réserves pour l'hiver. Comme les animaux l'hiver suivant s'en prenaient à ses provisions, il les a chassés à l'aide de son bâton. Ceux-ci ont porté plainte contre lui auprès du dieu. Alors le dieu a rendu ce verdict : Que les animaux se nourrissent des plantes et que l'homme mange les animaux, faisant également de leurs peaux des vêtements.

L'homme primitif n'avait pas besoin de feu. Mais après avoir reçu l'ordre de manger la chair des bêtes, il a dû la faire cuire. Le dieu a fait alors descendre du ciel deux pierres, l'une noire et l'autre blanche. Il a placé entre elles deux un morceau de bois sec puis a cogné les deux pierres l'une contre l'autre et le feu jaillit. Ainsi enseigna-t-il à l'homme comment produire le feu. C'est pour celà que le feu béni chez les Yakuts et les Turcs de l'Altai doit être seulement produit à l'aide d'un choc de pierre. Chez les Turcs de l'Altai, il est interdit d'éteindre le feu avec de l'eau ou par un crachat. Les Turcs anciens offraient des sacrifices au feu, en récitant des hymnes. Si la flamme était verte, celà présageait un an d'abondance et de pluie. Si elle était rouge, celà signifiait la guerre. Une flamme jaune annonçait épidémie et mort. Une flamme noire était l'annonce de la mort du Gouverneur ou de son départ pour un pays très lointain.

(15) Köprülü, Halk Edeb. Antolojosi, p. 30.

(16) Berbernamé, ms. privé.

(17) Mahmud Al-Kaşgari, Divan-u-Lugat-i Turk, Istanbul, 1914, 1, 203.

(18) A. Inan, op. cit., p. 84.

(19) Altheim, Attila, p. 14. Le cheval devait avoir une place glorieuse chez les anciens Iraniens. Le mot cheval (aspa) figure dans les noms de leurs rois et de leurs héros. *Cf. F. Altheim, Alexandre et l'Asie, Histoire d'un legs spirituel, trad. par H. E. Del Medico, Paris, 1954, p. 22.* Par exemple dans le nom de Vishtaspa, équivalent à Hystaspas, l'un des célébres défenseurs de la doctrine de Zorosstre. Ou encore Djamasp et Pourushaspa, nom du père de Zoroastre qui signifie, avec des chevaux gris (*Cf. A. T. Olmsted, Hist, of the Persian Empire, p. 94.* Les chevaux nesaeans étaient offerts au Dieu Mithra le jour de l'an. Ils representaient les chevaux blancs de son char solaire (*Ibid., p. 25*). La noblesse Iranienne avait transformé l'usage du cheval en chevalerie. Les aspets de chevauchées en quête de pillage avaient été transformés et présentés comme des exigences seigneuriales. Quand Alexandre pénétra dans l'Est de l'Iran, la brillante cavalerie de Bactriane et de Sogdiane se recrutait alors parmi les barons et leurs descendants. (*Altheim, Alexandre et l'Asie, p. 25-26*).

(20) Altheim, Attila, p. 15.

(21) R. Grousset, l'Empire des Steppes, Paris 1941, p. 58.

(22) Ibid., p. 54.

(23) P. Pelliot, La Haute Asie, p. 7.

(24) Grousset, op. cit., p. 119.

(25) R. Giraud, l'Empire des Turcs célestes, Paris, 1960. p. 9. et 90.

(26) E. Pertev Boratav, Köröglü Destani, Istanbul, 1931, p. 58.

(27) Ibid., p. 58.

(28) A. Alföldi, Türklerde Čift Krallik, Türk, Kongresi, Istanbul, 1943, p. 510.

(29) E. P. Boratav, op. cit., p. 62-63.

(30) Abrégé du «Manaqib Sayyid Battal Gazi, etc., Istanbul.

(31) A. Inan, op. cit., p. 174.

(32) Ibid., p. 193.

(33) Grousset, La Face de l'Asie, Paris 1955, p. 49.

(34) Altheim, Attila, p. 35.

(35) Z. Gökalp, Turk Medeniyet Tarihi, Istanbul, 1926, p. 99.

(36) Anatole Lewitzky. Quelques aspets de la vie religieuse des peuples de l'Asie Centrale et Septentrionale et quelques représentations religieuses des Eskimos, extrait de l'Histoire Générale des Religions, p. 161.

(37) A propos du culte de la Montagne, on notera que la montagne est l'élément le plus important qui entre dans la composition du *Yer-Su*. Son culte est étroitement lié à celui de Gök Tanri, le dieu du ciel. Les Huns offraient des sacrifices à Gok Tanri sur la montagne Han-Yoan qui se trouvait dans leurs berceaux respectifs : Yeni-si-san ou San-din-san. Il y avait une autre montagne sacrée appelée Gan-Tsuan-San. Ils solennisaient leurs traités avec la Chine en offrant des sacrifices au sommet d'une montagne nommée Hundagi, la montagne des Huns.

NOTES

(1) P. Pelliot, La Haute Asie, p. 11.

(2) *Ibid.*

(3) Leon Cahun ; Introduction à l'Histoire de l'Asie, Paris 1896, p. 41.

(4) L'existence de la métallurgie, étant contradictoire avec le nomadisme fut l'objet d'une controverse. Koppers l'a nié radicalement ; il a même nié que les Turcs aient pratiqué l'agriculture. Radloff a fait de même. Zeki Velidi affirme que Barthold nie, lui aussi, l'existence de la métallurgie chez les anciens Turcs, en Asie centrale. Il rapporte même que Barthold aurait dit : «Si le Turc se dérobe à la vie nomade, c'est qu'il se dérobe aux obligations de sa race» (Giriš 25). Il nous semble que Barthold a changé d'avis, car, dans son *Histoire des Turcs d'Asie Centrale*, il se charge de démentir son compatriote Radloff. S'appuyant sur les sources chinoises et les récits populaires, il affirme la compatibilité de la vie nomade et de la métallurgie (*Histoire de l'Asie Centrale*, p. 15).

(5) Zeki Velidi Togan, Umumi Turk Tarihine Giriš, Istanbul, 1946, p. 30.

(6) Leon Cahun, Op. Cit. p. 70.

(7) *Ibid.*

(8) F. Altheim, Attila et les Huns, traduction française par Jacques Marty, Paris 1952, p. 33.

(9) Abdul Kadir Inan, šamanism, Ankara 1954, p. 84.

(10) Il Khan était devenu roi des Tou Kieu. Ceux-ci, en raison de leur nombre qui surpassait celui de tous les peuples voisins, vainquirent ces derniers les uns après les autres. Mais Sevinc Khan, battu plusieurs fois par les Tou Kieu, fit alliance avec le Khan des Kirghiz et avec les autres peuples. Ils se soulevèrent alors tous ensemble contre les Tou Kieu et les exterminèrent. Il ne survécut à l'hécatombe qu'un fils de Il Khan nouvellement marié et un neveu de Il Khan appelé Mukuz. Ces deux hommes prirent la fuite avec leurs femmes. Ils arrivèrent dans un beau pays fertile plein de rivières, de sources, d'arbres fruitiers, de chameaux et de chevaux.

Leurs descendants se multiplièrent dans ce pays, connu sous le nom de Erkene Kun. Au bout de quatre cents ans, ils voulurent en sortir mais ne trouvèrent aucune issue. Alors un forgeron leur déclara : «Il y a ici une montagne de fer. Il faut la faire fondre». Ils commencèrent à amonceler, à l'endroit choisi par le forgeron, une couche de charbon et une couche de bois. Puis ils y mirent le feu. Quand la montagne commença à fondre, un passage se creusa. Ils purent alors quitter ce pays mystérieux.

Les Tou Kieu avaient l'habitude de fêter l'anniversaire de leur sortie. Le Khan saisissait avec des tenailles un morceau de fer rougi au feu et, le plaçant sur une enclume, il le frappait avec un marteau et tous les seigneurs l'imitaient (*Leon Cahun, p. 85*). Les Mongols adoptèrent cette légende de telle sorte que Rashid ud-Din et Abul-Gazi leur en ont attribué la paternité. Cahun les a suivis. *Köprülü, vérification faite, l'a attribuée aux Turcs célestes (M. F. Köprülü, Türk Edebiyat, Istanbul, 1926, p. 66).*

(11) Mircea Eliade, le Chamanisme et les techniques archaiques de l'extase, Paris 1951, p. 26.

(12) W. Sieroszeweski, Du Chamanisme d'après les croyances des Yakuts, R. H. R., 1902, IV, 319.

(13) Abrégé du Kitab Aba Muslim, Istanbul, 1325.

(14) Evliya čelebi Siyahatname, III, 14.

2. *Le Manichéisme chez les Turcs en Asie Centrale* :

Après avoir abandonné le chamanisme, les Turcs professèrent pour la première fois une religion fondée sur des principes éthiques : le manichéisme. Au VIIe siècle de l'ère chrétienne, cette religion avait atteint l'Extrême Orient. Il y avait, vers la fin de ce siècle, un dignitaire manichéen à la cour de l'Empereur de Chine. Dans la seconde moitié du VIIIe siècle, la fondation des temples était autorisée dans quelques régions de la Chine et certains textes religieux manichéens furent traduits en chinois [53]. C'est à partir de la Chine que le Manichéisme s'infiltra chez les Turcs Ouigours ; et, avant la fin de ce siècle, il était proclamé religion d'Etat dans le territoire de l'Orkhon. Vers la même époque, l'on décèle la présence du manichéisme dans l'oasis de Khotan [54].

3. *Les survivances manichéennes dans la littérature turque islamique* :

Köprülü atteste qu'il y a un élément manichéen chez les Bektachis. Les trois principes moraux qui stipulent de retenir la main, la langue et les reins sont tirés d'après lui de cette religion [55]. Ces principes sont symbolisés chez les Bektachis par les trois noeuds de la ceinture [56] . Ces noeuds de la ceinture sont appelés chez les Ouigours manichéens *tamgha* mot qui désigne la marque de propriété qu'on implique au fer rouge sur le bétail. Bleichsteiner les appelle les trois sceaux : sceau de la bouche, sceau de la poitrine, sceau de la main. Ces prescriptions, dit Bleichsteiner, semblent avoir été empruntées à la doctrine de Bouddha[57] Z. Velidi, lui, pense que certaines pratiques de la confrérie des Yesevis sont empruntées au manichéisme ainsi que la retraite volontaire ou *khalwat* et le dhikr-i erré dont on relève dix formes[58]

Les Turcs ottomans ont apporté avec eux beaucoup de ces survivances paiennes dans les pays conquis par eux. C'est ainsi qu'on retrouve ces survivances transplantées dans des pays assez éloignés les uns des autres comme les Balkans et les pays arabes.

Mais cette question fera l'objet d'une prochaine étude.

Dieu, le Glorieux, le Généreux, qu'il avait vu de ses propres yeux le maître se déplacer entre ciel et terre, à une coudée de hauteur. «Je tombai evanoui, ajouta-t-il, et quand je revins à moi, le Seigneur s'en était allé à ses affaires. Un jour, en secret, il me dit à l'oreille : on ne peut pas être moins qu'un oiseau du moment que tu es un oiseau du trône de Dieu»[46].

De plus, après sa mort, Mewlana apparut, doté d'ailes comme un ange.

Il existe un autre récit, non moins caractéristique, que relate le Sultan Weled : «Après la mort de mon père, dit-il, je m'étais assis auprès du Tchelebi Hosam ed-Din (Que Dieu augmente sa récompense et de Kirâ Khatoun. Celle-ci (Que la miséricorde de Dieu soit sur elle) aperçut notre maître qui, semblable aux anges dont il est écrit 'ils ont des ailes au nombre de deux, trois ou quatre' avait ouvert ses ailes. Il se tenait au dessus de nos têtes et nous protégeait»[47]

Le costume du chaman a survécu chez quelques mystiques musulmans. Au XIVe siècle, un mystique turc Baraq Baba arrivait à Damas avec des disciples ; leur groupe étonna vivement la population par ses vêtements bizarres. A leur cou pendaient des osselets de boeuf, teints au hénné, des bâtons crochus et des clochettes. Ils étaient coiffés de bonnets de feutre flanqués de deux cornes, un rappel des cornes utilisées par les chamans[48]. Le chaman mandchou, près du fleuve Amour accroche à son bonnet une corne de cerf qu'on appelle Tilo[49].

Les chamanistes des anciens Turcs appelés Argippay ou Argimpay avaient, comme le dit Hérodote, la tête rasée. Ils étaient polyglotes et ne portaient comme armes que des épées en bois[50]. Les qalandariya ont conservé l'habitude de se raser la tête, les moustaches et les sourcils ainsi que la barbe pour provoquer le blâme. Qaraqašzade rapporte que les qalandariya pensent que cette coutume porte à la contemplation de la beauté divine, étant donné que Dieu a l'apparence d'un jeune homme imberbe[51].

En ce qui concerne les sabres de bois, on les retrouve chez les derviches appelés Abdal qui accompagnaient les premiers souverains ottomans et qui, selon les légendes, combattaient avec des sabres de bois[52].

Les chamanistes reconnaissent plusieurs divinitée dont les principales sont Ulgen, le Dieu du Bien, ses fils et ses filles, Erlik, Dieu du Mal, lui et sa famille. Ils divinisent aussi quelques esprits représentant la montagne[37], la forêt[38], le feu[39] et l'eau[40]. Ces divinitéesont désignées par le nom global de Yer Sub qui veut dire la terre et l'eau. L'adoration de Yer Sub est identifiée à celle de la patrie. Car la patrie se compose des montagnes, des forêts et des eaux.

Le chaman, prêtre de la religion, est à la fois le poète, le musicien et le médecin spirituel de la tribu. Il possède le don des miracles comme le Fakir[41]. Il a le pouvoir de s'élever au dessus de la terre comme celui de descendre aux enfers, de lutter contre les mauvais esprits. Les chamans ont pu survivre à l'islamisation des Turcs. Les Baksis[42] représentent les chamans dans la société turco-musulmane. Ainsi les Baksis des Kirghiz-Kazak ont un costume semblable à celui d'un chaman. Leurs coiffures sont ornées de plumes d'oiseaux ou d'autres objets que l'on trouvait dans la tenue du chaman. Ces Baksis, pour se défendre contre les (Khojas) ont inventé un livre intitulé Baksilik Risalesi. Dans cet ouvrage, il est affirmé que Fatima est leur patronne[43]. Cependant Ziya Gökalp prétend que les derwiches, les Khorasan erleri et les Haideris représentent ces chamans. Köprülü, lui, pense que les Turcs nomades considéraient comme des chamans les soufis de leur race qui les convertirent à l'Islam. Et c'est pour celà qu'ils pouvaient, hommes et femmes, assister aux séances rituelles, écoutant au lieu des incantations des chamans, les hymnes des mystiques, composés dans leur langue nationale[44]. Les premiers emprunts au chamanisme turc se constatent chez les Yesevis. Köprülü relève dans le dhikr-i erre (c'est à dire le dhikr de la scie) qui est propre à la confrérie des Yesevis, les traces des danses extatiques caracteristiques des chamans des tribus nomades de l'asie septentrionale. Le vol magique des chamans existe dans l'ordre de yesevis et certains de ses derviches se métamorphosnt en oiseaux et ont la faculté de s'envoler. Chez les Qizilbar, la réunion rituelle s'appelle «pervaz» qui signifie vol Samancigil veut même identifier le «Ayn-i Djam» des Bektachis aux réunions des chamanistes[45].

Le plus étrange est que cette foi dans la lévitation ou vol magique s'est infiltrée chez les Mewlevis, sunnites et violents ennemis des manifestations miraculeuses. On attribue à Mawlana Djalal ud-Din des phénomènes de lévitation :«Notre maître Ikhtiyar ed-DinI'Imam (Que Dieu soit satisfait de lui) a rapporté qu'un jour notre maître se rendait lentement au jardin du Tchelebi Hosam ed-Din et qu'il le suivait. Il jura par les serments les plus terribles, par le nom de

en signe de deuil. Le cheval personnel du défunt était immolé au moment même de l'enterrement[31]. On plaçait sa bride dans la main du défunt en lui disant : «Tiens ton cheval !».

Les Kazaks chrétiens coupent aussi la queue du sheval du défunt ; ils appellent cette coutume «Tullamak», c'est à dire : rendre veuve ou veuf.

Les Ougouz ont gardé l'habitude d'immoler les chevaux quand leur maître est sur le point de mourir. Celui-ci, pressentant sa fin prochaine a coutume de dire : «Immolez mon cheval blanc et noir et donnez moi ma nourriture»[32].

II.—Survivances de la vie Spirituelle des Anciens Turcs,

1. *Le Chamanisme* :

Nomadisant le long des frontières chinoises, indiennes et iraniennes, les peuplades turques se sont adaptées aux religions de ces pays[33]. sans renoncer totalement à leur religion ancestrale, le chamanisme. Altheim pense que le chamanisme, coexistant avec d'autres religions, ne constitue pas par lui même une religion au sens strict du mot. Et comme il ne comporte ni dogmes ni commandements, il ne serait qu'une manière de se conduire compatible avec des fonds de pensée très divers [34]. Ziya Gök Alp partage le même point de vue, cherchant même à prouver qu'il existe une contradiction entre le chamanisme basé sur la sorcellerie et la medecine spirituelle d'une part, et al religion d'autre part. Il en donne pour preuve deux exemples : La religion considère le côté droit de toute chose comme béni, alors que le chamanisme attribue la bénédiction au côté gauche. Le chamanisme, tout comme la médecine, ne connaît pas de frontières. Un étranger peut consulter le chaman. Mais en matière de religion, il ne peut consulter que le prêtre de sa propre religion [35].

Barthold et Abdul Kadir Inan attestent que le chamanisme représente l'ancienne religion des Turcs. Inan, dans son ouvrage turc Şamanism, en a bien étudié les dogmes, les dieux, les litanies, les sacrifices sanglants et non sanglants, le sacerdoce et les rites de consécration des chamans. Au fond, les rites d'initiation chamanique dénotent, chez les Turcs, un souci d'organisation alors que chez les autres peuples de l'Asie, le chemanisme ne semble pas avoir été une institution réglementée et policée [36].

une voix s'éleva du fond de la caverne : « Aŝqar ! Obéis à ce jeune homme. Le moment de mon arrivée n'est pas encore venu. Dieu t'a donné à Dja'far. Celui ci viendra, luttera et drlivrera le monde des ténèbres de l'infidélité. Sois obeissant ! Tiens-toi bien ! » Le cheval ne bougea plus les pattes et Husayn, jetant ses regards sur les quatre coins de la caverne, n'aperçut personne. Il s'avança, saisit le cheval par sa bride. Il arracha la baïonnette sur laquelle était inscrit «cette baionnette est à toi». بوسونکوسنکدر Puis il trouva deux mèches des cheveux d'Adam, la cuirasse de David et l'épée de Hamza. Sur chaque objet figurait le nom de son propriétaire. Husayn très joyeux remonta en selle te tirant 'Aŝqar devzade à ses côtés. Pendant son sommeil, il reçut la bonne nouvelle que Dja'far dont avait parlé la voix de la caverne était son propre fils qui devait naître bientôt [30].

De même que les Turcs célestes, les musulmans dans leurs épopées ont classé les chevaux de bataille suivant leur couleur. Dans les épopées musulmanes turques, chaque catégorie de bête a sa propre spécialité. Le Kir at (le cheval gris) ne peut se délivrer de la boue. Le Yagiz at (le cheval noir luisant) se déchire en morceaux sur les rochers. Le Al at (le cheval alezan) ne peut passer dans les brouissailles. Quant au Doru at (le cheval brun) il est impossible, sans employer la ruse, d'échapper à sa fureur. Pour s'en rendre maître, il faut le faire courir jusqu'à ce que son corps soit couvert de sueur puis on le conduit dans l'eau où on le laisse un certain temps.

Le Kir at a pourtant, dans les contes anatoliens, une importance spéciale. Dans le conte de Aŝiq Garip, le cheval de Hidr est décrit comme étant Kir, c'est à dire gris. Kamar Tay de Chah Ismail, celui de Genc Osman et celui dont Dadaloglu fait l'éloge, sont aussi des chevaux gris.

Dans les épopées turques, la mise à mort du cheval équivaut à celle de son maître. Manas tua le cheval du héros Kökce et cet évènement fut considéré comme l'éxécution du héros lui-même. Manas ne porta pas la main sur Kökce ; il se borna à le ridiculiser en lui disant : «Si je te tue, ce serait un péché. Mais voilà ton cheval, prend-le. Ses quatre cuisses seront ta nourriture pendant quatre jours. Sa peau est taillée en quatre morceaux, elle te donnera des souliers pour tes pieds».

Les Turcs avaient l'habitude d'enterrer leurs chevaux dans le même tombeau que leur propriétaire après leur avoir coupé la queue

anciens Turcs. Ceux ci se divisaient selon leur teint en Turcs blancs et Turcs rouges. Et, selon le nombre des tribus, en dix tribus comme chez les On-Oigours, ou en neuf comme chez les TuquzOguz.

Alfoldi atteste que ces deux derniers chiffres ont une valeur religieuse chez les Turcs nomades. En effet, P. Pelliot a publié la reproduction d'une plaque d'agrafe composée de deux parties : l'une est ornée d'un dragon à neuf têtes humaines, image du Dieu du ciel, tandis que l'autre représente un dragon à dix têtes humaines, image du Dieu de la terre [28].

Dans cette épopée de Köröglü, le vrai héros est le cheval sans lequel Köröglü aurait été incapable de réaliser le moindre exploit. Le Kir at de Köröglü, en tant que descendant d'un étalon du fleuve Oxus, jouissait du privilège de ne pas être asphyxié dans l'eau. Il pouvait également voler. Comme il avait bu de l'eau de la source de vie, la mort n'avait pas de prise sur lui. Selon certaines versions de l'épopée, il vivait encore. Il se fait vendre une fois par an afin de changer de propriétaire. Il est suffisamment intelligent pour observer le deuil après la mort de Köröglü, en refusant toute sorte de fourrage pendant quarante jours [29].

Quant à l'Aşqar de Battal Gazi, il avait été préparé et conservé par Dieu dans une caverne, avant même la naissance de Battal. On remarquera que son nom Aşqar est emprunté au cheval de Hamza, l'oncle du Prophète. Au fond, Battal lui-même est un sayyid, c'est à dire un descendant du Prophète.

5. *Origine de l'Aşqar de Battal Gazi* :

Husayn, père de Battal, était un grand chasseur. Un jour, tandis qu'il chassait dans les montagnes de Syrie,il aperçut une gazelle de plusieurs couleurs. Il la poursuivit à cheval afin de la capturer et de la donner en cadeau à Omar, fils de Nu'man, gouverneur de Malatiya. La gazelle prit la fuite et se réfugia dans une grotte. Husayn ne la lâcha pas, descendit de son cheval et entra dans la grotte. Après s'être avancé de deux pas, il se trouva en présence d'un cheval avec sa selle et sa bride. Devant la bête, il y avait une baïonnette plantée dans la terre et une lance. Husayn, étonné, se demanda ce que ce cheval faisait là. Il s'avança dans l'espoir de le prendre mais le cheval donna des ruades et Husayn dut reculer. Malgré tous ses efforts, il restait incapable de capturer la bête. Mais

et renoncèrent à leur tenue militaire archaique ; ils adoptèrent ainsi le pantalon, le bonnet à aigrette et les boucles de ceinture [22]. Aux souliers, ils substituèrent les bottes ; l'épée longue du nomade remplaça chez eux l'épée courte de leurs ancêtres [23].

Les Huns de Attila ont attiré l'attention par leur habilité de cavaliers. Sidoine Apollinaire note, en décrivant l'éternel cavalier des steppes : Quand le Hun est à pied, sa stature est au dessous de la moyenne. Mais lorsqu'il est à cheval, il est grand [24] Le cheval tenait aussi une place très importante chez les Turcs célestes. Tonyouqouq, Ministre de Bilgué Khan, parlant des troupes initiales d'Elterich, déclare que les deux tiers étaient à cheval (atliy), le dernier tiers étant à pied (yaday).

Le récit des combats équestres de Köl-Tegin montre l'attachement que les Turcs ressentaient pour leurs montures. Köl-Tegin monte successivement neuf chevaux, dont huit sont des hongres (at) et un est un cheval entier (adyiv). Toutes ces bêtes sont soigneusement différenciées soit par la couleur de leur robe, soit par le nom de leur propriétaire, soit par leur lieu d'origine, soit encore par quelque particularité de leur physique, et quelquefois d'ailleurs, par deux de ces attributs réunis [25].

4. *Le cheval dans la littérature turque islamique* :

Le théme du fer, on l'a deja noté, est manifeste dans l'épopée de Abu-Muslim. Le cheval n'y joue aucun rôle.

Le thème du cheval se retrouve dans deux autres épopées : celle de Köroglu et celle de Battal Gazi.

Pertev Boratav attribue la place primordiale tenue par le cheval dans les épopées turques, au fait que celles-ci ont été souvent composées en milieux nomades [26]. A notre avis, cette remarque n'implique pas que le thème du cheval soit absent des épopées composées en milieu urbain. On verra bientôt que le cheval joue un rôle essentiel dans l'épopée de Battal Gazi dont les épisodes se déroulent dans les villes de l'Est et du Sud Anatolien. Le cheval le plus célèbres dans les épopées turques est peut être le cheval appelé (kirat) du Köröglü. Il était né d'un étalon sorti des eaux de l'Oxus et d'une jument. Celle-ci mit bas au bout de neuf mois et neuf jours. P. Boratav pense que la fixation du temps de gestation à neuf mois est une tentative d'assimilation de Kirat à l'homme [27]. Sans vouloir refuter ce point de vue, on se contentera de rappeler ici la valeur du chiffre neuf chez les

La glorification du fer se voit aussi dans un ouvrage intitulé *Berbernamé* attribué à Dja'far as-Sadeq. Là, le fer dont est fait le rasoir est aussi tenu pour sacré ; il a lui aussi une origine céleste. Car, pour produire le fer, Gabriel, sur l'ordre de Dieu, prit une certaine quantité de terre de la montagne Mey Kon se trouvant au quartrième ciel ; il la fit fondre au feu de la Puissance. Telle est l'origine du fer que Gabriel apporta alors sous son aile[16].

Mahmud Al-Kašgari atteste que les Kiptchaq les Kiptchaq et les abaga tiennent le fer pour sacré. S'ils veulent s'engager par serment, ils mettent une épée devant celui qui s'engage et disent : Que ce fer entre bleu et sorte rouge. Celà signifie : Tu seras mis à mort si tu violes le pacte. Une telle conduite montre la place que tient le fer chez eux[17].

Jusqu'à maintenant, le fer garde sa place honorifique dans le folklore des peuples turcs. Chez les Kazak, on défend l'accouchée contre le mal que l'esprit «Albasti» pourrait lui causer en frappant sur un morceau de fer avec un marteau et en criant : le forgeron est arrivé, le forgeron est arrivé. Abd Al-Qadir Inan a constaté cette coutume chez les Kiptcak et les Argins[18].

3. *Caractère sacré du cheval chez les Turcs anciens* :

Outre le fer avec lequel les anciens turcs fabriquaient leurs armes ; le cheval, leur monture de combat, leur fut fourni par la terre où ils habitaient primitivement en Asie Centrale. Et peu importe que l'art de monter à cheval ait été emprunté ou non aux tribus iraniennes, comme le suggère Erkes[19]. Les tribus turques font leur apparition sur le théâtre de l'histoire comme des cavaliers. Les Turcs obligeaient leurs enfants à monter sur le dos des brebis et à tirer à l'arc toutes sortes de menu gibier. Quand ils étaient assés musclés pour tendre un arc robuste et flexible, ils étaient promus cavaliers revêtus de cuirasse[20]. La rapidité de leur cavalerie leur a dicté leur tactique. Ils apparaissaient à l'improviste, disent les auteurs chinois, à la limite des cultures, razziaient hommes, troupeaux et biens ; puis ils prenaient la fuite en emportant leur butin avant que l'on ait pû riposter[21]. Lorsqu'ils étaient poursuivis, leur tactique consistait à attirer les troupes chinoises dans les solitudes du Gobi ou des steppes, à les harceler sous des volées de flèches. Pour parer aux attaques des nomades, les Chinois durent leur emprunter leur tactique. Ils transformèrent leur lourde charrerie en cavalerie mobile

Le Prophète apparut en songe au forgeron et lui dit qu'il n'avait pas à s'occuper de rechercher du fer. Celui-ci avait été crée la nuit de l'Ascension du Prophète, à la suite d'un soupir qu'il avait poussé lorsqu'il avait prévu la catastrophe de Hussein. Les anges jetèrent alors l'énorme morceau de fer au fond de la mer.

Hasan Khodja, le grand père du forgeron, était un commerçant. Les commerçants d'alors avaient l'habitude de charger les plongeurs d'inspecter le fond de la mer et d'apporter ce qu'ls trouveraient. Ils achèteraient leurs trovailles pour mille aqča, Un des plongeurs apporta à Hasan Khodja un morceau de fer mais Hasan le refusa. A quoi servirait ce morceau de fer ? demanda-t-il au plongeur. Et, tout en lui remettant encore mille aqča, il lui demanda de jeter ce fer dans la mer et de lui chercher autre chose. Mais le plongeur lui rapporta une seconde fois le même morceau de fer. Hasan l'accepta alors. Puis lorsqu'il s'endormit, Jesus lui apparut en songe. Il lui conseilla d'enseigner à son fils le métier de forgeron, de bien conserver le morceau de fer, de la léguer par testament à son fils et de le cacher jusqu'à ce que son propriétaire vienne le réclamer.

Or ce morceau était gardé dans l'atelier Kurda-Ahangar. Les apprentis avaient essayé plusieurs fois de la faire fondre mais il était trop dur pour être affecté par le feu. Ils dirent alors : Nous le mettrons dans la fournaise, s'il s'amollit, il sera la part d'Abu-Muslim. Tout en invoquant le Prophète et en prononçant les bénédictions sur lui, ils mirent dans la fournaise cette masse de fer. Quand ils l'en retirèrent, le métal n'était pas seulement mou, il avait pris miraculeusement et sans aucune intervention humaine, la forme de la hache déssinée par Abu Muslim. Taher, le polisseur de la hache et le bûcheron qui préparait le manche, avaient tour à tour vu le Prophète en songe, et reçu l'ordre de se hâter d'achever leur travail [13].

La hache conserva sa place parmi les armes turques jusqu'au règne d'Abdul Hamid. Il y avait des porteurs de haches ou Baltadjis qui marchaient en tête des troupes. De plus, la hache faisait quelquefois partie du *djihaz-i Faqr* ou «attributs du derviche». En ce cas, on l'appelait généralement la hache de Abu Muslim [14].

Les Abdals portaient sur l'épaule de petites haches appelées Abu Muslim nacagi, ce qui signifie «hache d'Abu Muslim» [15].

mon seul crime, l'Emir des Croyants Ali et les quatres compagnons du Prophète. Le Prophète m'est apparu en songe et m'a annoncé la bonne nouvelle que j'aurai l'honneur de mourir par suite de l'amour que je lui porte, qu'il paraîtrait un héros qui, en s'emparant du Khorassan, purifierait le monde des Khawaridj.

Abu Muslim rencontra, dans la foule qui écoutait Abdul Rahman, un forgeron connu sous le nom de Khurda-i Ahangar, le petit forgeron. Cet homme avait quarante apprentis. Il portait une hache admirable. Abu Muslim, attristé par la décapitation du pauvre Abdul Rahman, poussait des soupirs et se disait : Si j'avais possédé une pareille hache, j'aurais sauvé ce pauvre homme. De retour chez lui, il fit part à sa mère de l'injustice subie par Abdul Rahman. Il dit qu'il avait vu un homme portant une hache admirable. Si j'avais eu une hache semblable, dit-il, j'aurai vengé les Khawaridj. Sa mère, craignant pour lui, lui conseilla de se tenir à l'écart de telles affaires. Mais le Prophète rendit visite à Abu Muslim en songe et lui annonça que le moment était venu d'agir : il devait se préparer pour le combat. Abu Muslim ; se jetant aux pieds du Prophète, lui demanda : Avec quoi ferai-je la guerre ? Mais Abu Muslim, sur un signe du Prophète se retourna et vit l'Ange Gabriel. Celui-ci tenait une hache dont la lumière rayonnait sur la terre entière comme le soleil. Son manche mesurait huit empans. Son fer était comme la gueule d'un dragon.

Abu Muslim dit : Il me faut une hache comme celle-ci. Le Prophète lui remit une feuille sur laquelle la hache désirée était dessinée et il lui dit : Fabrique donc une hache comme celle-ci. Abu Muslim ne sachant comment exécuter l'ordre du Prophète, eut recours à sa mère. Celle-ci lui dit : Va quérir un homme qui s'appelle Khurda-i Ahangar. C'était l'ami de ton père. Après la mort de ton père, alors que je te portais encore dans mon sein, il était prêt à te prendre pour t'élever. Abu Muslim se rendit au souq des forgerons afin de rencontrer Khurda-iAhangar. Il se présenta lui-même au forgeron et demanda une hache. Après avoir examiné toutes celles qui étaient là, il les refusa toutes. Je ne veux pas, dit-il, de hache pour couper le bois mais pour couper les têtes des Khawaridj. Il dessina alors le modèle de la hache telle qu'il l'avait vue sur la feuille donnée par le Prophète. Regardant le dessin, le forgeron lui dit : Il nous faudra donc douze batmans romains ou vingt quatre batman iraquiens (le batman est une mesure de poids qui vaut environ six okes, soit de seize à dix-sept kilogrammes) pour faire une telle hache.

Parmi tous les métaux, ces nomades guerriers ont tenu pour sacré le fer avec lequel ils fabriquaient leurs armes. «C'est probablement le fer, dit L. Cahun, auquel les Huns adressaient leurs priéres et donnaient pour symbole une lame que les Romains ont appelée l'épée de Mars»[6]. A la frontière du pays turc, les embassadeurs prières et donnaient pour symbole une lame que les Romains ont appebyzantins du VIe siècle assistèrent à une cérémonie religieuse au cours de laquelle on leur présenta du fer[7]. Les forgerons étaient élevés aux grades de rois et de grands prêtres. Dans les épopées turques anciennes, les Turcs employaient le mot Darkan ταρκανος qui veut dire forgeron dans le sens de «héros» ou cavalier franc[8]. De plus, les outils du forgeron étaient considérés comme des objets sacrés, exactement comme l'était le tambour du Chaman. Ils pensaient aussi que chaque outil du forgeron avait un esprit gardien[9]. C'est grâce au fer que les Turcs ont pû sortir des zones dans lesquelles ils étaient emprisonnés, derrière la montagne, comme le rapporte la légende d'Erkene-kun [10]. C'est aussi grâce au fer que leurs chamans peuvent lutter contre les mauvais esprits, comme le montrent les cornes de la coiffure du chaman et les pièces de métal que comporte son vêtement. On sait que les chamans se recrutaient de trois manières : par transmission héréditaire de la profession chamanique, par vocation spontanée, et par le fait de choisir soi-même d'être chaman [11]. Le chaman le plus qualifié était celui dont les ancêtres étaient forgerons. Si le chaman n'a pas assez d'ancêtres forgerons, des oiseaux au bec recourbé et aux griffes puissantes viendront lui déchirer le coeur [12].

2. *Les survivances de la métallurgie dans la littérature populaire turque :*

Les Turcs ayant continué après l'Islam à utiliser leur arme anti-islamique par excellence, la hache, ont gardé aussi, mais sous un vernis islamique, le caractère sacré du fer. Celà se voit manifestement dans l'épopée de Abu Muslim. Le fer de sa hache, selon la légende, lui serait venu du ciel par l'entremise de l'Ange Gabriel. Le dessin de cet outil, ses dimensions, son manche, son polissage, auraient tous été miraculeusement accomplis sous la direction du Prophète.

Abu Muslim, dont le père Asad avait été mis à mort par Al-Hadjdjadj, était allé participer aux funérailles de Kathir, un ami de son père. A Merv, il vit un vieillard du nom de Abdul Rahman qui avait été condamné à mort. Abdul Rahman, en montant au lieu de son supplice, s'adressa aux habitants de Marv en disant : Sachez, o peuple de Merv, que je ne suis ni voleur, ni cupide. J'aime, et c'est

QUELQUES SURVIVANCES PAIENNES DANS LA LITTERATURE POPULAIRE DES TURCS MUSULMANS

Par

AHMAD EL-SAID SOLIMAN

I.—Quelques Survivances de la vie Materielle des Turcs de L'epoque Pre-islamique.

1. *Caractère sacré du fer chez les anciens Turcs* :

Les Turcs constituaient, vers le début de l'ère chrétienne, l'un des trois groupes principaux dont se compose la famille altaïque. Ces groupes étaient respectivement de l'Ouest à l'Est : les Turcs qui occupaient presque toute la Mongolie, — les Mongols établis probablement dans les régions boisées de la Mongolie du Nord-Est et dans la Mandchourie occidentale —, enfin les Toungouses, dans la Mandchourie [1].

Le groupe turc était le plus puissant, le plus dense et le plus civilisé [2]. Il se distinguait, parmi ces peuples, par le fait d'avoir fondé des Etats tels que celui des Hioung-Nou et des Gök tures (les Turcs célestes). Bien que nomades, les Turcs avaient un sens très vif de la hiérarchie qui se manifestait dans le régime, spécifiquement turc de la «Double Royauté» (Çift Kirallik) [3].

De plus, — et c'est un phénomène rare dans les sociétés nomades, — ils connaissaient la métallurgie [4]. Bien qu'il soit difficile d'en préciser exactement la date, les sinologues affirment que la pratique de la métallurgie remonte à une époque assez reculée. En effet, les armes en fer ont apparu de bonne heure dans la province de Chan-Si et dans les régions habitées par les Chou, ce qui implique que le fer ait été apporté par les Chou, par le bassin du fleuve Wei. Dans un texte chinois remontant à l'an 1022 av.J.—C., on trouve le mot «kingluk» qui veut dire «épée excellente». Ce mot, comme le signale Velidi, d'après F. Hirt, est employé maintenant avec le sens de couteau à deux lames et ce serait le mot turc le plus anciennement écrit, à notre connaissance [5].

CONTENTS

OF THE EUROPEAN SECTION

The Bulletin of the Faculty of Arts is issued twice a year ; in May and December. All requests for copies should be made to the Cairo University Library Giza. Communications regarding contributions should be addressed to the Editor of the Bulletin Dr. Abd El-Latif Ibrahim Assist. Prof. Faculty of Arts, Giza, U. A. R.

Back numbers of this Bulletin are available at 30 P. T. for each Part

BULLETIN

OF

THE FACULTY OF ARTS



VOL. XXIX—PART I, II

May, December 1967

CAIRO UNIV. PRESS

1972

BULLETIN

OF

THE FACULTY OF ARTS



VOL. XXIX—PART I, II
May, December 1967

CAIRO UNIV. PRESS
1972

